المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والتسعين

١ مايو سنة ١٩٣٩ — ١١ ربيع اول سنة ١٣٥٨

العقار العجيب

قصة كشف طبي عظيم الشأن

«السلفانيلاميد» ملك العقاير، وتأثيره في شفاء الامراض

صبية مستلقية على سرير بمستشفى وهي تلهث بنية فحمة من الهواء. لقد بلغت حرارتها اربعين درجة ونصف درجة مئوية وتدل الحركة المتقطعة في مقلتيها على ان العضلات المسيطرة عليها قد اصيبت ببعض الشلل فتقدت سيطرتها. الصبية مصابة بالحمى الشوكية، وهي مرض قاتل اذا بلغ هذه المرتبة. لقد فحص السائل الذي ينساب في قناتها الشوكية فاذا هو كثيف عكر بدلاً من ان يكون صافياً لا لون له. وهذا دليلٌ على ان ملايين من جراثيم «الستربتوكوكس» ترتع فيه. ولكن الصبية لم تمت. ذلك بأن الاطباء حقنوها بمقادير يسيرة من عقار جديد واخذوا يراقبون تأثير ما فعلوا، فما انقضى اسبوعان حتى كانت الصبية قد برئت مما اصابها

وقد كان هذا العقار مسحوقاً ابيض أطلق عليه مجلس الصيدلة والكيمياء باميركا اسم «سلفانيلاميد Sulfanilamide» وقد روى الدكتور ملون[1] في كتابه الخاص بهذا الموضوع ان اول مريض في اميركا عولج بهذا العقار كان مصاباً بالتهاب البريطون الستربتوكوكي على اثر عملية الزائدة الدودية فشفي

---

(١) Ralph R. Melon مدير معهد الباثولوجيا في مستشفى وستن بسنسناتي بمدينة بنسلفانيا الاميركية. وهذا المقال كتبه كاتب علمي أميركي بناء على كتاب الدكتور ملون وما استخلصه منه من الحقائق الجديدة التي حققت بعد ظهور الكتاب. ونصلنا ملخص عنه كما نشر في مجلة هاربرز

كان الباحثون الطبيون يذهبون الى ان البكتريا لا تتأثر بعلاج الامراض المختلفة بمواد كيميائية خاصة . ولكنّ الاطباء الآن غدوا يملكون مادة كيميائية مركبة Synthetic تحدث شفاءً لا ريب فيه في مصابين بالامراض الحقنية . ومما يمت على العجب ان تأثير هذه المادة لا يقتصر على مرض واحد . بل انها والمواد التي من قبيلها تؤثر تأثيراً عجيباً في شفاء طائفة من الامراض المكروبية . وقد بلغ من العجب والاعجاب بتأثيرها ان اقبل عليها الباحثون في كل قطر حتى غدا الاطباء وهم عاجزون عن تتبع التقدم في بحثها وغدا على من يريد التوفر على دراستها ان يطلع على ٣٠٥ رسائل علمية في نواحٍ مختلفة عن طبيعتها وفعلها . والدليل على الجرّار

١ — ثواهي قصة العجيب

﴿ حمى النفاس ﴾ خذ مثلاً الامومة . يقدر عدد المواليد السنوي في الولايات المتحدة الاميركية بنحو مليونين ، يولد نصفهم في بيوت الفقراء من الناس بحيث يتعذّر على ارباب العائلات الفوز بالعناية الطبية الوافية لزوجاتهم ، فيموت في الولايات المتحدة كل سنة ١٤ الف سيدة عند الوضع . ومن اسباب الوفيات حمّى النفاس وهي تنشأ عن غزو ضرب معين من المكروبات الجروح الداخلية في المرأة التي تحدثها الولادة . وقد جرّب السلفانيلاميد اولاً في علاج هذه الحمّى من سنتين في انكلترا حيث كان معدل وفيات المصابات بحمى النفاس يبلغ ٢٢٨ في المائة . فعالج الدكتور كولبروك Colebrook مائتي نفساء مصابات بهذه الحمّى فخفض معدّل الوفيات بها الى ٥ في المائة . ثم ثبت ان النفساء المصابة التي عولجت بهذه المادة استطاعت ان تسبق زميلاتها في العودة الى دارها لان العلاج بها يعجل في شفائها . ثمّ دلت التجارب التي اجريت في احد مستشفيات الولادة بباريس ان استعمال السلفانيلاميد يمنع حمى النفاس . وقد عولجت به الف سيدة عند دخولهنّ المستشفى للولادة او بعيد الوضع ، فحدثت بعض الاصابات بحمى النفاس ولكن لم تحدث وفاة واحدة ، وهو ما لم يقع قبلا في تاريخ ذلك المستشفى . ويقال ان استعمال هذا العقّار ينقذ نحو المئتي والدة كل سنة في الولايات المتحدة الاميركية

﴿ الحُمرة ﴾ وتأثير السلفانيلاميد في امراض اخرى ليس اقلّ من تأثيره في حمّى النفاس . فالحمرة تقتل عُشر الذين يصابون بها . وهي على اشدّ ما تكون فتكاً في الصغار والمتقدمين في السن . فمعدل وفيات الاطفال المصابين بها ٧٥ في المائة او اكثر . ولكن البيانات الطبية المحققة عن الف اصابة بالحمرة عولجت بالسلفانيلاميد تدلّ على ان معدّل الوفيات فيها أقل من واحد في المائة . ومن الأمراض التي شفيت بهذا العلاج السيلان — بلغ معدّل الشفاء من ٧٥ الى ٩٠ في المائة من الاصابات التي عولجت وسعلها في فترة تتفاوت من ثلاثة أيام الى خمسة — وكذلك الحمّى القرمزية والحمى الشوكية الوبائية والتهاب اللوزتين الحاد والتهاب الحلق الصّي ، وقد تسفر

الباحث الطبية عن عنوّ أمراض أخرى لهذا العقّار العجيب فتتقذ حياة ملايين من الناس

﴿ النومونيا « التهاب رئوي »﴾ كان أول استعمال هذا العقّار في علاج النومونيا بمعهد الابحاث التابع لمستشفى وسترن بنسلفانيا بمدينة بتسبرج الاميركية. وقد إختار الباحثون من ضروب النومونيا الاثنين والثلاثين أشدها فتكاً وهو المعروف برقم ٣. فلما وجدوا ان تناول الجرذان لهذا العقار عن طريق الفم يسفر عن نتائج طيبة أعطوه لخمسة وعشرين مصاباً به ، وفي الوقت نفسه تركوا ٥٤ مصاباً لا يتاولون من الاطباء والممرضات الا العلاج المأثور حتى ذلك الوقت في معالجة النومونيا ٣ . فشفي عشرون من المعالجون بالسلفانيلاميد ومات اكثر من أربعين من الفريق الثاني. اي ان نسبة الشفاء في الفريق الاول كان اربعة الى خمسة ونسبة الوفاة في الفريق الثاني كانت اربعة الى خمسة . اما الآن فالسلفانيلاميد يستعمل استعمالاً ناجحاً في علاج جميع ضروب النومونيا

ولكن هذه النتائج سبقها تجارب بالحيوانات . والفئران هي الحيوانات التي يغلب استعمالها في مثل هذه التجارب. الا ان الباحثين اختاروا الجرذان : وذلك لانهم وجدوا ان الجرذان تصاب بضرب من النومونيا شبيه بالنومونيا التي يصاب بها الانسان . ولما كان من المتعذر احداث النومونيا البشرية في الفئران فقد كان هذا الكشف خطوة جديدة في دراسة مادة السلفانيلاميد وتأثيرها في مرض النومونيا قبل تجربتها بالانسان . ومما هو جدير بالذكر ان الباحثين السابقين كانو قد أهملوا بحث تأثير السلفانيلاميد في النومونيا عند ما اسفرت تجاربهم في الفئران عن نتائج سلبية

﴿ الحمّى الشوكية ﴾ فلنلتفت الآن الى نتائج تطبيق هذا العلاج بواسطة الاطباء المحدثين . فمن المعروف ان الحمّى الشوكية التي يسببها مكروب النومونيا تفتك بالذين يصابون بها . واذن فعلاج هؤلاء المصابين محكٌ لوفاء هذا العقّار بالعلاج

فالسجلاّت الطبية تروي ان ٧٥ اصابة بالحمى الشوكية شفيت منذ سنة ١٨٨٨ الى الآن بأساليب مختلفة من العلاج . ولكن المجلات الطبية تبين ان اربعين اصابة بهذا المرض الفتاك شفيت في السنة الماضية بفعل السلفانيلاميد . ولا يمكن ان يسند هذا الى الصدفة . وذلك لأن هذه النتيجة تتفق ونتائج التجارب التي اجريت في بتسبرج على الجرذان ، فقد وجد الباحثون في مستشفى وسترن بنسلفانيا انهُ في الوسع احداث الحمّى الشوكية في الجرذان بجراثيم النومونوكوك ، فاذا تركت الاصابات بغير علاج فتكت بجميع المصابين بلا استثناء (مائة في مائة) . ولكن اذا اعطيت الجرذان المصابة مادة السلفانيلاميد عن طريق الفم شفي منها من ٦٠ الى ٧٥ في المائة . واذا قرن اعطاء السلفانيلاميد باستعمال مصل جديد صنع في معهد ركفلر بلغت نسبة الشفاء ٩٠ في المائة . ولا يزال هذا الموضوع في حاجة الى المزيد من البحث والتحقيق حتى تعرف التفاصيل وتقرّر النسبة الدقيقة بين الاصابات التي تشفى والتي لا تشفى ، ولكن المباحث الدقيقة

التي اجريت حتى الآن ، تقرّر القواعد العامة التي تقدم ذكرها

﴿ المقاومة الطبيعية ﴾ الا اننا لا نستطيع ان ننتقل من هذا البحث الى ما يليه بغير ان نشير الى ما اسفرت عنهُ البحث في ما للسلفانيلاميد من تأثير في التومونيا من توضيحه لمعنى « المقاومة الطبيعية » في الجسم . فنحن نعلم انهُ اذا اجتاح وباء جارف منطقة ما اصاب كثيرين من قطانها ، ولكن فريقاً من الناس يبقون غير متأثرين به يروحون ويجيئون ويقومون باعمالهم وقد يناسون في دار مجاورة لدار مصاب او في حجرة واحدة مع مصاب آخر وهُ يصابون . وكان ذلك يستوقف النظر فنسأل ما السبب وكيف السبيل الى التفسير القويم فلا نفوز بأكثر من كلمتي « المقاومة الطبيعية » . ولكن ماهي المقاومة الطبيعية ؟ وما اركانها ؟ وكيف تقوّم ؟ ان مباحث بنسبرج حوّلت هذه العبارة الغامضة الى كاشف يبين لك هل جسمك يتمتع بهذه (المقاومة الطبيعية) أو لا

فقد وجد الباحثون أنهم اذا غطسوا الأرانب في ماء بارد ثم راقبوا الفترة التي تستغرقها قبل ان تستطيع ان تتخذ هذه الفترة مقياساً لمقاومة الأرانب الطبيعية لاصابات التومونيا . فاذا كانت الفترة طويلة فمقاومتها لمكروبات التوموكوك التي تحقن بها تكون ضعيفة . واذا كانت الفترة قصيرة كانت المقاومة قوية . بل انهم وجدوا ان تسعة أرانب من عشرة تقاوم طائفة كبيرة من مكروبات التوموكوك اذا كانت الفترة المنقضية بين تغطيسها ودفنها الطبيعي قصيرة . والعلاقة بين هذه التجارب وعلاج عامة السلفانيلاميد ، ان السلفانيلاميد لا ينقذ من الذين مقاومتهم الطبيعية ضعيفة الا ٢٥ في المائة . فاذا قويت مقاومتهم باضافة فيتامين C و B ١ الى غذائهم زادت نسبة الشفاء الى ٧٥ في المائة . ثم ان الباحثين في مدرسة هارفرد الطبية ومستشفى بوسطن وجدوا ان القلب الضعيف في مدمني الكحول سببهُ الى حدّ بعيد ، نقص فيتامين B ١ من غذائهم . ولما كانت الاصابة بالتومونيا ترهق القلب فهم يشيرون بوصف هذا الفيتامين في مثل هذه الأحوال لارتفاع معدل الوفيات بينهم . ومما يؤيد هذه الطريقة ان اضافة فيتامين B ١ الى غذاء الأرانب التي ضعفت مقاومتها الطبيعية لمكروب التوموكوك ، يقوي هذه المقاومة فيها

وعلى ذلك يمكن ان يقال ان السلفانيلاميد أنجع ما يكون في اصابات التومونيا اذا كانت مقاومة المصابين الطبيعية عالية . والمتداول الآن ان يفحص المصاب ليعرف بأي ضرب من ضروب التوموكوك اصابتهُ ، ثم يعطى المصل الموافق لنوع اصابته . ولكن الفحص واستعمال المصل الموافق عمل مرهق من ناحية النفقة ولأن العامل التي يعتمد عليها في فحص البصاق لمعرفة ضرب التوموكوك ، غير متوافرة في الأرياف . فجاء السلفانيلاميد ، وهو عقار غير مسجل يفيد في مقاومة ضروب التوموكوك جميعاً ، ونفقتهُ قليلة

ولا يخفى ان المواد الكيميائية تحوّل في ايدي الباحثين والمجرّبين البارعين بعد اضافة او

حذف الى مواد اخرى تتصل بها بصلة القربى من حيث التركيب وقد تتفوقها من حيث التأثير. وقد صنع الباحثون في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، مادتين جديدتين من السلفانيلاميد بعد تعديل تركيبه ، فاذا هما على ما يروى — ولاسيما المادة التي صنعت في انكلترا وسميت M & B-693 — تأثير فعّال في مكافحة النومونيا. ولكن المدة القصيرة التي انقضت منذ تفتحت الاعين على فوائد السلفانيلاميد ومشتقاته لم تتح حتى الآن فرصة وافية للبحث المدقّق الواسع النطاق الذي يلزم في مثل هذه الحالات لمعرفة فائدة هذه المادة معرفة محقّقة

واذا صحّ ان هناك مشتقات من السلفانيلاميد تصلح على وجه خاص لمعالجة ضرب معيّن من ضروب النومونيا ، فيجب ان نذكر ان السلفانيلاميد يصلح لمعالجة ضروب النومونيا الاثنين والثلاثين ، ولا تقتصر فائدته على الضرب الثالث كما قيل اولاً

﴿ الامراض الفيروسية ﴾ اصاب السلفانيلاميد أعظم نجاح في الامراض التي ترتدّ اسبابها الى الاحياء الدقيقة المعروفة باسم بكتريا . ولكنّ هناك امراضاً ترتدّ الى مايعرف باسم « الفيروس » كمرض التوم وشلل الاطفال والحمى الصفراء والزكام وغيرها . و« الفيروس » مادة راشحة ولذلك تعذّر دراستها بالوسائل المتبعة في دراسة البكتريا . ومع ذلك فقد ثبت ان السلفانيلاميد قد حمل العلماء على التفكير في فائدة العلاج الكيميائي Chemotherapy في هذه الطائفة من الامراض . والتجارب تجرّب الآن لمعرفة تأثير السلفانيلاميد او غيره مما يشبهه في الامراض « الفيروسية »

ففي المعهد الصحي القومي بوشنطن وجد الباحثون ان مركّباً يحتوي على هذا العقار عاجز عن الفتك بالبكتريا في انبوب الاختبار ، ولكنه كان فعّالاً في قمع مرض فيروسي يصيب القردان ويدعى Chorio-meningitis . ولكن هذا المرض ليس بذي شأن خاص حتى بين امراض القردان ، وفائدة السلفانيلاميد في علاجه لا تقتضي حتماً القول بانه مفيد في علاج الامراض الفيروسية التي تصيب الانسان

ولكن هذه التجربة حملت غير واحد على البحث والاستكشاف وقد ظهر في خلال السنة الماضية ما يشير الى ان التجريب بالسلفانيلاميد يساعد الباحثين ويرشدهم الى طريق قد يفضي بهم الى كشف مركب كيميائي لقهر الفيروسات والامراض التي تسببها . ففي جامعة كولومبيا مثلاً استعمل الباحثون مركباً جديداً مشتقاً من السلفانيلاميد او مبنيّاً عليه يدعى (صوديوم — سلفانيليل — سلفانيلات) فكان له تأثير شافٍ عجيب في داء distemper في بنات عرس والارانب والهررة وفيروسات distemper في الحيوانات قريبة الصلة بالفيروسات التي تسبب الانفلونزا والزكام في الانسان. وفي الوقت الذي نجد فيه علماء كولومبيا يعدون التجارب للاستفادة من هذه الحقائق نجد غيرهم في بلدان اخرى يجرّبون تأثير مشتقات السلفانيلاميد في مكافحة اصابة الانفلونزا

البشرية في الفتان . ومن عهد قريب اذاع فريق من الباحثين نتائج تجارب تكنوا فيها من احداث مناعة جزئية في الفئران ضد الانفلونزا البشرية باستعمال احد مشتقات السلفانيلاميد . وروى جرّاح في انجلترا انه عالج بالسلفانيلاميد مرضاً فيروسياً يدعى granuloma inguinale يصيب الجلود فيحدث تورّماً في الغدد الغاوية في الحقوين وكان عدد الذين عالجهم خمسة عشر فتحسنت حالة ثلاثة عشر منهم

واذا نظرنا الى هذه الناحية نظرة اجمالية ، صحّ لنا ان نقول أن ما ثبت حتى الآن يشجع على المضي في بحث السلفانيلاميد وما لهُ ولمشتقاته من اثر في مكافحة الأمراض الفيروسية

٣ — كيف كشف وكيف يعمل

يدعى مكتشف السلفانيلاميد جلمو Gelmo وهولبس بالعالم المشهور او الطبيب العظيم ولكنهُ كان عند كشفه هذا العقّار كيميائيًّا صناعيًّا في شركة الاصباغ الألمانية الكبيرة المعروفة باسم (فرين انديستري)

كان جلمو من نحو ثلاثين سنة معنيًّا شأن غيره من الكيميائيين في معامل تلك الشركة الكبيرة بتركيب مواد كيميائية جديدة وكان أحدها أحد مشتقات قطران الفحم الحجري واسمهُ العلمي « پرا — أمينو بنزين — سلفوناميد » وهذا الاسم الضخم اختصر بعد ذلك رحمة بالناس فأصبح « سلفانيلاميد »

ركبت هذه المادة حينئذٍ ولكن أحداً لم يعلم ما لها من تأثير طبيّ لان مادة أخرى كانت موضع عناية الباحثين في ذلك العهد وهي مادة السلفرسان التي كشفها ارلخ لمعالجة الزهري . وفي سنة ١٩٣٠ أخذ بعض أطباء معهد روكفلر بنيويورك مقداراً من هذه المادة وأضافوا اليها مركبات الكبا التي كان البحث قد أثبت ان لها قدرة على الفتك بمكروبات النومونيا . وكان أملهم معلقاً على زيادة قدرة المركبات الكينية على الفتك بهذه الجراثيم باضافة السلفانيلاميد اليها . ولكن ارتباط السلفانيلاميد بجزيئات المركبات الكينية حال دون تأثيره التأثير الطبي الذي يعزى اليه الآن ، فظلت فائدتهُ الطبية مجهولة

وفي سنة ١٩٣٢ ربط بعض الكيميائيين الألمان السلفانيلاميد بمركب يحتوي على النتالين — وهو مركب يشبه المركب المستعمل في مطاردة العث — فنتج بصبغ أحمر دعي « برونوزيل » وقضى أطباء منطقة الرين ثلاث سنوات يجربونهُ في عياداتهم . وتسرّبت روايات الى المجلات الطبية عن فائدة هذا الصبغ الاحمر في معالجة اصابات تسمم الدم وغيرها . وعقب ذلك ظهور رسائل طبية متتالية بسرعة أخذت العالم الطبي دهشة واعجاباً

يُستخلص من هذه الرسائل الاولى أنك اذا أضفت البرونوزيل الى أنبوب يحتوي على

المكروبات السبروكوكية ظلت هذه الاحياء الدقيقة حية كأن شيئاً لم يحدث. ومع ذلك فاضافة هذا الصبغ نفسه الى جسم فأرة يميت دمها بالمكروبات نفسها كانت تقضي الى الفتك بالمكروبات. وظل الأمر غامضاً حتى جلاه علماء معهد باستور بباريس اذ وجدوا ان الجسم الحي يتم الصلة بين السلفانيلاميد والمركب الآخر المحتوي على الفتاين فيتطلق السلفانيلاميد يفعل فعله في المكروبات

وما عرفت هذه الحقيقة حتى أدركت قيمة السلفانيلاميد كعقار طبي نادر عجيب ومع ذلك فليس هناك ما يدل على ان السلفانيلاميد هو خير مركب من نوعه. فكما ان «البروتوزيل» فعّال لأن السلفانيلاميد داخل في تركيبه وينفصل عنهُ بفعل الجسم الحي فيفعل فعله، كذلك السلفانيلاميد قد يكون فعله ناتجاً عن تعديل يحدثهُ الجسم الحي فيه. ولعلَّ تعديلاً في ترتيب الذرات في جزيء السلفانيلاميد يفضي الى مادة من نوعه ولكنها اشد فعلاً منهُ. ولا ريب في ان التقدم في هذه الناحية متصلٌ اتصالاً وثيقاً بمعرفة الطريقة التي يؤثر بها هذا العقار في الجسم الحي. والتجارب التي جرّبت حتى الآن لم تكشف عن الجواب الوافي

فنحن نعلم ان الوف الملايين من الخلايا تجتمع في تركيب الجسم الانساني، وان الخلايا الجديدة تولد لتحلَّ محلَّ الخلايا المندثرة. ولكن هذه الخلايا تخرج احياناً — كما في السرطان — عن طورها الطبيعي في النمو فتكاثر تكاثراً لا ضابطَ لهُ فيتولد ورمٌ سرطاني. ولكن الجسم السليم مجموعة من الخلايا خاضعة لضوابط معينة. فاذا غزاهُ جيوش غريبة كالبكتريا قامت بين خلايا الجسم وهذه الاجسام الغريبة حرب، تعلَّق حياة الجسم بمصيرها

والراديوم يصلح في مكافحة السرطان لأنهُ يفتك بالخلايا الشاذة النموّ دون الخلايا السوية. وكذلك كلُّ عقّار تام الاوصاف يجب ان يكون قادراً على الفتك بالمكروبات دون خلايا الجسم. هذا المبدأ يرجع الى مباحث ارلخ الشهيرة. ولا يخفى ان هناك عقاقير كثيرة تفتك بالمكروبات في انبوب التجارب على اتم وجه ولكن استعمالها متعذر في الجسم لانها تفتك بخلاياه السليمة كذلك. ولكن نواحي اخرى من رأي ارلخ اخذت تتهاوى بين يدي البحث الحديث. فقد كان يرى العقّار التام مادة تسير نموّاً الى الاجسام المسببة للمرض فتفتك بها بغير ان تضرَّ بالجسم. وكان شأن الجسم في هذا الكفاح — بحسب رأيه — شأن المُشاهد لا اكثر ولا اقل. فالمعركة دائرة بين العقّار والمكروب. وكان يظن كذلك ان لكل نوع من المكروبات عقّاراً خاصّاً يفتك به

ومع ان الأطباء الباحثين لا يعرفون الآن كيف يفعل السلفانيلاميد فعلهُ الا انهم يعرفون ان فعلهُ لا يتسق كلَّ الاتساق مع قواعد الرأي الذي وضعهُ ارلخ منشيء طريقة العلاج بالمواد الكيميائية. فالسلفانيلاميد يفتك بغير نوع واحد من البكتريا وهناك ما يدلُّ على انهُ لا يستطيع ذلك بمعزل عن مساعدة الجسم لهُ في المعركة التي تنشب بينهُ وبين الجراثيم. فقد دلَّت

التجارب على ان السلفانيلاميد عاجز عن التأثير في الميكروبات الستريتوكوكية في انبوب التجارب ، وهذا يصدق ايضاً عجز السلفرسان عن التأثير في مكروبات الزهري في انبوب التجارب). وكل ما هنالك انهُ يملىء نكاثر الميكروبات ولا يقتلها مباشرةً الاَّ في احوال خاصة

وقد جربت تجارب كثيرة في معهد باستور بباريس وجامعة جونس هبكنز في اميركا ، أفضت الى حقيقة غريبة لا يسعنا قبولها الاَّ بعد ان تأيَّد نتائج هذه التجارب بنتائج تجارب أخرى من قبيلها في معاهد أخرى . فقد وجد الباحثون ان الفئران المصابة بالتهاب البريطون — وهو التهاب الغشاء الذي يحيط بالامعاء — لم تفد شيئاً من هذا العقَّار اذا حقنت به في موطن الاصابة . ولكنها تجني فائدة كبيرة منهُ اذا أخذ من طريق الفم . فاذا صحَّ هذا ففهمهُ غير مستطاع الاَّ بأحد تفسيرين : — إما ان تكون سوائل الجسم مما يزيد العقَّار قوة وإما ان يكون العقَّار مما يؤدي الى تحريض قوات الدفاع في الجسم ضد البكتريا . وسواء أهذا التفسير صح أم ذاك فالظاهر ان العقَّار وحده عاجز عن الفتك بالمكروبات في الجسم ، وهذا مناقض لاحدى القواعد التي قام عليها رأي أورلخ . ولكن تأثير رأي أورلخ لا يزال حيًّا ولذلك يذهب بعضهم الى القول بان للعقَّار تأثيراً باشراً في المكروبات او مفرزاتها السامة وان الجسم يدخل ميدان المعمعة بقواته الدفاعية بعد حدوث هذا التأثير

وهم يفسرون فعل السلفانيلاميد باعتمادهم على كريات الدم البيض الطافية في الدم والتي عملها أكل المكروبات الغازية للجسم . ولما كان السلفانيلاميد يبطىء تكاثر المكروبات فالغالب — في رأيهم — ان المكروبات التي تأثر به تعجز عن المكافحة ضد الكريات البيض فتلتهمها . ويذهب فريق آخر الى ان العقَّار يمنع المكروبات عن صنع الغشاء الواقي لها من فعل الكواشم (الكريات البيض التي تلتهم) . ويقول غيرهم ان السلفانيلاميد يولِّد مركباً كيمائيًّا متعادلاً باتحاده بالسموم التي تفرزها المكروبات ، فيوقي الجسم شرَّها

ومن احدث الآراء في تفسير فعل السلفانيلاميد وتأثيره في جراثيم خاصة رأي صادر عن مستشفى وسترن بنسلفانيا في مدينة بتسبرج الاميركية . وهو قائم على القول بأن الجراثيم المكاثرة تقتل نفسها بنفسها اذا لم تطرح مفرزاتها او يبدَّل فعل هذه المفرزات . ومن غرائب الاتفاق ان من اهم مفرزات الستافيلوكوك والستريتوكوك ثاني اكسيد الايدروجين (بيروكسيد) وهو المطهر المعروف باسم « أو أكسيجينه » . هذه المادة تحلُّ حال تكونها في الجسم ، ولذلك تستطيع المكروبات ان تمضي في نموها غير متأثرة بها . والمادة التي تحل ثاني اكسيد الايدروجين في الجسم من نوع الخمائر او الانزيمات وهي تدعى « كاتالاز » وتوجد عادة في الدم . فاذا استطعنا ان نبطل فعل الكاتالاز تراكم ثاني اكسيد الايدروجين فيمنع نمو البكتريا التي تولده . ومن

غريب ما كشفهُ البحث في هذا الصدد أن السلفانيلاميد يتحول داخل المكروب تحولاً يجعلهُ مبطلاً لفعل الكاتالاز ، فيتراكم ثاني اكسيد الايدروجين ويمنع نمو المكروب . واذ يكون في هذه الحالة يسهل على المواهم التهامهُ

ولكن البكتريا لها حيل في الدفاع عن نفسها ، تخدع بها المواهم . ومن حيلها أنها تتكوّر فترة تطول او تقصر فتبدو أنها ميتة ولكنها ليست بالميتة ، فاذا بدا لها أن قوى الدفاع في الجسم قد ضعفت فاقت وهاجمت الجسم بكل قواها . وهذا غير ما يراه الاطباء ضرورياً من المداومة على اعطاء المريض العقّار حتى بعد أن يتماثل الى الشفاء . وكذلك يتضح لنا أن بعض المكروبات يموت بتأثير العقار وبعضها يضعف فتلتهمهُ اللواهم وبعضها وهو أوسع حيلة وأرهف احساساً يتكوّم فوق إذا سنحت لهُ الفرصة . وهذا يبطل رأياً من الآراء التي كانت سائدة في مستهل القرن العشرين بين علماء المعالجة الكيميائية وهو أنهُ إذا ثبت أن عقّاراً ما يقتل مكروباً معيّناً فانهُ يقتل جميع المكروبات التي من نوعهِ

وبينما العلماء يبحثون عن الاسباب والتفاسير الاصلية لفعل السلفانيلاميد ، يضطرّ الاطباء ان يواجهوا كلّ يوم الحالات العملية التي يشاهدونها ولاسيما ما كان ناجماً منها عن استكنان بعض البكتريا ثم فوقتها . ولذلك عمدوا مبالغة في الحيطة الى إعطاء المريض — اذا كانت اصابتهُ حادة على وجه الخصوص — جرعات كبيرة من السلفانيلاميد اولاً ثم تتبعها جرعات صغيرة حتى يقضى على البكتريا المستكنّة . وموالاة الجرعات لازمة لان تأثير هذا العقّار لا يبقى في الجسم بعد اقترازه منهُ

ومما يؤسف لهُ في تاريخ السلفانيلاميد أن أحد البيوت الصيدلية في اميركا صنع مقادير منهُ في شكل سائل فأفضى بيع ما صنع منهُ إلى وفاة ثلاثة وسبعين مصاباً تناولوهُ فأجري بحث علمي وقانوني في المسألة وثبت أن اللوم واقع على المواد الاخرى الداخلة في تركيب السلفانيلاميد السائل لا على مادة السلفانيلاميد نفسها

ومع ما في حديث هذا العقّار من الاعاجيب ، وما أثبتهُ البحث في اميركا من ان وفاة الذين تقدم ذكرهم لم ينشأ عن مادة السلفانيلاميد نفسها ، لا بدّ للاطباء من اتخاذ الحيطة العظيمة في استعماله . وقد روت المجلات الطبية ان هذا العقار يؤثر في بعض الاحيان تأثيراً يؤذي الخلايا والانسجة ، وقد يفضي استعماله الى شكل خطر من اشكال الانيميا (فقر الدم) بزيادة العدد السويّ المقدّر كل يوم من كريات الدم الحمر . نعم أن هذه الحوادث ليست كثيرة ، وعند وقوعها يجب ان تتخذ الوسائل الفريدة المبطلة لتأثير النقصان في الكريات الحمر . وفي هذا دليل على وجوب الاعتماد على الاطباء في استعماله

انتظام السفر الجوي

عبر المحيط الاطلنطي

غلب النسر على دولته ... وتحمى لك عن عرش الهواء
وأتتك الريح تمشي أمة ... لك يا بقيص من أولى الاماء
روضت بعد جماح وجرت ... طوع سلطانك عبر ودكاء

بعد ظهر اليوم الرابع من شهر ابريل ١٩٣٩ نزلت في ميناء سوثمتن بجنوب انكلترا الطائرة الاميركية «يانكي كليبر Yankee Clipper» بعد ان أتمت المرحلة الاخيرة من رحلتها الاسكندنافية الاولى والاخيرة لطريق بطيمور ، الجزائر الخالدات (الأزورس) ، لشبونة عاصمة البرتغال ، مرسيليا ، سوثمتن . هذه الطائرة تتسع لأربعين راكباً ليليًا في خمس قمرات مقسمة ، وثمانية آلاف رطل من الامتعة والبريد . فوزنها وهي محملة ٨٠ الف رطل منها ٤٠٠٠ جالون من البنزين وعشرة آلاف رطل للركاب والامتعة والبريد وما يراد نقله بها من البضائع الثمينة

هذه الرحلة جاءت نتيجة لمباحث وتجارب ومغامرات دامت نحو عشرين سنة ، من سنة ١٩١٩ غداة الحرب الكبرى عندما اجتاز المحيط الاطلنطي أولاً بطائرة الى الآن . في خلال هذه السنين عبرت طائرات كثيرة من أميركا الى أوربا ، ومن أوربا الى أميركا . ولكن السفر الجوي بين القارتين في شمال المحيط لم ينتظم حتى الآن ، مع ان أربع سنوات انقضت منذ قامت شركة « پان أميركان أرويز » بتسيير طائراتها من غرب الولايات المتحدة الاميركية الى ساحل الصين من سان فرنسيسكو الى مانيلا عاصمة الفيليبين الى هنغ كنغ على ساحل الصين الجنوبي . والمسافة بين سان فرنسيسكو وهنغ كنغ تسعة آلاف ميل . وقد جازتها شركة « لفت هانسا » الالمانية في تسيير سفنها الهوائية تسييراً منتظماً من ساحل افريقية الغربي الى ساحل أميركا الجنوبية عابرة جنوب المحيط الاطلنطي حيث المسافة بين الساحلين ١٦٠٠ ميل

بعد انتهاء الحرب في سنة ١٩١٨ نظرت لجنة الطيران بالاسطول الاميركي ، في ما تعتمه

بالطائرات التي كانت قد صنعت في اميركا لمطاردة الغواصات في عرض المحيط ، فقررت ان تبهر العالم باجتياز المحيط الاطلنطي . وكذلك تمت الرحلة الجوية الاولى بين اميركا وأوروبا عبر ذلك المحيط اذ قضت الطائرة ٢٥ ساعة واثنتين وسبعين ساعة بين لونغ ايلند نيويورك وبليموث بانكلترا . وكان خط الطيران يشتمل على النزول في ترسي بجزيرة نيوفنلند والجزائر الخالدات (الازورس) ولشبونة عاصمة البرتغال . وصحب هذه الطائرة طائرتان NC1 و NC3 ولكنهما لم تتما الرحلة . وما انقضى أسبوعان على رحلة الطائرة الاميركية حتى فاز الكبتن جون الكوك والملازم آرثر برون الانكليزيان باجتياز المحيط الاطلنطي بغير توقف ، وذلك من سانت جون في جزيرة نيوفنلند الى كليفدن بارلندة ، في ست عشرة ساعة . ولكن المصاعب التي عانياها في اثناء الطيران ، لم تشجع على احتذائهما خلال السنوات التي تلت نجاحهما . ومع ان طائرتهما كانت من اجود الطائرات المصنوعة في ذلك العهد ، دلَّ الاختبار على ان اقتحام جوّ الاطلنطي يجب ان يؤجل الى أن يتقن المهندسون والصناع صنع الطائرات الوافية بجهد عظيم كهذا الجهد

وفي يوم ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ سرت هزة كهربائية في اعصاب العالم عند ما اذيع ان الطيار الاميركي لندبرج اجتاز المحيط الاطلنطي وحده من نيويورك الى باريس في ٣٣ ساعة

وقد كتبنا في المقتطف الغراء فوز لندبرج مقالاً عنوانهُ «غلب النسر على دولته» قلنا: «ان تاريخ الاكتشاف والارتياد بل تاريخ العلم يعيد نفسهُ . ترى الروّاد يسير بعضهم في أثر بعض ، يفوزون آناً ويخفقون آونة ولكنهم مهما تعدَّد وجوه الحيبة والظفر يتخذون من الظفر مرتبة يرقون عليها الى ظفر آخر ، ويتربصون للاخفاق حتى يثأروا لاخوانهم منهُ بظفر جديد .... ثم عدَّدنا ما احرزه الطيارون من الانتصارات الباهرة بعد اخفاق اخوان لهم سبقوهم الى الاقدام فكان نصيبهم الحيبة والموت . ثم قلنا : لقد تقدم طيران بليريو من كاليه الى دوفر انتظام السفر الجوي بين لندن وباريس ومهَّد له السبيل . وتقدم طيران الملازم ميارد من نيويورك الى سان فرنسيسكو انتظام البريد الجوي السريع بينهما ومهَّد له السبيل . وتقدم طيران الكوك وهوكر وريد طيران لندبرج وتشمبرلين ومهَّد لهما الطريق . وتقدم طيران فدرن وكوبهام وضباط الجيش الانكليزي في مصر والعراق انتظام السفر الجوّي بين هليوبوليس وبغداد وأثبت امكان انتظامه بين لندن وهليوبوليس . ومن يدري فقد يكون طيران كوبهام الى مدينة الكاب أولاً ثم من لندن الى استراليا ثانياً ، وطيران امندسن وتوبلي من سبتسبرجن الى الاسكا ، وطيران لندبرج وتشمبرلين من أميركا الى أوربا ، وطيران ده بنيدو من روما الى اميركا الجنوبية ، وطيران كوست من باريس الى طوبولسك — قد تكون جميع هذه الرحلات الجوية مقدمة لانتظام خطوط السفر الجوي البعيد المدى فترتبط البلدان المختلفة باسباب سريعة للمواصلات يصحُّ الاعتماد عليها بل

تتجاوز حدّ التخمين الى حدّ الترجيح بانها ستكون كذلك

وبعد ان قدّمنا بين اجتياز المحيط الاطلنطي بالسفن التجارية في سنة ١٨١٩ — وكان محمولها دون ٧٠٠ طن على الغالب ومدة رحلتها عشرون يوماً تقريباً — وبين اجتيازه الآن بالسفن الفاخرة التي تمدّ مدناً عائمة في اربعة ايام. قلنا: من كان يحلم سنة ١٨٣٨ ان عبور الاطلنطي بالبواخر يبلغ هذا المبلغ من السرعة والانتظام والاتقان وتوفير اسباب الرفاهة والراحة. على ان تقدم الطيران أسرع وأهم. فانهُ لم تنقض الاّ سنوات قلائل على عبور بليريو لبحر المانش بطيارته — وقد عدّ عجيبة حينئذٍ — حتى قرأنا ما قاله لندبرغ: «ظهر لي المحيط الاطلنطي كأنهُ مجاز ضيق من الماء». فماذا تكشف لنا السنوات العشر القادمة من هذا القبيل؟! انتهى ما أوردنا نقلهُ من المقال المذكور

وينتظر ان تتخذ الطائرات الاميركية في اجتيازها المحيط الاطلنطي طريقاً شمالياً في الصيف من نيوفنلند الى ارلندة وآخر جنوبياً الى الجزائر الخالدات (الازورس) فلشبونة فرسيليا فسوثمبتن. وقد عقدت شركة «بان اميركا اروبز» مع «شركة بوينغ Boeing» من ثلاث سنوات على صنع ست طائرات ضخمة للركاب لتسيير بين اميركا واوروبا وقد صنع منها حتى الآن اربع طائرات احدها الطائرة الاميركية التي وصلت الى ميناء سوثمبتن في اول هذا الشهر وهي التي اسمها «يانكي كليبر» وينتظر ان يتمّ صنع الباقيتين وتسليمهما في خلال شهر مايو سنة ١٩٣٩

هذه الطائرات اكبر الطائرات التجارية في العالم. طول الجسم في كل منها ١٠٩ اقدام. والمسافة بين طرفي الجناحين ١٥٢ قدماً وهما مخيّنان بحيث يستطيع رجل متحنٍ قليلاً ان يسير بين سطحي الجناح، وكذلك يتاح لمهندس الطائرة ان يتصل بانقواعد التي ركبت فيها المحركات في اثناء الطيران. والطائرة دكتان فيها القمرات للنوم والاكل والجلوس والمطالعة، والسقوف فيها طيعة الارتفاع، والحجر مريّحة، والمكان المعدّ لرجال الطائرة من مهندسين وخدم وغيرهم — وهم اثنا عشر — فسيح واملكهُ افسح من المكان المعدّ لجلوس جميع الركاب في طائرة كبيرة الآن

وتتسع الطائرة في اثناء النهار لاربع وسبعين راكباً عدا رجال الطائرة، ولاربعين راكباً في الليل، لان اسرّة النوم وما يتصل بها من فسحة تستأثر من فضاء الطائرة بجانب اكبر مما تستأثر به مقاعد المسافرين الجالسين

والركاب سبع حجر كبيرة، اكبرها في الوسط تستعمل لتناول الطعام ولشرب المشروبات قبل الغداء او العشاء وللمطالعة واصغرها في المؤخرة وهي لعروسين او لأسرة تستأجر على نحو ما تستأجر جناحاً خاصًّا في فندق. واثاث هاتين الحجرتين كأثاث الحجر الأخرى في الطبقة الاولى جمالاً وجودة. ويرى القارىء أمام الصفحة الأولى من هذا الجزء تصميم إحدى هذه الطائرات

مشروع لتنظيم

السكان في مصر

لدكتور ونرل كلبرتر

مدير قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية بالقاهرة

يعاني المجتمع المصري من كل جانب مشكلات اجتماعية متعددة ، من فقر ومرض وجهل وبطالة . ومع ان هناك بعض الاهتمام بمعالجة هذه المشكلات ، غير ان النشاط المبذول في هذا السبيل بطيء الاثر وغير منتظم السياق ، مما يبعث على التساؤل عن العلاج مفضين ان تقويم الامور تقويماً صحيحاً او هو لا يتعدى تهدئة الحالة تهدئة وقتية

نود جميعاً ان نرى سكان القطر المصري متمتعين بالصحة الجيدة والعقل السليم والحياة السعيدة. ولتحقيق هذه الغاية يجب ان نفكر باخلاص ونعمل بنشاط حتى نتمكن من ابتكار الحلول المطلوبة ونقوم بتنفيذها بسرعة وحزم . وسوف لا نستسلم في بحثنا هذا الى الآراء الخيالية والمشروعات التي يصعب تحقيقها . بل سنحاول فيما يلي ان نبحث بعض الحلول التي يمكن أن تؤدي الى تحسين حالة المجتمع المصري ورفع مستوى المعيشة في مصر

وقبل ان نتقدم كثيراً في هذا البحث الخطير يجدر بنا ان نلقي نظرة سريعة على الاعمال التي تمت من هذا القبيل في البلدان الاخرى . فنجد ان بعض الجماعات كثيراً ما يلجأ الى التحكم في عدد النسل او نوعه . وهذه العادة ليست وليدة اليوم بل اننا نجد لها مثيلاً في صفحات التاريخ . فقد كان من عادة اهل اسبرطه ان يقتلوا المواليد غير الاصحاء ولا يعنوا بغير ذوي البنية القوية والجسم السليم . وما زالت بعض القبائل المتوحشة تلجأ الى تحديد عدد السكان بينها بشتى الوسائل ، منها قتل الاطفال او الشيوخ او الاجهاض وتحديد الاتصال الجنسي والمحرمات الجنسية ونظام الطبقات الاجتماعية . اما وسائل انماء السكان فأهمها عادة الزواج المبكر وتعدد الزوجات

ونجد غير قليل من الدول العصرية يلجأ قصداً الى بعض الوسائل المتقدمة من طريق رسمي او غير رسمي لتوجيه حركة السكان في الناحية المرغوبة ، ومن الامثلة التي يمكن ذكرها عن الدول

الواغية في تحديد عدد سكانها ، الولايات المتحدة وهي تشدد في قيود المهاجرين الى بلادها وتفضل المهاجرين من بعض الاجناس على غيرهم . وقد سنت ٢٩ ولاية في اميركا قوانين لتعقيم غير الصالحين لاختلاف في النسل . ونجد ان حكومات بعض الدول لا تعارض في نشر وسائل منع الحمل بين الجمهور . ومن هذه بريطانيا وهولاندا والدانمرك والنروج وسويسرا وبعض الولايات الاميركية

وهناك دول اخرى تسعى الى زيادة عدد سكانها مع اصلاح النسل . فالحكومة الفرنسية تحرم بتاتاً وسائل منع الحمل وتمنح ارباب الاسر الكبيرة اعانات مالية . وايطاليا تشجع الاكثار من النسل وتنشر الدعاية لذلك وتعاقب كل من يلجأ الى وسائل منع الحمل والاجهاض وتفرض الضرائب الباهظة على العزاب ثم تمنح الاعانات المالية لمن يكثر نسلهُ . والمانيا فضلاً عن تحريمها الاجهاض فانها تقدم مساعدات مالية لراغبي الزواج وتعطي مكافأة لمن له اطفال ولاسيما من يكثر نسلهُ فانها تعفيه من دفع الضرائب

وقد روت الجرائد اليومية ان الهر هتلر أنشأ وساماً خاصًّا يمنح للامهات . يقابل ذلك ان الحكومة الالمانية قائمة بتعقيم ٤٠٠٠٠٠ شخصاً من المصابين بالامراض الوراثية ، وكذلك تحرم على الالمان الزواج من بعض الاجناس « غير الآرية »

وقد قامت الحكومة الروسية اخيراً بسن قوانين ضد الاجهاض وكثرة الطلاق وهي تبدي عناية خاصة بالامهات والاطفال

اما البلدان التي فيها نفوذ الكنيسة الكاثوليكية عظيم فانها لا تشجع اي وسيلة من وسائل تحديد النسل فوسيلته الوحيدة هناك الامتناع عن الزواج او الامتناع عن الاتصال الجنسي بين الزوجين . وتتبع بلاد السويد الآن سياسة حكيمة ترمي الى تحسين النسل مع الاحتفاظ بنسبة عدد السكان في حالة مرضية (وسكان السويد يبلغ عددهم ٦٣٠٠٠٠٠ نسمة) وذلك بالغاء القوانين التي تكافح ضبط النسل ، ونشر التعاليم الصحية والاخلاقية ، ومنح الاعانات للوالدين والشبان الذين يرغبون في الزواج وتهيئة المساكن الصحية للعائلات وتوزيع الاطعمة المغذية والعلاج المجاني للامهات والاطفال . وتوزع المدارس على طلبتها غذاء الظهر مجاناً ، فضلاً عن توزيع الاطعمة الصحية بأسعار رخيصة جدًّا بين العائلات الفقيرة التي لا عائل لها او التي يكون عائلها عاطلاً عن العمل

ومما يلاحظهُ الباحث ان السياسة الوحيدة التي كان حليفها النجاح في مسألة تنظيم السكان هي التي ترمي الى الاقلال من النسل . فعلى الرغم من القوانين الشديدة والتعاليم الدينية والمكافآت المالية والنداءات الوطنية وغير ذلك من انواع الدعاية فاننا نجد ان عدد المواليد في هبوط مستمر

ولا يستثنى من ذلك الا ايطاليا فقد ارتفعت نسبة المواليد فجأة فيها فبلغت نسبة الزيادة بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٥ نحو ٤ في الالف . ولعل السبب في ذلك يرجع الى قيام حزب النازي في بدء عهده بالحكم بسن قانون يعاقب على الاجهاض ، ولكن العدد أخذ في الهبوط بعد ذلك ، مما يدل على ان أي قانون لتنظيم السكان تضعه السلطات على الرغم من رغبة الجماهير لا بد ان يلاقي صعوبات شديدة

العوامل التي تؤثر في نمو السكان

وموقف مصر الحالي

هنالك خمسة عوامل تؤثر تأثيراً كبيراً في حالة السكان ونمو عددهم وهي : — معدل طول العمر بين السكان . والصحة العامة . ومصادر الثروة . ومستوى المعيشة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية . والصلات الدولية

(معدل الحياة الفردية) من المعروف ان نشاط اي جماعة وروحها المعنوية يتوقفان الى حدّ بعيد على معدل أعمار الافراد . فاذا كان السواد الأعظم منهم شباباً فان الحياة العامة تكون مرحة نشيطة . واذا كان الحال عكس ذلك فان الحياة الاجتماعية تكون عديمة البهجة . وفضلاً عن ذلك فان الجماعات الفتية يكون عدد الاطفال بينها كبير . أما الشيوخ فإنجابهم للاطفال يكون ضعيفاً . أضف الى ذلك ان ما يُطلب من الطعام والشراب وغيرها من الحاجيات الأخرى يختلف بين الشيوخ عنه بين الشبان . أما في وسائل اللهو فانهُ لا يمكن المقابلة بين الفريقين

وكذلك الحال في الأمم الكبيرة . فاذا كان نسبة الشباب بين السكان هو الغالب فان عدد المواليد يكون كبيراً . واذا توافرت بيئة اقتصادية حسنة للافراد لنشطت الصناعة والتجارة . وعلى الضد من ذلك اذا كان السكان يغلب بينهم الشيوخ انخفضت نسبة المواليد وتعذر ادخال التعديلات الاجتماعية وسارت الحياة الاقتصادية بخطى بطيئة . وقد كتب أحد علماء الاجتماع في مجلة اميركية شهيرة مقالاً عنوانه « تدهور نمو السكان » ورد فيه ما يأتي — اذا نقص عدد الاطفال زاد عدد الشيوخ . . . هذا هو مصير أهل الولايات المتحدة . ويمكننا ان نتصور تأثير ذلك في ازدياد مصاريف الصحة والتظارات واعانات الشيخوخة والضرائب والتعليم وغير ذلك . »

ما موقف مصر من هذه الناحية ؟ . . .

بلغ عدد سكان القطر المصري في عام ١٩٣٧ نحو ١٥و٩٠٤و٥٢٥ . وكان معدل حياة الفرد في عام ١٩٢٧ ثلاثين عاماً . وبلغت نسبة الشبان الذين يقل عمرهم عن عشرين عاماً نحو ٧ر٤٧٪ من مجموع السكان . بينما بلغت هاتان النسبتان للسكان البيض في الولايات المتحدة

عام ١٩٣٠ نحو ٦١ عاماً لمعدل حياة الفرد و٣٨ر٨ ٪ لعدد الشبان الذين دون العشرين . والواقع ان القطر المصري في وقتنا الحاضر ما زال في المرحلة التي بلغتها بلدان غرب اوربا منذ قرن وربع قرن . وهو في مستوى واحد تقريباً مع الهند حيث كان معدل الحياة الانسانية في عام ١٩٣١ نحو ٢٩ سنة . ويلاحظ ان ثلثي سكان القطر المصري اي ٦٥ ٪ منهم يقل عمرهم عن الثلاثين بينما نجد هذه النسبة في انكلترا وفرنسا بلغت ٥٠ ٪ في عام ١٩٣١ و ٥٣ ٪ في عام ١٩٢١ و ٤٧ ٪ في عام ١٩٢١

ومما يسترعي الانتباه بوجه خاص ان نسبة الاطفال الذين لا يتجاوزون الخامسة من العمر هي ٣ ر ١٢ ٪ بينما هذه النسبة في الولايات المتحدة لم تتعد ٣ ر ٩ ٪ . هذا بينما نسبة الشيوخ الذين تتجاوز اعمارهم السبعين هي ٨ ر ٦ ٪ في مصر و٥ر٨ ٪ في الولايات المتحدة . و٦ ر١١ ٪ في انكلترا و ١٤ ٪ في فرنسا . ويمكن تشبيه نسب السكان في مصر بهرم لهُ قاعدة متسعة وقمة ضيقة جداً

ومنذ ١٩٠٧ اخذت نسب الاعمار تتغير فانخفضت نسبة الاطفال الذين دون العاشرة من ٦ ر ٢٩٨ في الالف الى ٢ ر ٢٧٤ في الالف وازداد عدد الاشخاص ما بين العاشرة والاربعين من ٣ ر ٤٨٠ في الالف الى ٩ ر ٥٠٧ في الالف . وهذا دليل على ان سكان مصر يتجهون نحو الشيخوخة شيئاً . ولكن يجب ملاحظة ان ذلك من شأنه ان يزيد في عدد الاشخاص الخصبين من الناحية التناسلية اي البالغين من العمر ما بين الخامسة عشرة والتاسعة والاربعين ، وهذا يؤدي الى احتمال زيادة حالات الزواج والولادة . وفي الواقع انهُ اذا استمرت الزيادة في عدد المواليد بالنسبة الحالية فلابد ان يتضاعف عدد السكان في مدة الاثنتي والخمسين السنة القادمة . وفضلاً عن ذلك فان تحسن الحالة الصحية وما ينتج عن ذلك من قلة عدد الوفيات بين الاطفال سيؤدي الى زيادة محسوسة في عدد الشباب بين السكان ، ولا بد أن تواجه مصر في المستقبل القريب مسؤولية الاهتمام بتعليم الشبيبة وتهيئة العمل لهم ، وليس هناك ما نخشاه من خطر اتجاه السكان نحو حالة الشيخوخة والاجداب قبل قرن من الزمان . ولا بدَّ لنا من التسليم بان الكلمة العليا في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ستكون للشباب

***

﴿ الصحة العامة ﴾ من البديهي ان الروح المعنوية في اية جماعة وتقدمها يتوقفان الى حد كبير على صحة الافراد . ولا يكفي للافراد ان يتمتعوا بصحة جيدة تسمح لهم بالعمل الشر بل يجب ان يزخر قيهم الشعور بالنشاط الفياض الذي يحفزهم الى التقدم روحيًا وعقليًا

ولكن نسبة الوفيات في مصر عالية جداً فهي ٣٠ في الالف اي اعلى نسبة في العالم .

الدكتور وندل كيلند في مكتبه
مدير قسم الخدمة العامة بالجامعة الاميركية بالقاهرة

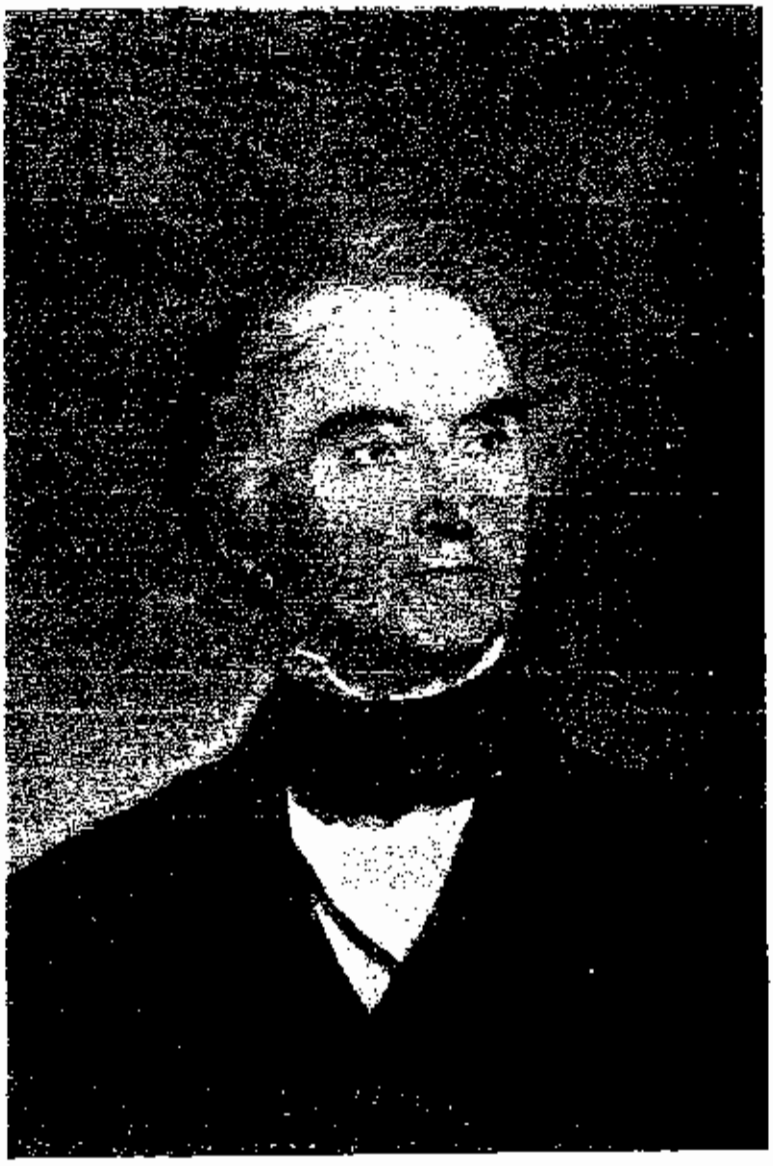

الكيميائي الالماني جوستوس فون لايبج
(راجع فصلا عن حياته وعمله صفحة ٥٦٥)

والسواد الاعظم من الوفيات هو بين الاطفال . فان نسبة الوفيات بين الاطفال بلغت ٢٠٠ في الالف من المواليد في العام

ونجد هذه النسبة بين الامم المختلفة في عام ١٩٣٣ كما يأتي : في الهند ١٧١ وفي اليابان ١٢١ وفي المجر ١٣٦ وفي بلجيكا ٩٢ وفي انكلترا وويلز ٦٤ وفي الولايات المتحدة ٥٨ وفي السويد ٥٠ وفي استراليا ٤٠ وفي زيلندا الجديدة ٣٢ . ولعل البلد الوحيد الذي يزيد فيه عدد وفيات الاطفال عن مصر هو جمهورية شيلي اذ ان النسبة فيها ٢٥٨ . واذا فرضنا ان في الوسع انقاذ ٥٠ ٪ من عدد وفيات الاطفال ، فان النسبة تكون ١٠٠ في الالف . وهذه النسبة مرتفعة اذا قابلناها بالبلدان الاخرى . ومن الواضح اننا اذا بذلنا جهودنا للعناية بالاطفال فان نسبة الوفيات بين السكان لا بد ان تنقص نقصاً محسوساً . اذ ان الوفيات بين الاطفال هي بنسبة ٦٥ ٪ من مجموع الوفيات مع ان نسبة عدد الاطفال من السكان لا تتعدى ١٤ ٪ . واذا اضفنا الى ذلك ما ينتظر من توصل العلم الى اطالة سن الرشد بين لنا ان عدد الوفيات سيقل كثيراً بين جميع الاعمار

ولكن مسألة الوفيات ليست الا ناحية واحدة لحالة السكان العامة . فقد يعيش الانسان عمراً مديداً دون ان يتذوق طعم الصحة والعافية ويكون عاجزاً عن القيام بواجبه في المجتمع على أوفى وجه . وفي مصر ملايين من الناس في مثل هذه الحالة . اذ يوجد ١٢٠ر٠٠٠ أعمى و ١٤ر٥٠٠ر٠٠٠ مصاب بالتراخوما ، و ١٠ ملايين مصاب بالبلهارسيا والانكستوما . هذا فضلاً عن الأمراض الأخرى الناشئة في العالم . ومن حسن الحظ ان مصر بلد زراعي ولذلك فأثر ضعف الصحة العامة فيها غير محسوس كما لو كانت بلداً صناعياً ، ومع ذلك فان العامل الزراعي المصري في حالة صحية غير مرضية

ومما يدعو الى التفكير انه على الرغم من ضعف الصحة العامة في مصر فلا يوجد فيها سوى طبيب واحد لكل ٥٠٠٠ من السكان . هذا مع العلم بان السواد الاعظم من الأطباء يشتغلون في المدن وليس في القرى الا عدد يسير منهم . فاننا نجد نسبة الاطباء في المدن هي طبيب لكل ١١٠٠ نسمة من السكان بينما النسبة في القرى لا تتجاوز طبيباً واحداً لكل ١٣ر٠٠٠ من السكان . مع أن ٩٠ ٪ من أهل القطر المصري في حاجة الى العلاج الطبي . وقد بلغ من سوء الحالة الصحية ان المتقدمين للقرعة العسكرية لا يصلح منهم للخدمة دون علاج سوى ٤ ٪ و ١٦ ٪ منهم يصلح للخدمة بعد معالجته . بينما ٨٠ ٪ لا يصلح قط

ونجد ان هذه النسبة في بريطانيا العظمى هي ٣٦ ٪ صالح للخدمة و ٢٢ر٥ في حاجة الى العلاج و ٤١ر٥ ٪ غير صالح للخدمة العسكرية . ومع ما تبذله وزارة الصحة من الجهد في مكافحة امراض العيون وغيرها فان نسبة انتشار هذه الامراض لم تقل كثيراً

﴿ مصادر الثروة الاهلية ﴾ يكثر ذكر الموارد الطبيعية للثروة والخامات وغير ذلك في هذه الايام . ومن الجلي انهُ ليس هناك مجتمع من الناس يمكنهُ ان يعيش بغير ان يتوافر لديه الطعام الغذي الكافي والملابس اللازمة لوقايته من تقلبات الجو . هذا فضلا عن ضرورة وجود المنتجات بكثرة تفيض عن حاجة السكان حتى يتسنى لهم المتاجرة بها مع غيرهم من البلدان . فما هو مقام مصر من ناحية الانتاج

مصدر الثروة الرئيسي في مصر هو تربتها الخصبة ومياهها الفياض العذب . فنهر النيل المبارك ينتج بمصر كل عام ما يزيد عن ٩٠ بليوناً من الامتار المكعبة من الماء . وتبلغ مساحة تربتها ١٣٫٥٠٠ ميل مربع . ويبلغ ما يستعمل منهُ للزراعة ٦٤٪ مما يقرب من ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان ، ويمكن زيادتها الى ٧٫١٠٠٫٠٠٠ اذا كان في الوسع تنفيذ بعض مشروعات الري ، لانهُ يفضل لنظام الري عندنا يمكن للارض ان تنتج محصولا ونصف محصول لكل فدان مما يجعل قيمة الاراضي الزراعية تعادل ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ فدان من ذات المحصول الواحد . وقد يمكن رفع ذلك الى ما يعادل محصول ١١٫٤٣٠٫٠٠٠ ثم ان كثافة السكان في الاراضي المعمورة بالاهالي في مصر تعادل ١١٧٥ نسمة لكل ميل مربع وهذه اعلى نسبة في العالم تعادل ضعف نسبة الازدحام ببلاد البلجيك التي تعتبر اكثر البلدان الاوربية ازدحاماً بالسكان ، ومع ذلك فاننا نجد في مصر ان كل فدان من الاراضي المزروعة يستخدم لاعالة ثلاثة اشخاص ، وهم يعتمدون على ما تنتجهُ تلك الفدادين الثلاثة للحصول على ما يلزمهم من الطعام والملبس والمسكن والتعليم والملاهي وغير ذلك من كماليات

ونجد بعض التقدم في عالم الصناعة ، فضلا عن الدلائل التي تبشر بنجاح التعدين في مصر ولاسيما البترول ، وكذلك خامات الحديد بالقرب من اسوان غير أنهُ لا يمكن استخدام اكثر من بضعة آلاف من العمال في هذا العمل

ولنبحث الآن في الثروة الاهلية وتوزيعها على الافراد . فقد جاء في بيان اصدرتهُ لجنة دراسة الفاقة في شهر يوليه الماضي ان الايراد الاهلي في عام ١٩٣٥ قدر بمبلغ ١٨٥ مليون جنيه . اي بمعدل ١٢ جنيهاً لكل فرد من سكان القطر المصري الذين يتجاوز عددهم ١٥ مليون ونصف مليون نسمة ، ولا شك ان هذا المبلغ ضئيل جداً اذا قابلناهُ بمثله في الممالك الاخرى ، ففي بلاد السويد مثلاً يبلغ معدل ايراد الفرد نحو ٦٠ جنيهاً (عام ١٩٣٥) وفي الولايات المتحدة نحو ٨٠ جنيهاً (عام ١٩٣٤)

***

غير أن ضآلة الايراد العام ليست أسوأ ما في هذه الناحية من موضوعنا . فقد يصعب علينا ان نصدق أن المصري يعيش بمبلغ جنيه واحد في الشهر على المعدل . ومع ذلك فان كثيرين من الناس

كانوا يعيشون في هناءة لو تيسر لهم ذلك . والواقع ان السواد الاعظم يعيش في شقاء وفقر لا يمكن تصوره بسبب سوء توزيع الثروة

فقد بلغ عدد اصحاب الاراضي في عام ١٩٣٥ نحو ٢٫٣٦٥٫٦٠٤ وبلغ ما يملكونه من الاراضي الزراعية ٥٫٨٣٦٫٩٥٩ فداناً . وكانت نسبة الذين يملكون أقل من ٥ فدادين نحو ٩٣٪ من مجموع الملاك . وبلغت نسبة ما يملكون ٣١٪ من مجموع الاراضي . أما عدد الملاك الذين كانوا يملكون أكثر من عشرين فداناً فكانت ١٫٥٪ من مجموع الملاك وبلغ نسبة ما يملكونه ٥٠٪ من جميع الأراضي . وعلى هذا الأساس استولى ١٫٥٪ من مجموع السكان في عام ١٩٣٥ على نصف الايراد الاهلي . أي ان ٣٣٢٫٠٠٠ رجل نال كل منهم ٤٢٠ جنيهاً بينما لم ينل باقي السكان سوى ٦ جنيهات و ٤٠٠ مليم . أما اذا قسمنا ٣١٪ من مجموع الافدنة على سواد الشعب الذي يكوّنون ٩٣٪ من السكان فان نصيب الفرد لا يتعدى مبلغ ٤ جنيهات في العام ومعنى ذلك أن العائلة المصرية العادية التي تولها خمسة اشخاص تتفاوت ميزانيتها السنوية بين ٢٠ و ٣٢ جنيهاً

ومنذ عهد قريب قدّر الدكتور ويليم ويلسن ان ادنى مبلغ لازم لتوفير غذاء متزن لشخص بالغ يعيش في عائلة هو ١٩ مليماً في اليوم اي ٦٩٣ قرشاً في العام . مع أن هذا المبلغ هو ايراد عائلة كاملة في معظم الحالات

وهذه الارقام تبين بجلاء ان القطر المصري لم يكتف بعد الموارد اللازمة لاعالة عدد من السكان اكبر من العدد الحالي . بل في الواقع ان هذه الموارد لا تكفي السكان كما هم الآن . فما بالك اذا تضاعف عددهم حوالي عام ١٩٩٠ ولا شك ان هذه الحقائق مما تبعث على التساؤل اذا كان هناك من يعتقد بان كثرة السكان يعتبر من مظاهر التقدم الاهلي اذا لم يجد الناس ما يكفي قوتهم

***

﴿ المستوى الاجتماعي ﴾ المستوى الاجتماعي في أيّ شعب يشمل كل ماله صلة بالحالة المعنوية للافراد من أذواق ورغبات ومطامع وحالة معيشتهم ومدى انتشار التعليم بينهم ومقدار تمسكهم بالدين وحالة المواصلات فضلاً عن العادات الاجتماعية ووسائل اللهو . فان هذه الامور هي التي تجعل للحياة قيمة . اذ اننا نجد ان كثيراً من الناس الذين يحيون حياة البؤس لم يجدوا احدى وسائل التسلية معها تكن ضئيلة . فيجدون ما يضحكهم او يحفزهم للكفاح والنضال . ان كثيراً مما نسمعهُ من جلجلة السيوف ليس الاّ وسيلة للتعبير عن طموحهم الى العلا تؤيده دعاية

تحدر الاعصاب قواها الاقوال الرنانة عن رفع المستوى الاجتماعي وما يلزم لذلك من المستمرات للحصول على المواد الخام او لتخفيف ضغط السكان فضلاً عما يصحب ذلك من مظاهر المجد والسلطان . وليس هناك وجه لانتقاد اي شعب لما يبدو فيه من دلائل الطموح او عدم القناعة بحياته الحالية وتطلع الى العلا والمجد ولكن ما نعترض عليه هو ان يسعى شعب من الشعوب الى كبح رغبات غيره من الشعوب او السيطرة على شعورهم . هذا ومن الحقائق التي لا يمكن لجميع الشعوب ان تستوي في مظاهر التقدم والحياة الاجتماعية، بل ان ما ندعوه بالمستوى الاجتماعي ما هو الا مجموع رغبات الافراد الذين يكوّنون الامة ولذلك فهو لا يقاس بالمقاييس المادية

فما هو مستوى المعيشة في مصر . هل يمكننا ان نصدر حكمنا استناداً الى ما نشاهده في المدن الكبرى من عمارات ضخمة وقصور فخمة ومنازل جميلة ومتاجر عامرة وشوارع متسعة وحدائق غناء وغير ذلك من اماكن اللهو والتسلية الجذابة . يحسن بنا ان نزور القرى المصرية ونمر بالاحياء الفقيرة في المدن وان نتفذ ببصرنا الى قلب البيوت الفقيرة حيث يعيش ٩٠ ٪ من سكان القطر ! وعندئذٍ يرى الانسان ان اكثر تلك المساكن تكون من ثلاث غرف صغيرة ارضها وجدرانها مبنية من الطين الاسود وسقفها من القش ، بينما الغرفة الخارجية اتخذت زريبة للماشية وعلى العموم يظهر البناء لمن يشاهده كلطخة من الوحل المجفف على سطح الارض . وقلما يجد الانسان في امثال هذه الاكواخ ما يمكن ان نسميه اثاثاً فتاع العائلة لا يتعدى اناء او اثنين للطعام وكرسيًّا من الخشب لا يكاد يصلح للجلوس وصفيحة للماء وبساط خيش يستعمل للنوم ونادراً ما نجد فراشاً حقيقيًّا للنوم

وفي الواقع ان عائلة الفلاح لا يمكنها ان تجد اكثر من جنيه او جنيهين في الشهر لسد حاجتها من طعام وشراب ولباس ووقود ، فلا عجب اذا كان أفرادها يعيشون حياة أشبه بحياة الحيوان منها بحياة الانسان . ويكسب الفلاح رزقه من محصول قطعة أرض صغيرة او بان يشتغل في حقل غيره بأجر لا يتجاوز قرشين او ثلاثة في اليوم . ومن حسن الحظ ان ما يطلب منهُ من جهد ليس شاقًّا مما يلائم جسمه الضعيف الذي أنهكتهُ ديدان البلهارسيا والانكلستوما وذهنه الخالي من العلم، وجهله بالأمور العامة . ولا شك ان هذه الحالة لا يمكن ان تبعث في نفوس الفلاح أي شعور بالطموح او الرغبة في التخلص من محيطه الضيق . والفلاح بطبيعته يؤمن بالخرافات ويعتقد ان الاقدار هي التي قضت عليه ان يكون في تلك الحالة

سألت منذ أعوام فلاحاً عن رأيه في الصراع السياسي الذي كان قائماً عندئذٍ فكان جوابه مثالاً لأقوال غيره من الفلاحين . فقد أجاب « يا خواجه إحنا مش بتاع سياسة . ما بهمناش مين يحكم في مصر (القاهرة) . كل اللي نطلبه هو أنهم يدونا ميه كتيرة ويسيبونا في حالنا »

ولا شك ان هذه الحالة مثلها ان جموع الشعوب بالرغم من الفقر الذي يسودها والامراض التي تعيث في صحتها راضية عن حالتها كل الرضى . ولا يخطر ببالها ان ترفع عقيرتها بالشكوى. ولذا فانهُ من اصعب الامور ان يبث الانسان في الجمهور روح الطموح والتطلع الى تحسين حالتهم او كسر القيود الاقتصادية والاجتماعية التي تقعدهم عن التمتع بحياة وافرة كغيرهم من بني الانسان . وقد يدعو ذلك الى التساؤل كيف يمكننا ان نشعر هذه الطبقات بخطر ازدحام السكان وضرورة تحديد النسل . ان محاولة حمل انسان على رفع مستوى معيشته شبيهة بمحاولة المنوّم المغنطيسي. وفي كلتا الحالتين لا يمكن التأثير في الشخص بالرغم من ارادته — وكل طبيب في حاجة الى معاونة للمصاب

﴿ الصلات الدولية ﴾ مما يزداد وضوحاً لنا ان ليس هناك أمة يمكنها ان تعيش في عزلة عن غيرها من الشعوب . وجميعنا نرى المصاعب التي تعانيها الشعوب التي تحاول ان تعيش بمواردها الذاتية . وقد نسأل ماذا يدعو أية دولة الى اتباع مثل هذه السياسة ما لم تكن ترمي الى شهر الحرب على غيرها من الدول . ولذا فهي لا تريد ان تعتمد على غيرها وتعرقل سياستها . ونتيجة ذلك ان ساءت التجارة العالمية وانكمشت . إذ انهُ من المستحيل على أي شعب ان يقتصر على تجارة الصادر وان يستورد البضائع دون ان يصدر الى الخارج من موارده ومنتجاته، ومما يزيد الحالة سوءاً ما تبديه تلك الحكومات « المعتمدة على نفسها » او « المكتفية بذاتها » من تهديد غيرها من الدول ، مما يبعث تلك الدول بدورها الى الاستعداد للدفاع عن نفسها فتنفق مبالغ فادحة على أدوات التسليح التي ليس لها فائدة عملية ما لم تستعمل لأغراض التدمير . وان سباسة التسابق في التسليح لا بد ان تصل الى عاقبة محزنة مهما يكن امرها

والقطر المصري يجد نفسهُ مرغماً على إنفاق مبالغ هائلة (٢٠ مليون جنيهاً للتسلح فضلاً عن ميزانية سنوية تبلغ ٧ ونصف مليون جنيهاً). وهذه المبالغ تصرف لوسائل الدفاع التي ليس من ورائها اي فائدة انشائية او اجتماعية وهي مدفوعة الى عمل ذلك اقتداء بغيرها من الدول المجاورة لها . الم يكن الافضل ان تصرف هذه الملايين لتوفير العلاج والتعليم وطرق المواصلات الجيدة والمساكن الصحية وغير ذلك . وقد جاء في مقال نشره حسن صبري باشا وزير الحربية السابق في جريدة الديلي تلغراف ، نجد انفسنا مضطرين الى احتذاء مثال غيرنا من الدول في التضحية بجانب كبير من ايرادنا وانفاقه على التسلح بدلاً من العمل على رفع مستوى شعبنا وتوفير السعادة لافراده . اتا تساءل هل من الميسر ان تنقذ الفلاح من حالة الشقاء والبؤس ما لم تعد الثقة المتبادلة بين الدول وتتعش التجارة العالمية ؟ !

[تتمة البحث في العدد القادم]

منشآت مصر الاقتصادية وأقطابها — ١

طلعت حرب

زعيم النهضة الاقتصادية المصرية

[طلب الى أحد المصريين الافاضل الذين يجمعون بين الدراسة المستفيضة لنهضة مصر الاقتصادية واتصاله الوثيق بزعيم هذه النهضة وخالقها وراعيها سعادة طلعت حرب باشا كتابة فصل في هذا الرجل الذي تفضل وواقانا بهذه الصورة الشيقة التي لاشك في أنها مصورة عما تكنه قلوب ملايين المصريين نحو بطل نهضتها الاقتصادية — المقتطف]

طلب الي المقتطف ان أكتب فصلاً عن صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا — يسهل به سلسلة مقالاته عن منشآت مصر الاقتصادية واقطابها — وهو الرجل الذي تعرفهُ مصر ويعرفهُ الشرق والعالم . وهأنذا احاول ان أرسم صورة لشخصيته الفذة متخذاً ألوانها من ألوان الصورة المنطبعة في ذهني ونفسي . وفي لفظ المحاولة اعتراف ، غير صريح ، بالعجز ! ولا غريب في ذلك . وإلاَّ فماذا نقول عن الشمس التي نراها وتلمس الارض نورها ؟ هل في قدرة مصور ماهر وكاتب بليغ ان يبرزا هذا النور ابهاج الحلي في صورة أبدع وأروع مما يعرفها الناس؟ وأن يأتيا لهم بالجديد ، ويكون للحديث جماله وسحره وللوصف قيمته ومعناه !

ومع ذلك يحلو للقلم ان يركب الصعب وان يقدم على الكثير ، في اقدامه اليوم شرف كبير ومعنى وطني سامٍ

***

عرفت محمد طلعت حرب باشا يوم ان عرفتهُ مصر بأجمعها . يوم أن نادى بأنشاء مصرف مصري صميم يحفظ للامة ثروتها وللشعب اموالهُ . وقد مددت لهُ يدي — كغيري — على البعد ، قبل ان تراه العين من قرب . فقد كنت عضواً في احدى لجان الطلبة التي تطوعت في ذلك الوقت لحث موسري القاهرة على اقتناء اسهم هذا البنك الجديد . والحق يقال انهُ لو لم تكن لحداثة السن من ميزة غير عدم الاكتراث ، لكفاها ذلك صفة لها جليلة ! كنا نخرج من بيت الى بيت أو

على الأصح ، من قصر الى قصر ، لا يثنيها رفض الأول عن طرق باب الثاني . واستمرت بها الحال اياماً وسنين يدفعها عزم الشباب وتقودها الفكرة الوطنية الجليلة التي نادى بها محمد طلعت حرب باشا

من أراد الحديث عن هذه الشخصية ، فليبدأ بعرض ذكريات تلك الايام التي صحبت اخراج فكرة تأسيس بنك مصر الى حيز العمل والوجود

كنا حتى ذلك الوقت امة تقبض على نفسها — حتى في أحلامها — بما لها تجده بين أيديها . أما المشروعات القومية المالية والاقتصادية الكبرى فقد كان الحديث فيها يؤخذ على أنهُ قصص من تلك التي ملأت أدمغة الشرق من قديم ، فأصبحت فكاهته ودعابته ومضيعة لوقته . والأجنبي بيننا ، يتغلغل في جسد الامة باحثاً عن مورد يشبعه او قطعة من الدهن يمتصها ونحن اهل الارض والماء والهواء ، نفسح له في ارضنا الطريق ، ونفطر له في هوائنا النسيم ، ونقدم له من نيلنا الماء !

امة تعدادها خمسة عشر مليوناً من البشر ، قدمت نفسها قرباناً لجماعة من خليط الاجانب راضية باسمة ، كأن الطبيعة التي أخرجت للوجود الانسان والحيوان حرَّاً طليقاً ، لم تحضَّ في ناموسها الا معهم ! او كأن الله تعالى ، رضي عن اهل الارض قاطبة ، وخص اهل الكنانة بالغضب ، خلقهم ليسيئوا الى أنفسهم بأنفسهم . . . . . حتى قبلنا العيش في حياة الذل والخنوع !!

***

هذه كانت حالنا ، وهذا كان مقامنا يوم ان وقف محمد طلعت حرب باشا ينادي بتأسيس بنك مصر

فاين تلك الايام من اليوم ؟

برهة من الزمن قدرها سبعة عشر عاماً مرت ! هي في عمر الامم ثانية أو أقل . فاذا تم في هذه الثانية ؟ ومن ذا الذي ازال الصعاب ، وغلب الاوهام ، وقلب عادات تأصلت في الادمغة والعقول ، وبدَّل أنظمة قديمة تمكنت من النفوس ؟

تأسس بنك مصر ! وفي حروف اسمه حرفاً حرفاً ما يغني عن التعريف والوصف ، فهو من مصر ولمصر . أقامهُ عزيمة جبارة تعاونها أيدٍ مخلصة أمينة على الوطن وأهله . ارتفع بناؤه وعلا بمضي السنين حتى أصبح حجر الزاوية في اقتصاد الأمة ، ومعقل ثقتها ، ورمزاً مجسماً لما فيها من حيوية كامنة ، ظلت نائمة حتى أتاها المحرك القوي والمرشد الأمين فانطلقت حية عاملة

لم يكن لمثل محمد طلعت حرب ان يكتفي بالأساس . بل أنشأ البنك وأحكم بنيانه ، ثم بنى عليه صرح الاقتصاد الشامخ ، لا يحد له من طول او عرض

ثلاثة وهبها الله الانسان فيها قوته ومنته وكرامته

ثلاثة ان هي اغتصبت منهُ سلبتهُ الطبيعة شخصيته ومميزاته فساقهُ الغير سوق العبيد والانعام

ثلاثة : هي الارض والهواء والماء ، لا وجود ولا كيان للانسان بغير حرية امتلاكها وحرية السيطرة عليها

ومصر التي أعزَّها الله بنعمة الاسلام بعد ان مكَّنها في الارض بقوة القراعنة ، اغتصب الغاصبون — على مرِّ السنين والايام — أرضها وماءها وهواءها حتى أصبح زمام أهلها بيد غيرهم

***

بعد ان أسس محمد طلعت حرب باشا بنك مصر ، جعل همه — وهو الذي لا يعرف للهدوء والراحة طعماً — ان يعيد لمصر ولأهلها ما وهبها الله من خيرات هي لهم لا لغيرهم

ولم يكن الأمر أمامه سهلاً ممهداً . فقد كانت الأمة في جوٍّ سياسي غير مستقر ، تلعب بها أهواء داخلية وخارجية . والعنصر الاجنبي فيها قوته وجبروته وهو دائب على الحد من سلطة الأمة اقتصادياً قبل كل شيء ، عاملاً بما امتدَّ له فيها من سلطان على عرقلة كل عمل وطني

ولكن أين جميع هذه العوامل من عزيمة قوية وايمان صادق ووطنية حارة ، لا تعرف وهناً ولا استكانة . واذا ارادت شيئاً كان لها ما تريد !

في خمسة عشر عاماً ، لعم في هذا الزمن القصير ، قهر محمد طلعت حرب هذه القوى التي يمتد اصلها الى عهد اسماعيل اي الى اكثر من سبعين عاماً ! !

أرجع لنا من الارض ثروتها، وأقام لنا في الهواء مكاناً ، وجعل لنا في الماء عزاً وسلطاناً :

هل زرت مصانع الغزل والنسج في المحلة الكبرى ؟[1] وهل رأيت هذه المدينة الصناعية الكبرى التي لا يملك الشرق مثلها ، والتي يعمل فيها اربعون الفاً من الايدي ، تجري في عروقها دماء المصري الصميم ؟

هل زرت دمياط ولمست حرير مصر ورأيت كيف تنسجه اليد المصرية ؟

هل زرت مصنع جلود الاسكندرية ومصبغة الحرير في حلوان ومصنع النسيج الرفيع في كفر الدوار ومعاصر الزيوت في بني قرة ومصنع الكتان في القراطين ؟ ؟

(١) اقتطف : في مقتطف يونيو التالي نشر وصفاً صناعياً اقتصادياً لهذه المصانع العظيمة

حضرة صاحب السعادة طلعت باشا حرب

هل رفعت رأسك الى الهواء وشاهدت الطيارات المصرية محلقة في جو بطائرات تقطع هواء مصر حرة طليقة شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ؟

هل ألفت الى الارض المقدسة على بواخر مصرية سيسة ؟ والى اوربا على شيلاتها ؟

من رأى كل هذا وأمضى اياماً بين كل هذا ، وقف حائراً يستعصب العقل الهامه الاجابة على : كيف ومتى وبأية عزيمة قام كل هذا لمصر ولمصر وحدها ! !

هو محمد طلعت حرب باشا الذي انشأ هذه المصالح وأوجدها وهو الذي أعاد لمصر هذه العظمة التي افتقدتها منذ انتهاء عصر الدولة المتوسطة من حكم الفراعنة !!

***

ثم كان ان اسعدني الحظ بلقائه وجهاً لوجه في جمع — بعيداً عن ارض الوطن — يتحدث فيهم عن صعاب ذلها ، قابلته وهو في طريق انشائه لاحدى شركات بنك مصر . وقد ضم الجمع نخبة من رجال مصر وشبابها في الخارج . أنصت الجمع لحديثه اجلالاً واحتراماً ، ولعلها أبرز لحظة تمثل لك فيها شخصية هذا الرجل حين يتحدث اليك عن عمل من اعماله الجليلة ، هنا ترى وتلمس صفاته بارزة في كل كلمة ينطق بها . يتحدث ولا يضن بالحديث . وتشعر من حديثه بأنه يريد منك ان تعي ما يقول ، لانه يتعمد القاء الحديث دروساً وتعاليم لمن امامه

ثم كان أن وهبني الله لحظ معرفته عن كثب . جهد لا يعرف الهدوء ، وحركة لا تعرف الراحة . لا قوته صغيرة أو كبيرة في كل عمل من هذه الاعمال الكثيرة المتشعبة . هو رأسها المدبر ويدها المحركة . وهو مع شدته في مراقبة عمل موظفيه ، يملك قلباً ملؤه العطف والحنو

***

مرت أمامه ذات يوم جموع عمال المحلة الكبرى وقت انصرافهم في المساء ، فان شاهدوه حتى تظاهروا امامه في حماسة داعين مهللين

فاذا صنع محمد طلعت حرب باشا ؟ حياهم والدموع تقطر من عينيه !

حنواً ؟ عطفاً ؟ سروراً وبهجة ؟ ام وطنية وايماناً ؟ ؟ هي كل هذا !

هي دموع جمعت كل هذه الصفات في قطرات خرجت من العين وان كان منبعها القلب!

قلب هذا الرجل الذي وهب نفسه من الصغر لأمته وشعبه ووطنه

ان اراد الله بالوطن فرجاً بعد شدة ، ويسراً بعد عسر ، وكرامة بعد مذلة ، وقوة بعد ضعف ، امدّ سبحانه وتعالى في عمر محمد طلعت حرب باشا اعواماً مديدة !

هي لنا وليست له !

الزجاج الجديد

يُمدُّ خيوطاً ويُنصبُ عجينة رخوة
ويصنع كرات تقفز ككرات المطّاط

في اساطير القدماء ان حكيماً مثل يوماً امام الامبراطور طيباريوس ليعرض عليه عجينة الدهور ، زجاجاً تلقيه على الارض ولا تكسر ، او تطرقهُ بالمطرقة فتصنع منهُ كما تصنع من الذهب ورقاً وسلكاً . فشاهد الامبراطور برومانيا ما شاهد عجباً والقى على الحكيم اسئلة عم من رده عليها ان احداً غيرهُ لا يعرف سر هذا الزجاج العجيب ثم امر بقطع رأسه لانهُ خشي ان تفضي صناعة هذا الزجاج الى بخس جواهره قيمتها

ولكن ما دفن من اسرار ذلك الزجاج في قبر ذلك الحكيم ، كشفهُ علماءُ الكيمياء الصناعية الجديدة . فهم يصنعون الآن زجاجاً يُمدُّ ويلفُّ كالاسلاك المدنية الدقيقة ، ويُنصبُ كأنه عجينة رخوة او عسل كثيف ، ويصنعون منه كرات تضرب بها الارض فتقفز ككرات المطاط . وتبلغ من عجائب اوصاف هذا الزجاج الجديد ان شعوباً هندياً كتب الى احدى الشركات التي تصنعه يسألها ما الحيلة التي تمكنهم من هذه الخدعة البارعة ! والواقع ان المصانع الاميركية تصنع زجاجاً يقتضي منا ان نغير ما قام في اذهاننا من صورة قديمة عن الزجاج ، وهو انهُ مادة شفافة سهلة التكسر صلبة لا تمد ولا تُلوى

صنع الانسان الزجاج من نحو ستة آلاف سنة ، ونوّع في شكله ولونه ، واستعملهُ في شتى الاغراض ، اوزاناً ونقداً وآنية وزجاجاً للنوافذ والابواب ، ومصابيح ومرايات ، ولكن الزجاج لم يصبح مادة حديثة بالمعنى الصحيح الاَّ بفضل الكيمياء الصناعية وفي العهد الاخير

خذ مثلاً على ذلك الخيط الزجاجي . ففي سنة ١٨٨٩ كشف الالمان طريقة لمد الزجاج خيطاً دقيقاً كخيط القطن . ولكنهُ كان قصماً سهل التكسر فظل كذلك حتى خطر لكيمياي مجهول اسلوبٌ يلتقط به الهواء ويجعله فقاعات صغيرة داخل الخيط فجعل الخيط الزجاج ليناً . وفي سنة ١٨٩٢ صنع ثوب لسائي من خيط الزجاج وباعه احد الباعة الى الاميرة اولالي

الاسبانية بستة آلاف جنيه . اما التقدم الحديث في صناعة الخيط الزجاجي فيتيح الآن شراء الخيط الزجاجي اللازم لثوب نسائي بضعة قروش ثم يمكن نسجه في مصانع النسيج الخاصة

***

يدفع الزجاج المصهور في ثقوب جهاز خاص بسرعة تفوق سرعة انطلاق الرصاصة من فوهة البندقية . ومن عجائب ما يصنع بهذه الطريقة خيط من الزجاج تمتد ستة آلاف ميل ، ولكنك مع ذلك قادر ان تلفه وتمسكه في راحة يدك واذا وزنته وجدته لا يتعدى في وزنه رطلاً واحداً . وبلغ من دقة الخيوط التي تصنع ان مائة منها اذا فتلت أصبحت في كثافة الخيط الذي نُسجت به زرّ سترتك . فمائة لا تزيد على جزء من عشرين جزءاً من الشعرة ومع ذلك فقوة معظمها تعدل قوة مثل بعض أسلاك الصلب — نحو مليون رطل للبوصة المربعة

وقد صنعت أثواب نسائية كثيرة وقبعات وأربطة العنق منذ أيام الأميرة الأسبانية في أواخر القرن الماضي . ووجوه استعمال هذا الزجاج لا يحدّ منها الا خيال المبتكرين من الصناع وقدرة الباعة على اقناع الناس باقتنائها . حتى لقد قيل ان النسيج الزجاجي آخذ ينافس القطن والحرير الصناعي . واذا صحّ ذلك فانهُ سينافس ولا ريب المطّاط وحجر القنبلة وغيرها كذلك . لأنهُ يصلح لوجوه من الاستعمال يصلحان لها ولكنهُ يفوقها في رخصه . ولعلّ أكبر عقبة دون ذيوعه ، ليست امتياز المنسوجات الأخرى عليه ، بل مقاومة الفلاحين والصناع الذين تعودوا الاعتماد في دخلهم على القطن والحرير الصناعي والطبيعي وغيرها

***

والزجاج كما لا يخفى مادة غير عضوية ، فهو غير قابل للاشتعال ، ومقاوم لتأثير الأحماض فيه ولا يتأثر بالحرارة ما زالت دون ٢٢٠٠ درجة مئوية . فهو من أصلح ما يكون لستائر المسارح والدور ، بل وللطافس التي يكثر دوسها

والنسيج المصنوع من خيط الزجاج عازل من الحرارة فهو يقي قيظ الصيف وقرّ الشتاء خارج الدار . ولذلك يصنع نسيج منهُ يوضع طبقة داخل الجدار قبل طليه . ثم أنهُ يصلح ان يحلّ محلّ حجر القنبلة لان الديدان لا تؤثر فيه ولا الجرذان ولا النيران ولا الاحماض ولا التعفن . وهو كذلك عازل للكهربائية . وقد صنعت منهُ مراتب للأسرّة ، وعصيٌّ لصيد الأسماك ، وعلاوة على هذا وذاك فقد روى احد هواة الطيور ان عصفوراً بنى عشّاً لهُ بخيوط الزجاج أخذها من مصنع قريب

ومن أعجب ما صنع حديثاً زجاج يخترقهُ ٩٩ في المائة من النور الواقع عليه

وقد كان افضل زجاج من هذا القبيل لا يخترقهُ الاَّ ٩٢ في المائة من النور الواقع عليه — واهمُّ من ذلك ان هذا الزجاج لا يعكس الضوء مهما تكن زاوية وقوع الضوء عليه او زاوية النظر اليه ولذلك يدو لك ، لما يتصف به من شدَّة الشفوف وعدم عكس الضوء ، انهُ غير موجود . ولذلك وصف بأنهُ زجاج خفي او لا يرى

***

ومن عهد قريب فاز شاب طالب بجامعة هارفرد يدعى « ادوين لاند » بصنع زجاج يعرف الآن بالزجاج المستقطب وهو يشبه الزجاج العادي الجيد في جميع خواصه ويمتاز عليه بخواص بصرية عجيبة . وهو يماثل الزجاج الذي لا يتشظى المصنوع من لوحين من الزجاج بينهما طبقة شفافة من مادة خاصة تلصق احدهما بالآخر وتمسك بشظاياهما عن الانتثار اذا كسر احدهما او كسرا معاً . والزجاج المستقطب قوامهُ لوحان كذلك بينهما صفة من خلات السلولوس وهي المادة التي يصنع منها الجرز الصناعي . وفي هذه الصفة التي تلصق اللوحين صُفَّت بلورات صغيرة مجهرية بأسلوب لا يزال سرُّه مكتوماً . فتعمل هذه البلورات فعل ستار ذي شقوق فلا تسمح باختراقها الاَّ لامواج من الضوء لها خواص معينة وتحجب الباقي . وكذلك تستطيع ان ترى من خلال هذا الزجاج المستقطب الاجسام ، ولكن وهج الضوء في الزجاج نفسه يختفي . فاذا كان الحاجز الزجاجي الذي في مقدمة سيارتك منهُ رأيت السيارة المقبلة عليك ولكن الضوء الوهاج من مصابيحها المقدمين لا تراهُ وهَّاجاً فلا يبهر عينيك ولا يحير بصرك . واذا كانت جميع السيارات التي تنطلق على الطرق العمومية في الليل مجهزة بحواجز من هذا الزجاج سهل السير ليلاً وقلَّ الخطر

ولا يخفى ان الزجاج الذي لا يتشظى كان تحفة جديدة من بضع سنوات فقدا الآن وهو الزامي بحسب القانون في ٢٧ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية

وفي الوسع استعمال الزجاج المستقطب في صنع افلام السما فيؤخذ المنظر الواحد بصورة ضوئية مزدوجة العدسة يكون الاستقطاب في إحدى العدستين أفقيًّا وفي الأخرى عموديًّا ، ثم تطبع صورتا المشهد إحداهما فوق الأخرى فيبدو المشهد وهو بارز ولهُ عمق المشهد الطبيعي

وهذه مسألة طالما سعى العلماء الى حلِّها بعد اتقان السما الناطقة فعجزوا وسيجدون في الزجاج المستقطب الحلَّ المرجوَّ

ترى هل كان الامبراطور أطيباريوس حكيماً — اذا صحَّت الاسطورة — عند ما أمر بقطع رأس ذلك الحكيم ؟

فصل من نشأتي الأدبية

رأيي في الشعر

الحديث

لعبد الرحمن شكري

بعد تركي المكتب بدأت أتعلم اللغة العربية في مدرسة بور سعيد الابتدائية سنة ١٨٩٥ على الطريقة القديمة أي طريقة حفظ الإعراب قبل دراسة قواعد النحو واللغة وكان ذلك بالسنة الاولى الابتدائية فكان الشيخ مصطفى رحمة الله عليه يملي على التلميذ بيتاً من الشعر فيكتبهُ التلميذ الصغير على السبورة ثم يعربهُ الشيخ ويحفظنا إعرابه بالعصا. ونحن لا نفهم معنى ذلك الإعراب لانا ما كنا درسنا قواعد النحو وارجو أن لا تكون قد خانتني الذاكرة في هذا الأمر فاني أريد الإنصاف ولكن الذي اذكره ان هذه كانت طريقته وكان الشيخ يختار الابيات التي تكثر فيها المحسنات البديعية من جناس وغيره. وقد كادت هذه الطريقة تُبَغِّضُ اليَّ اللغة العربية وهي على أي حال قد بغضت اليَّ كتب النحو وطريقة الجناس. الا ان تحفيظنا الشعر في الصغر جعلنا نحب الاطلاع عليه. وقد وجدت في مكتبة ابي كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ المرصفي الكبير وكان في الجزء الثاني من كتاب الوسيلة مجموعة صالحة من شعر الشعراء وكان به قصائد كثيرة للبارودي والشعراء الذين احتذى البارودي طريقتهم في قصائد مختلفة مثل الحسن بن هاني والشريف الرضي وغيرهما. وقد أفادني الشيخ المرصفي الكبير لحسن اختياره وسلامة ذوقه وموازنته بين الشعراء وسعة اطلاعه وعلو ذهنه عن التعصب لشاعر واحد أو طريقة واحدة مهما تكن جلية. فاذا كنت مديناً لأحد فأنا مدين للشيخ المرصفي الكبير بما أفادني في كتاب الوسيلة الأدبية ومدين للشعراء الذين اختار لهم. وكنت أقدم من الشعراء المعاصرين البارودي بسبب هذا الكتاب ولم اكن قد قرأت في ذلك العهد شعر شوقي أو حافظ أو خليل مطران ولم أكن قد سمعت بعضهم فاني ما كنت اقرأ الجرائد أو المجلات. وكان اطلاعي على شعراء الوسيلة الأدبية بين سنة ١٨٩٥ و ١٩٠٠ ثم انتقلت الى مدرسة رأس التين الثانوية وكان استاذنا في اللغة العربية الشيخ عبد الحكيم حسن الأختيار والشرح ولا ازال أذكر شرحه لابيات من شعر المعري يصف فيها غديراً وهي قوله :

تَظُنُّ بِهِ ذوبَ المُجَيْنِ فان بدت له الشمسُ أجرت فوقه ذوب عسجد
تبيت النجوم الزُّهرُ في حجراته شوارع مثل اللؤلؤ المتبدِّدِ
فأطْعَنَ في أشباحهنَّ سواقطاً على الماء حتى كدن يُلْقَطْنَ باليد
فَمَدَّتْ الى مثل السماء رقابها وعَبَّتْ قليلاً بين نهر وفرقد

ويعني بالضمير في مَدَّتْ الابلَ في القافلة ويعني بمثل السماء الغديرَ الذي انطبعت فيه صورة النجوم من نهر وفرقد والتي شبهها في البيت الثاني باللؤلؤ في الغدير ووصف الغدير بانهُ اذا سطع عليه القمر ليلاً وسطعت النجوم كان كذوب الفضة وبالنهار اذا سطعت عليه الشمس كان كذوب الذهب. وهذا الاختيار الحسن جعلني أغرى بأحسن ما في الشعر العربي . وكان امتاذنا في اللغة الانكليزية المستر ستيفنز لا يقتصر على الكتب المقررة بل كان يشجعنا على قراءة كتب أدب اللغة الانكليزية في طبعة سهلة رخيصة وكان يجمع منا نقوداً ويشتريها لنا فأطلعنا على مجموعة صالحة من الكتب التي كان قد سهَّل طبعها لتلاميذ المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية . ولم يقتصر على الادب بل كان يشجعنا على اقتناء نسخ رخيصة جداً ومنقحة من الصور الفنية واظن ان المستر ستيد كان ايضاً صاحب هذا المشروع. ومما يدل على تأثري بالبارودي اني رثيته عند موته بقصيدة طبعها خليل بك مطران في مجموعة مراثي البارودي ولا اذكرها الآن. ولكن لا احسب انها كانت ذات قيمة . وقد زاد اطلاعي على الادبين العربي والانكليزي في مدرسة المعلمين العليا وكانت الوزارة قد وزعت علينا كتاب الذخيرة الذهبية في الشعر الانكليزي وكتباً اخرى وكتاب الذخيرة يدل على حسن اختيار وسعة اطلاع وهذه هي الكتب التي تأثرت بها في نشأتي الاولى وقد أطلعتُ المرحوم حافظ بك ابراهيم على قصائد من قصائد الجزء الاول من ديواني في محل حضره فقطن الى اني احتذي شعراء الصنعة العباسية كما في قصيدة البيت الآتي :

عميَ الدجى عن مطلع الفجر في ليلة كخريدة الدهر

وفي هذا البيت احتذاء لقول ابن المعتز

يا ليلة نسيَ الزمان بها اجداثه كوني بلا فجر

وفي البيت :

لا تلحَ مشتاقاً على شجن ان الشباب مطيةُ العذرِ

احتذاء لقول الحسن بن هانىء : (ان الشباب مطية الجهل)

والقصيدة (أتكر أشواقي وأنت دليلها) فيها احتذاء ظاهر لقصيدة الشاعر الذي يقول

(وانت ولا منٌّ عليك حبيبها) وقصيدة (واجهة الهوى تعب) فيها احتذاء لقول الحسن بن هاني (حامل الهوى تعب) وقصيدة :

وزأولتُ السباق بها فاما ... سبقتُ البرقَ جاريتُ المرادا
بلغتُ بها المدى فلو استزادت ... عُلُوًّا ما وجدتُ المستزادا

فيها احتذاء لقول المعري :

وكم من طالبٍ أمدي سيلقى ... دوين مكانيَ السبع الشدادا
لِيَ الشرف الذي يطأ الثريا ... مع الفضل الذي بهر العبادا

والبيت : — أيُهنّدا الغريب بالبلد النا ... زح ماذا دهاك عند الغروب

فيه احتذاء لقول الشاعر ولعله العباس بن الأحنف

يا رحمة للغريب بالبلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

ولو ان الوزن مختلف . وقصيدة

فكأنّ أزاهر منثورة ... تزّ المبشر غُرّة الخير تُدي

في بعض أساليبها محاولة احتذاء مسلم في قوله (عاصي الشباب فراح غير مُفنّد) والبيت :

ذكرتُ به ليلاً كأن نجومه ... ثقوبٌ نرى منها الصباح المستّرا

فيه احتذاء لقول ابن المعتز (ثقوب نرى منها الصباح وأنقابا) وقصيدة :

شكوتُ اليه ذلّتي فتحكما ... وأرسلت دمعي شافعاً فتبرّما
وقال له الواشون أنت وصلته ... بعلك طفلاً في الكرى فتظلما
وخبّر أني سوف أخلس نظرة ... اليه فأضحى بالحياء مُلثّما

فيها احتذاء ومعارضة لقول أبي تمام

تلقّاه طفلي في الكرى فتجنّبا ... وقبّلتُ يوماً ظلّهُ فتغضّبا
وخُبّرَ أني قد مررتُ بابه ... لاخلس منهُ نظرة فتحجّبا

وقصيدة: — وكيف ألوم الدهر فيما يريبني ... وأحسن شيء في الزمان عيوبه

في بعضها احتذاء لقصيدة للشريف ومعارضة لها وهي التي يقول فيها :

وإني لعرفان الزمان وغدره ... أبيت ومالي فكرة في خطوبه .

ولم يعب حافظ ابراهيم هذا الاحتذاء وهذه المعارضة بل أثنى عليهما وقال أنهما ينجيان من رطانة الفرنجة وعلى مرّ الزمن قللت من هذا الاحتذاء الظاهر وبقيت في ذهني نصيحة حافظ وأثر الشعر العربي المختار المتنوع الذي احتذيته. وفي هذا الجزء الاول آثر أيضاً لما اطلعت عليه من الشعر الانكليزي مثل قصيدة (تحية للشمس عند شروقها) وقصيدة (حنين الغريب عند

غروب الشمس) وقصيدة (رثاء الحب) وكان ابتدائي للشعر الانكليزي في توليد الموضوعات الجديدة لا في أساليبه. وبعد انتهائي من مدرسة المعلمين سافرت في بعثة الى انكلترا سنة ١٩٠٩ اي قبل حرب العظمى بنحو خمس سنوات وطبعت الجزء الثاني بعد عودتي ولا تغلب عليه نزعة التشاؤم ولا نزعة المذهب الطبيعي ولم أفهم تمام الفهم ما يعني الكاتب بالمذهب الطبيعي. في الديوان قصائد ونظرات في حياة الامم وفي الايمان والقضاء وفي الحياة والعبادة وفي القلق الذي هو مصدر الرقي وفي الجمال والعبادة وصلتهما وفي ضحكات الاطفال وفي وصف البحر وفي معانٍ لا يدركها التعبير وفي لسان الغيب وفي الشاعر وصورة الكمال وفي عيون الندى وفي الانسان والزمن وفي ابتسامات وفي الحسن والآمال النبية وفخر الشباب والايمان بالحياة الخ. ولا يقول ان التشاؤم يغلب عليه الا من لم يتح له الاطلاع عليه او من يتعمد التضليل. وفي الديوان اثر دراسة شعراء مختلفي النزعة فلا يستطيع مطلع ان يقول انهُ تغلب عليه نزعة شاعر واحد او مذهب واحد فان كان فيه تشاؤم وحزن ففيه أمل وسرور وما يصدق على هذا الجزء يصدق على غيره. ومن المشاهد أن الشاعرين الانكليزيين اللذين تأثرت بهما في اول الامر كانا يريان وشلي وكيتس يريان لقوة شعره ويشلي لطموحه الى المثل العليا وهما من شعراء المذهب الخيالي لا المذهب الطبيعي ولولا أن التبسط في الشرح يأخذ من المجلة مكاناً أعظم لتبسطنا

***

كان هذا الشرح التاريخي ضرورة كي استخلص منهُ نصيحة للشبان وهي ان لا يقصروا اطلاعهم على شاعر دون شاعر أو على عصر من عصور الأدب دون عصر وان يكون أساس إطلاعهم الأدب العربي واما الأدب الأوروبي فهو لنا في المنزلة الثانية ولا يكون الأطلاع عليهِ مفيداً الا بعد دراسة الأدب العربي في العصور المختلفة وينبغي أن لا يغترّوا بالنظريات التي يذكرها نقاد يكتبون مقالات مطولة من غير ايراد الشواهد العديدة والأمثلة من شعر ونثر ومن غير نظر الى جوانب الموضوع، وينبغي أن لا يخدعهم قول من يريد تلقيح اللغة العربية بأساليب افرنجية الا ما كان يمكن قوله على سبيل الاستعارات والتشبيهات بحسب أصول اللغة ولو لم يطلع قائله على الشعر الأوروبي، ولا أن يخدعهم قول من يفضّل جمال الدين بن نباتة المصري على عبد العزيز بن نباتة السعدي على طريقة الاول وعظم مرتبة الثاني لان الاول كان مصريًّا ولغته أسهل وأقرب الى لغة الكلام فهذا ليس أجل شيء في الشعر وقصد جعل لغة الشعر قريبة من لغة الكلام لا يأتي بالسهل الممتنع وإلا ما سُمّي نظماً فهو ممتنع لانهُ بعيد عن ركاكة وغثاثة وفتور من محاكي لغة الكلام، وأرجو أن لا تخدعهم ايضاً الأزياء التي تذيع في الشعر أو النثر ثم لا تلبث أن تنطوي وتزول كما تنطوي الازياء وربما خلّدت قوةُ الشاعر الممتاز الذي

يكتب على منهج تلك الازياء والعادات المؤقتة قصيدة أو قصيدتين فيهما ثمرة وفكرة وروح من العبقرية والخلود ولكن اكثر شعر هذه العادات المؤقتة يُكنَس كما تُكنَس بقايا الطعام. ومن هذه العادات والازياء التي ينادي بها مذهب الرمزية فكل شاعر يستخدم الرموز ولكن ليس كل شاعر بشاعر رمزي ولا بد أن يذكر الشبان أن الشعر صنعة وأن النثر صنعة وليس معنى هذا القول انهم ينفي أن يشغلوا نفوسهم بالاساليب حتى يصبح قولهم كالكابوس فان الصنعة شيء والتصنع والتكلف أمران آخران ولا يُعرَف الفرق الا بالاطلاع على الصور المختلفة كي لا يعيش الواحد منهم عالة على شاعر واحد قديم أو حديث مهما يكن كثير الأنافة ولا يغرنهم قول من يريد أن يشركالشعر الديني بعض الآراء العامية الحديثة من غير ان تحولها كيمياء النفوس وصنعتها من صيغة العلم الى صيغة الفن ومن غير ان تختمر في وجدان الفنان ومن غير أن يمط ذوقه عنها غشاء البطالة وقلة الاتزان في المناداة بها فان تعصب الشاعر شلي لآرائه الخاطئة للاديان يقل من قيمة فنه وصنعته حتى لدى من لا يؤمنون بالاديان وانما تقل مرتبة شعره عند هؤلاء لا من اجل غيرتهم على الاديان بل من اجل ان بعض التعصب ضد الأديان يفقد الشاعر اتزانه وقدرته الفنية وذوقه. وكذلك كل تعصب لرأي سياسي او اقتصادي قد يفقد الشاعر بصيرته النفسية وذوقه ويقلل من قيمة شعره فالذوق الفني والبصيرة النفسية المتزنة لازمان حتى لشاعر الذي يريد ان يعبر عن شكوك نفسه . وكذلك احذر الشبان مما يسمى بالشعر الحر ويعني به اصحابه قصيدة تكتب اشطرها وأبياتها على بحور عروضية مختلفة وهذا الشعر يذكرني قصة ملك زنجي من اواسط افريقيا ومن رعايا الدولة البريطانية زار لندن عاصمة انكلترا فنظمت له وزارة الخارجية حفلة موسيقية وبعد توقيع الأدوار طلب الملك الزنجي ان يعاد توقيع الدور الاول فوقعه العازفون فقال ليس هذا بالدور الأول فأعادوا توقيع كل الادوار وهو يقول ليس هذا بالدور الاول وأخيراً سكت الموسيقيون للاستراحة وجعل كل منهم يصلح آلته الموسيقية وهو في اثناء اصلاحها يُخرج منها صوتاً يختلف عن اصوات الآلات الأخرى فصاح الزنجي ها هو الدور الأول. والشعر الحر المختلف الأوزان في قصيدة واحدة قصيرة وفي البيت الواحد انما هو من قبيل هذا الدور الاول . وقد بلغ من استهتار بعض الأفاضل انهم يسخرون بمن يتذوق العبارات كما يتذوق الشارب شرابه من اللذة . وربما كان فعلهم هذا من قبيل رد الفعل بسبب مغالاة بعض الشعراء في إثقال شعرهم بكابوس من الاساليب العربية الصحيحة التي ليس نحتها طائل والتي يبلونها حتى تصير اكواماً تخفي تحتها غثاثة المعنى ونضوب العاطفة . وأنا لست ممن يطري طريقة هؤلاء ولا طريقة الساخرين الذين يتجاهلون ان الشعر صنعة وانما يدفعهم الى هذا التجاهل خوفهم من كابوس التصنع

لقد نشرت في النظم والمقتطف والرسالة قصائد عديدة في المقتطف نشرت قصائد موضوعها الشعر والارتقاء والحق والحسن وقيد الماضي وحواء الخالدة وحالتان للقمر ونشرت في النظم قصيدة في الجهول والخلق العظيم ونشرت في الرسالة قصائد في موضوعات مختلفة وهي مختلفة لاختلاف جوانب القافة الشكرية والنفسية التي انشدها . وبالرغم من اجلالي لخليل بك مطران والدكتور ابي شادي اقول انها ليس فيها احتذاء لطريقة خليل بك ولا تقارب من طريقة ابي شادي في الذوق . واهداني نسخة من ديوان الشريف الرضي للاستاذ المازني سنة ١٩٠٦ يدل على مذهبي في الشعر وان كنت لا اتقاني في اساليب الشريف ولا ارفض ما عداه من شعراء عصره او العصور الاخرى . اما التقارب بيني وبين الاستاذ العقاد في الثقافة الشعرية فسببه اطلاعنا على ثقافة واحدة كما اوضحت . وقد فسر بعض الادباء شيئاً من قولي على غير ما اردت فقصيدة (بين الحب والبغض) في الجزء الثالث وهي القصيدة التي القى عنها الاستاذ المازني محاضرة كما ذكر لي في حطاب انما هي دراسة نفسية اعترت بها ابيات جميل بن معمر الشاعر العربي يقول فيها (رمى الله في عينيّ بثينة بالقذى) وقصيدة (ليتني كنت انسياً) في الجزء الثاني اعربي بنفسي الاطلاع على الخرافات الاغريقية واتأثر بقدوة هي الشاعر الالماني وهي ليس فيها تمجيد لمثل ذلك الانسان الراغب في صلاح الكون لانه لم يصلحه وفيها تمجيد للفنون ومسراتها ولكن صرف النفس عن الاحاسيس الاخرى غير الفنية مقصراً كما وصف في هذه القصيدة وكما وصف تيسون الشاعر الانكليزي في قصيدة (قصر الفن) . وكذلك يأبى بعض الافاضل الا ان يسيء تفسير قصيدة (حُلُم بابلث) وهي سخر بعيوب النفس الانسانية من تقاتل وتنافس ولمثل هؤلاء الافاضل اقول اقرأوا قصيدة (صوت الله) و(الملك الثائر) و (الارواح الطليقة) و(سجن النفيلة) و(زورة الملائكة) و(الملك الاعلى) و(صلاة مؤمن) و(الكونتن) و(الامل) . والظاهر ان القارىء لا يأخذ من قول القائل الا ما يشاء لغرض في نفسه ثم يفسره بما تشاء اهواؤه والا ما ترك قارىء قصيدة (الباحث) وغيرها من القصائد التي تدل على طموح الى المُثُل العليا وعلى امل في الحياة والانسان وما تنافى احدٌ عن ان الامتعاض والسخر قد يكونان مظهراً من مظاهر الأمل والرجاء ولما ترك القارىء قصائد عديدة في مذاهب جويتي او يرونج الثقافية وتشبث بقصائد فيها وصف خفيف لمقاصع النفس الانسانية على طريقة سوينبورن

***

هذا ولست ممن يدعي لنفسه العصمة من خطأ اللفظ أو العقل او النفس ولو اني طبعت شعري لحذفت منهُ اشياء لاقية لها ، او يُساء بها الظن على نحو ما اوضحت في هذا المقال

ولعلَّ من تمام الفائدة والحجة ان نذكر شواهد أخرى من الجزء الاول للدلالة على ما كان من احتذاء العباسيين في صناعتهم ولابطال زعم الناقد الفاضل في الجزء الاول قصيدة عنوانها (شكوى) منها :

ومُطَلِّبٍ بالعتب هجريَ لم أزل ... أداريه حتى عارضتهُ سَذَاهِبُهْ
يعالج مني بالتمر راضياً ... وأُخبُرُ غِرًّا أنكرته مذاهبُهْ
أجود بنفسي في هواه سماحة ... ويبخل بالزور الذي أنا طالبُهْ
وما كل أمر تستقيم صدوره ... لمن لم يَرُضْهُ تستقيم عواقبُهْ
لقد سامني ان أقبل الذل خلة ... هل النيل الاَّ ما تُقِلُّ مطالبُهْ
وكلَّل بي الإعراض حتى ألفتهُ ... وما كل صافي الوجه تصفو مشاربُهْ
وليلٍ كأخلاق الحليم ادَّرَعْتُهُ ... لأقضيَ او تنجاب عني عياهبُهْ

وفي هذه القصيدة احتذاء لقصيدة لبشار على الوزن والقافية والروي وفيها دعوة أيضاً الى التسامح في الاخاء وهي التي يقول فيها

اذا كنتَ في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبهْ
اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئتَ وأي الناس تصفو مشاربهْ

***

ولعلَّ ناقداً يقول كيف يتَّفق الاحتذاء وارضاء مطالب النفس وهذا الناقد يعلم ان الاحتذاء شيء والنقل والاخذ بالنص أو شبه النص شيء آخر . والاخير هو الذي لا يُرضي مطالب النفس والوجدان . وفي قصيدة (خداع النواب) في الجزء الاول وصف الطبيعة منها

نسمات الربيع تخفق كالعتـــب برفق فيعلّ الحبيب الحبيب
فهي تغدو ما بين غصنٍ نضير ... فتن حسنه وغصنٍ نضير
كالرسول الاديب بين محب ... وحبيب أو كالحكيم المشير
يعقد الصلح في أناةٍ كما يعقد ... رب النُّهى قضاء الامور
وضياء الشمس المنيرة كالبشر ... اذا ما احتواه وجه البشير
وهناك الطير المغرّد كالشاعر ... يتلو مجد الزمان النضير
نغمات لم يحْوِها المطربُ البارع ... الاَّ دعـــوى نفاق وزور

الخ . وفي اختداء لقصيدة المعري التي يقول فيها : —

نعي لخان في زوجة خضراء تشهق بزاره متورد
وغدت كل ربوة تشتهي ارقص بثوبر من النبات نضير

وفي القصيدة بعض قوافي المعري نفسها وفاق وزور من قول المعري (دعوى شقاق وزور) وتشبيه النسيم بالعتب فيه التفات الى قول جحظة (عتاب بين جحظة والزمان) . ومن فكاهات النقد ان ناقداً انتقد في قصيدة رثاء مصطفى باشا كامل قوله (وانثنى دانية والمجد عالي) وقال هذه عبارة تموزها الفخامة قلت هي من قول شاعر الفخامة الشريف الرضي : (قالبُني وافية والمجد عالي) في قصيدة له في الرثاء وزعم ناقد آخر ان عبارة (الأمل المنصول) انكليزية قلت هي من قول ابي تمام

كانت لكم اخلاقه مسولة فتركتموها وهي ملح علقم

وقد استخدمها البحتري وغيره اكثر من مرة في وصف الآثار والاحلام والايام والليالي الخ وفي الجزء الاول قطعة عنوانها (غسالة الصهباء) منها :

فتشى الخياط في الخمر حتى حجبته غسالة الصهباء

والمراد احمرار كحمرار الخمر وهذا احتذاء غسالة خمر في قول ابي تمام

خدش الماء جلده الرطب حتى خلته لابساً غسالة دكن

***

هذه الشواهد تدل على منشأ تقافي في الادب العربي كما ان قصيدة (بيرون) شاعر المذهب الخيالي في الجزء الأول تدل على منشأ ثقافي في الأدب الانكليزي وهي التي قلت فيها :

تقول فولا قُذى الدمع من شجن كأنّ قلبك مدارٌ على العبر
ألبسته من سواد الحزن عافية فخلتها من سواد القلب والبصر

ورثاء البارودي فيه دلالة اخرى كما ذكرت . ولحافظ ابراهيم نفس على الادب المصري حتى ان شوقي بك نفسه في اول امره لم يكن يتذوّق الأساليب ويتوخى الانانة حتى خشي على شعره من نبوغ حافظ واشتهاره بتذوق الأساليب فجاراه شوقي وجاراه حافظ . وقد اتممت معرفتي بأقوال جوبي الإفاني وقدوته ما بدأته معرفتي بسمة اطلاع الشيخ المرصفي الكبير في كتاب (الوسيلة الادبية) من توخي الثقافة المتعددة الجوانب وهذا موضوع يستلزم مقالاً آخر لاثباته بالشواهد والأدلة وما كتبهُ

تحسين النسل

وتأثيره في كيان الأمة

للدكتور شريف عسيران

بحثنا في مقالنا السابق مشكلة زيادة السكان وبينا بالأرقام الصحيحة ان لا زيادة حقيقية في الوقت الحاضر تدعو الامم الى النزاع والخصام وتحديد النسل بالوسائل الوحشية . ونتطرق الآن الى ناحية هذا التأثير الاكبر في كيان الامم وقوتها الجسدية والعقلية وهي نوع المواليد لا عددهم

ان الزيادة التي يكثر فيها المجانين والحمق والبله والعمي وضعفاء الجسم والمختلين والخامدون والعاطلون والشحاذون و المجرمون والمدمنون لا خير فيها وهي انتحار مدمن للامة . وقد بينا في مقالنا « العلل الوراثية الجسمية والعقلية » [1] مدى انتشارها في مختلف الامم . ومما لا شك فيه ان الامة التي تسوادها من احرد عناصرها بخير من التي تسوادها من أشدها فسادا

اذا دققنا النظر في مواليد الامم رأينا الطبقة غير المتعلمة اخصب من المتعلمة ويعزى ذلك الى عوامل عديدة أهمها (١) عدم المساواة في انتشار طرق تحديد النسل بين الطبقة المتعلمة وغير المتعلمة فالاولى اكثر الماماً بها واستعمالاً لها (٢) يحصل ارباب الحرف أو الطبقة غير المتعلمة على اعظم حد دخلهم وهم في شرخ الشباب فليس ما يدعوهم الى تأخير سن الزواج بحالة ان الطبقة المتعلمة لا تبلغ هذه الدرجة قبل سن الاربعين (٣) ان مشكلة المتعلمين الاقتصادية أعقد من مشكلة غير المتعلمين لان مستوى الطبقة الاولى الاجتماعي أعلى من مستوى الثانية فضلاً عن ان الاخيرة تعتمد على اولادها لاعالتها في شيخوختها اكثر من الاولى [2] . فهذه العوامل وغيرها تشجع كثرة تناسل الطبقات غير المتعلمة وتقلل نسل المتعلمة وتكاد بعض اصناف هذه الطبقة تبلغ العقم كما سنبين

ان عدد خريجات الجامعات اللاتي يتزوجن بعد تخرجهن يربى قليلاً على الخمسين بالمائة وقد وجد « هومز » ان نسبة خريجات جامعة كلفورنيا اللاتي تزوجن بين سنة ١٨٧٠ — ١٩١٠ كان ٥٦ بالمائة ونسبة غيرها من الجامعات تقاربها ونجد النسبة نفسها في النساء اللاتي فيهن درجة من الذكاء تجعل كسب العيش لهن ميسوراً [3] اما نسبة الرجال الذين يتزوجون فانها أعلى من

---

(١) المقتطف مارس ١٩٣٨ : ص٢١٣ (٢) ملخص من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشر تحت لفظة Eugenics (٣) The Eugenic Predicament, p. 34

النساء اذ تقرب من تسعين بالمائة وتدل ابحاث Anderson في جمعيات ألمانيا ومدارسها العالية ان معدل العمر الذي يتزوج فيه اساتذتها هو بين الثلاثين والثلاثين من العشرين ويتأخر على الاجمال بين الزواج اصحاب الحرف العالية اكثر من اصحاب المهن التي تتطلب مهارة يدوية (skilled artisans) وهؤلاء يتأخرون اكثر من تأخر ارباب المهن التي دون ذلك فيقل نسل الطبقة الاولى ويكثر نسل الثانية

ان نقص المواليد الذي ابتدأ في اكثر البلاد الاوربية منذ اواخر القرن التاسع عشر من أهم الحوادث التي تستوقف الانظار في تطور النوع البشري الحديث ومن ابرز صفات هذا النقص ان معظمه بين الطبقات الممتازة . ويظهر من احصاءات Wheelock ان معدل مواليد الاسر الارستقراطية والمثقفة بلغ ٧ في انكلترا في القرن الثامن عشر وهبط سنة ١٨٨٠ الى ٤٫٥ وسنة ١٨٩٠ الى ٣ ويظهر من استقصاء Dexter and Heron لمواليد لندن ان الاسر الكبيرة كانت منتشرة بين الطبقات الرفيعة والوضيعة والارجحية للاولى ثم هبطت وقدت سنة ١٩٠١ وهكذا شأن اكثر البلاد وقد وجد كاتل في اثناء تتبعه ٢٦١ اسرة من الاسر الاميركية المثقفة ثقافة عالية ان معدل مواليد الاسرة الواحدة ١٨٨ ويقدر ان الف اسرة اميركية من هذا النوع لا تخلف اكثر من ٣٥٠ حفيداً اذا حذفنا منها من لا يقترن من الزواج . ووجد مكرمان ان معدل اولاد اساتذة المدارس العالية في المانيا سنة ١٩١٩ يبلغ مقدار ٢٫٤٢ . وبلغ نسل اسر خريجي جامعات هارفرد سنة ١٨٨١ — ١٨٩٠ مقدار ٢٫٠٦ لكل اسرة وجامعة ييل ٢٫٠٤[1] ومن اقوال كاتل المأثورة : لخريج جامعة هارفرد ثلاثة اولاد ولخريج جامعة فاسار نصف بنت

ان جميع الاحصاءات تدل على نقص بارز بين الطبقات المثقفة التي يجب ان يتحدر منها خيرة ابناء الامة . وقد وجدوا بجامعة كليفورنيا ان عدد مواليد تلامذتها ينقص بنسبة درجة تهذيب الآباء فكلما زاد التعلم نقصت المواليد وعكس ذلك نسبة مواليد الذين لم يتجاوز آباؤهم التعليم البسيط فانها تبلغ ٤٫٦٧ واذا كان الابوان متعلمين تعليماً كافياً فتبلغ النسبة ٣٫٣٨ واذا كانا خريجي احدى الكليات فالنسبة ٣٫١٠ وهلم جرًّا . وقد درس Stevenson نصب الطبقات الصناعية في انكلترا وويلز سنة ١٩١١ فتوصل الى النسب الآتية :—

	عدد أولاد الاسرة الواحدة	عدد من عاشوا منهم
الطبقة العليا والوسطى (٢)	١٫٩٠	١٫٨٨
الطبقة السفلى	٢٫٤١	٢٫٠٥
طبقة الحرف الصناعية (Skilled)	٢٫٧٩	٢٫٣٢
طبقة الحرف شبه الصناعية (Semi-skilled)	٢٫٨٧	٢٫٣٧
طبقة الحرف الدنيئة	٣٫٣٧	٢٫٦٨

(١) The Eugenic Predicament, p. 88 (٢) The Eugenic Predicament, Holmes, p.85-88

وتوصل غيره الى النتيجة نفسها في انكلترا والولايات المتحدة ولا حاجة الى إثبات ادعاءاتهم اذ يكفينا النموذج المذكور

ليس من المعقول ان يصير الاحمق استاذاً بالرياضيات ولا يستطيع ان ينجح حتى في حرفة بسيطة كالنجارة او تصليح السيارات فحدة الحرف الدنيئة . ومن الممكن ان تجري الفروق الفردية في احتراف حرف لا تتفق وكفاءتهم ولكن لا بد ان يبلغوا يوماً ما هم اهل له . ان ارتقاء الشخص بارتقاء المهنة ينطبق على البلاد الصناعية التي يتيح فيها الفرص بوسائل التعليم على السواء ويتاح لكل منهم نفس الفرص التي تتاح للآخر فيتوصل كل فرد الى الدرجة التي يستحقها والبلاد الاميركية مثال لهذا النوع . ولكن هذا الحكم لا ينطبق على الاقاليم الزراعية حيث معظم الاهلين جهلاء لا تتاح لهم وسائط التعليم والتثقيف كالبلاد الروسية مثلاً[1]

ومن رأي هومن ان ذكاء الفرد يتناسب مع علو المهنة يعلو بعلوها وينحدر بانحدارها وتحصيل ذلك بطريقة غير مباشرة فمن به موهبة للرياضيات او الموسيقى او الرسم تدفعه عوامله الطبيعية الى اهتمام الفرص لاعتناقها ومن لا قابلية فيه لا يستطيع احترافها فيحترف ما هو ادنى منها وهذه القاعدة اجمالية لا كلية وقد اثبتها امتحانات الذكاء في الجيش الاميركي في اثناء الحرب العامة التي مع ما يشوبها من النواقص افادت بعض الفائدة من هذه الناحية . فالاشخاص المنتسبين الى الحرف العالية كانوا أعلى كعباً بمقاييس الذكاء واصحاب الحرف التي لا تتطلب مهارة جاؤوا دونهم والتجارون والبائعون والطباخون والخدامون كانوا بين بين بحسب مهنهم[2] واذا استقصينا سير اذكياء الرجال وجدنا نسبة كبيرة منهم متحدرة من طبقة متعلمة ونسبة اقل من طبقة رجال المال والاعمال اي كبار التجار واصحاب الشركات واضرابهم . ومن النادر ان نجد نوابغ متحدرين من طبقة الذين يتمهنون المهن الدنيئة . وقد جاءت نتيجات De Candelle لاعضاء المجمع العلمي الافرنسي وتتبع Galton لسير ٦٣٣ من مشهوري فرنسا وغالتون لعلماء انكلترا وهافلوك الس لنوابغ انكلترا مؤيدة لهذه النتائج وتوصل Visher الى النتيجة نفسها بتتبع انساب الرجال المذكورين في كتاب مشهوري اميركا Who's who وقد اجرى Duff and Thomson امتحان الذكاء على ١٣٤١٩ شخصاً بين سن ١٠ — ١٣ في مدارس Northumberland فوجد حاصل الذكاء ينقص كلما تدنت حرف آباء الاولاد الذين اجريت عليهم هذه التجارب بالنسب الآتية

(٣) Professional Classes اولاد اصحاب المهن الحرة ١١٢٫٣

(١) The Eugenic Predicament p. 90-91

(٢) The Eugenic Predicament, p. 93

(٣) عالمان اميركيان يضرب بهما المثل بالانحطاط العقلي

تجّار الصناعات Industrial Investors	١١٠٤٠
تجار الجملة	١٠٩٣
الجنود والبحرية ومستخدمو البريد	١٠٤٩
تجار المفردات	١٠٥٠٠
الصناعيّون Professionals	١٠٢٩
الفلاحون وعمال الزراعة	٠٩٧٠٦
عمال الحرف البسيطة Unskilled	٠٩٦٠٠

وتوصل تيرمان الى نتائج تقرب منها وتتبع بروكين Brocken نسب ٣٩٠ تلميذاً من ضعيفي العقول في مدارس مونيخ الخاصة فوجد اكثرهم من سلالة آباء يمثلون الحرف البسيطة وكان عددهم ثلاثة اضعاف الاولاد الذين يتولى آباؤهم الحرف المهمة التي تقتضي مهارة Skilled

يتضح مما تقدم ان درجة الذكاء ترتفع وتنخفض على الاجمال بارتفاع وانخفاض المهنة . ويشذ عن ذلك الطبقة التي تلي اسفل دركات الذكاء ولكن هذه الفئة قليلة في الوسع اهمالها . والطبقة الخطيرة التي تؤثر في مشكلاتنا الاجتماعية هي طبقة ضعاف العقول المسمّاة Dulles و Subnormals (١) واضرابهم في اميركا والتوسع في العالم اجمع فهذه الفئة ضربت الرقم القياسي بالشجاعة والتفنن والنجاح بواجباتهم ورغماً عن كثرة وفياتها فانها تزداد بصورة مستمرة ونذكر على سبيل المثال نموذجاً واحداً منها اي من ضعاف العقول : Jukes وهو اسم مستعار اميركية في انديانا كان لها بحسب رواية الدكتور بنار احد عشر ولداً لقطاء لكل منهم اب غير اب الآخر . وكان لأحدى بناتها الضعيفة العقل ايضاً ثمانية اولاد غير شرعيين سبعة منهم بمقياسها الذكائي وقد ولدت احداهن اربعة اولاد غير شرعيين فتحدر من هذه الفئة فقط ٢٣ ولداً غير شرعيين وتحدر من صلب بولي ٥٩ شخصاً ٣١ منهم قاصرو العقول و١٨ من هؤلاء عالة على المعاهد الخيرية وعاش ٩٦ منهم ٧٧ سنة على التفقات العامة وكلفوا مقدار ١٠٨٠٠ دولار. هذا فرع من اسرة تبلغ ٤٧٧ فرداً يتولد سبعة اجيال ويوجد كثيرات من هذا النوع . يقول هويتهام ان النساء القاصرات العقول سواء منهن المتزوجات او العازبات ولودات الدرجة قصوى فبلدن من ٥ — ٧ اولاد قبل سن ٣٠ واكثرهن يورثن ضعف العقل لاولادهن ويقول بوينو ان اشدهن نقصاً اكثرهن خصباً (٢) . وذكر السير جورج نيومان مدير صحة بريطانيا ان في عُشر الشعب البريطاني من ناقصي العقول (٣)

(١) The Eugenic Predicament, p. 96
(٢) The Eugenic Problem 96-97
(٣) Eugenic Sterilization 1936

الفلسفة الحوادثية

مذهب جديد في الفلسفة الكونية

لا جوهر ولا عرض
ليس في الكون الا حوادث متجاورة

لحنا قبان

يرتراند رسل الانكليزي من اعلام الفلسفة الاحياء اليوم ، ان لم اقل انهُ من اعظمهم الفلسفة في جميع العصور . ولهُ مؤلفات كثيرة لا داعي الى تعدادها هنا ، من أحدثها و كتاب المدعو « الفلسفة » Philosophy . أورد في الفصل الثالث والعشرين من ذلك الكتاب موازنة المذاهب الفلسفية ونقدها . ونخلص منها الى الاشارة الى تفكيره الخاص ، او مذهب الفلسفي الذي يأخذ به ، وهو ما دعوتهُ «الفلسفة الحوادثية» ، نسبة الى الحوادث جمع حادثة . وهو مذهب مطبق على آخر نظريات العلوم الطبيعية والنفسية ، وسأورد بعض اقواله في تبيان ذلك المذهب في آخر هذه المقالة

قال رسل « تعنى الفلسفة بالكون اجمالاً ، لا بالانسان وحده . وانما تقوم مكانة الانسان في انهُ الآلة التي بها يمكن فهم الكون »

الثالوث اليوناني

اقول : اذا أحللنا قول رسل هذا محل الاعتبار فأين نضع اول ثواليث الفلسفة . أعني به الثالوث المؤلف من — سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس — ؟ فإن سقراط لم يُعنَ بغير الانسان من موضوعات هذا الكون في ما نعلم . وخلاصة فلسفته يرد في القول الجامع « اعرف نفسك » . فالانسان ، اخلاقيًا وعقليًا ، هو كل ما عرفناهُ في فلسفة سقراط . ولم يحفظ لنا التاريخ اثراً سقراطيًا يثبت انهُ عني بغير الانسان من شؤون هذا الكون

أما تلميذه وخلفه افلاطون — ثاني اقانيم ذلك الثالوث — فكان أوسع تفكيراً ، وأبعد مدًى ، من استاذه وسلفه سقراط . وآثاره أوقع في النفس ، وأخلد في ميدان الجهود البشرية من آثار سقراط . على اننا اذا جمعنا تلك الآثار كتلة واحدة ، فلا نجد فيها غير الانسان ، وما يتعلق بالانسان من الابحاث والقضايا والآراء . كما يبدو ذلك واضحاً في كتاب « المائدة »

وهو حديث في حب . وكتاب « الجمهورية » وهو نظرة في « العدالة » . وكتاب « الشرائع » وهو اسم على مسمّى . وكذلك سائر مؤلفات افلاطون وهي ما يقرب من اربعين كتاباً بدأها وحبّب الانسان وشؤون الانسانية غرائبيًا وسياسيًا وفنيًا واخلاقيًا . فالانسان عند افلاطون ، كما هو عند استاذه سقراط ، محور الفلسفة . وقد ذهب ارسطوطاليس — وهو ثالث ثلاثة ذلك الثالوث — الى ابعد مما بلغ سقراط وخاض الحائط الذي تسلقها براعة افلاطون ، ولاداتها فكرة سقراط . « كالمنطق » و « علم الاحياء » و « الميتافيزكا » ، علاوة على « السياسة » و « الاخلاق » و « الظواهر الجوية » وترك لنا مائة كتاب تشتمل على خلاصة تفكيره وعلومه . وقد كانت تلك المؤلفات غزواً في جبهة الازمان . على انك اذا أنعمت النظر فيها رأيت ان جلّها ان لم يكن كلّها ، يدور حول الانسان والموضوعات المرتبطة بالانسان كما في كتبه في « السياسة » ، وفي « الاخلاق » ، وفي « المنطق » . وقد خص بعض مؤلفاته بـ « ما وراء الطبيعة »

و خلاصة ان اقانيم الثالوث الاول ، من ثواليث الفلسفة ، وهم اساطين الفلسفة القديمة ، على ما بينهم من طول اتباع ، وثاقب النظر ، كان همهم منصرفاً ، بالاكثر ، الى النظر في الانسان ومعالجة شؤونه الاجتماعية والنفسية . والانسان جزء صغير من الكون ، وصغير جدًا . فمع وافر احترامي اولئك الفحاحل الثلاثة لا أرى في تفكيرهم ما ينقع غلة ، او يشفي علة ، من حيث النظر في امر هذا الكون . فلذلك حرج رسل عن ذكر هذا الثالوث في معرض الموازنة والنقد في مورد المذاهب الفلسفية . وحصر موازنته ونقده في ثالوثين وفرد آخر . فالثالوثان هما الثالوث الاوربي والثالوث الانكليزي . والفرد الآخر هو « كانت » . فوازن رسل بين هذين الثالوثين ونقد مذاهبهم الفلسفية ، وردها الى وحدتين اساسيتين فيتين في نظام التفكير . ثم شرح وحلل فلسفة كانت . وفي آخر الحل أورد مذهبه الخاص

الثالوث الاوربي

ديكارت

ديكارت : هو ابو الفلسفة الحديثة ، وزعيم الفلاسفة في التاريخ الحديث . وبه يدخل التفكير في طوره الجديد المعروف عندنا بانهُ عبارة عن « الفصل بين الديانة وبين الفلسفة » . او استقلال الفلسفة وتحررها من الدين ، على نحو الفصل الحديث بين الكنيسة وبين السياسة

ذهب ديكارت في تفكيره ، الى وجود جوهرين مخلوقين ، او عنصرين أصليين ، هما المادة والروح . وهما غير الجوهر الخالق الازلي . ويرى ديكارت ان المادة والروح « غيران » متباينان . وهما يؤلفان الناسوت ، كما يؤلف عنصرا الاكسجين والايدروجين الماء . فالمادة تؤلف جسد

الانسان . والروح تؤلف نفسه . والناقد المزيه رى في هذا نفس العقيدة الدينية المتوارثة من عهد اوغسطينوس ، وما قبل اوغسطينوس الى عهد ارسطاطاليس ، وما بعد ارسطاطاليس . فالعقيدة الكنسية المأخوذة عن مفكري القدم ، والتي قال بها ابن سينا وابن رشد والفارابي ، هي لحمة فلسفة ديكارت وسداها . وان لم يكن هو يقصد ذلك

لا تناقض الكنيسة في عقيدتها لان مرجعها الوحي وهي مستندة الى الايمان . فهي حرة وهي فوق دائرة البحوث البشرية . وليس للانسان ميزانها الا أحد أمرين ، اما التسليم واما الجحود . فمن شاء آمن ومن شاء كفر . ومن أقدح الاغلاط ، وأشدها ضرراً الخلط بين العقيدة وبين التفكير وادماج الفلسفة في الدين ، او الدين في الفلسفة . فمرجع الفلسفة العقل ، ومرجع الدين فوق العقل وهو الوحي والالهام . وسبيل الفلسفة التفكير . وسبيل الدين الايمان . فلا دخل للكنيسة في التفكير ولا شذا فيها ، فالذي يناقش انما هو الفيلسوف ، وان حاشته تقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . ثم ان الفلسفة متغيرة والدين لا يقبل التغير والتطور

قال ديكارت بالمادة والروح . وعنده ان صفة المادة «الامتداد» وهو الطول والعرض والعمق ، وهي الصفات التي تؤلف الحجم . اما صفة الروح فهي التفكر . وليس للفكر أبعاد ولا حجم . ويرى ان هذين العنصرين منفصلين تمام الانفصال . فلا تفاعل بينهما . فالروح تثير النار . والجسم الفتش ، والسيول تجرف التراب وقطع الاخشاب او الحصى . على ان الرياح لا تثير الفكر (ماديا) ولا تجرف المياه الشعور والرأي . بل ان الحيوان يجر الاثقال المادية ولكنه لا يجر العقل ، والروح تثير الفكر ولكنها لا تثير امواه البحار . فكيف تفعل الروح في المادة ؟ كيف احرك يدي ؟ ما الصلة بين فكري ، او روحي ، وبين الجسم المحرك الذي يرفع اليد ويخفضها ؟ هذا هو المشكل الذي يعجز عنه ارباب الفلسفة الديكارتية . ويذهب ديكارت في حله الى وجود سائل في جنبات الدماغ ، او بجواره ، ويدعى ذلك السائل الارواح الحيوانية Animal Spirits يؤثر في الاعصاب المحركة ويسوقها الى العمل . ولكن هذا القول لا تؤيده الابحاث الفسيولوجية والتواميس الدينامية . والاختبار يرينا الا صلة بين العقل وبين المادة

ويذهب بعض ذراري ديكارت الى وجود توازٍ بين الروح وبين المادة . ويراد بالتوازي وحدة الميل في الاشياء ، على نحو سير الساعات المتجاورة ، دون اتصالها بعضها ببعض . يتولون هكذا النفس والجسد ، فيهما ميلان متماثلان ، او توازٍ . فحين يريد العقل ان يمشي الجسد تتحرك الرجل في الوجهة التي ارادها العقل . وكذلك حين يروم المرء العمل او الكلام ، فان اليدين واللسان مجريان طبق رغبة العقل .. هذا هو مذهب التوازي الفلسفي ولكن التوازي فرض لا يقوم على صحته دليل . فلسفة ديكارت تترك مشكلة اتصال المادة بالروح غير محلولة

سبينوزا

ابتكر سبينوزا مذهباً فلسفيًّا بديعاً ، يبتني على قواعد الهندسة ، اي المنطق فهو مستكمل الوضع ، واضح الروابط . بين لنا كتابه في « الاخلاق » Ethics مثلثة آراءه ، وسامي مداركه في هذا الشأن . فقد شاد فلسفة مفروغة على الاسس التي وضعها ديكارت ، ولكنه حسب من ذواويه . الاَّ انهُ تقدم في تفكيره خطوة يرمي بها الى حل المشكلة الآنف ذكرها — صلة المادة بالروح — فقال بوجود جوهر واحد في الكون او في الاكوان ، هو الجوهر الازلي ، فقال لا يمكن ان يوجد الاَّ جوهر واحد او عنصر واحد ، وهو الله جلَّ وعلا . فهو الكائن الأوحد ، الفرد الصمد . وعبارة سبينوزا الفلسفية هي « لاموجود غير الله » . اما الكون بأجمعهِ من مادة وعقل ، فهو صفة « الجوهر الازلي » او صيغتهُ . وان شئت فقل صيغ جمع صيغة ، قال : للجوهر الأوحد مزيتان الفكر والامتداد . يؤلف الفكر عالم الروح . ويؤلف الامتداد عالم الحس او المادة . وعليهِ فكل ما في الوجود جزء متمِّم لهما ، وهذا هو مذهب ، ثنائية الكون او الوهية الكون Dualism . وهو المذهب الذي يوحِّد المادة والروح ، ويجعلهما ظاهرتين او صفتين للجوهر الازلي . ولا أرى سبينوزا قد خرج عن حدود العقيدة الدينية المتوارثة . ففلسفته هي فلسفة ديكارت في الجوهر مع حسن الهندام والقالب الهندسي . فديكارت يجعل المادة والروح عنصرين مخلوقين أبدعهما الجوهر الازلي . اما سبينوزا فيجعلهما ظاهرتين لذلك الجوهر السامي الاوحد . فديكارت وسبينوزا سيَّان

ليبنز

نبذ ليبنز مذهب ديكارت ، كما نبذ مذهب سبينوزا ، فلم يقل بثلاثة جواهر جوهر خالق وجوهرين مخلوقين ، ولا بجوهر واحد متصف بظاهرتين ، بل ذهب الى وجود ظواهر لا يحصيها العدد هي «المونادات» ومفردها «موناد» . والموناد جوهر عقلي او قوة . وكل موناد مستقل عن كل موناد آخر . فالموناد ككرة مقفلة — صامتة — لا كوة ولا حلقة . لا كوة يطل منها على موناد آخر ، ولا حلقة تصله بموناد آخر . فالله موناد . وكل نفس هي موناد . اما الجسد فليس موناداً ، بل هو عبارة عن كتلة مونادات مجتمعة فهو يشبه القول ان الجسم العضوي مؤلف من عناصر . ولكن المادة ليست جوهراً عند ليبنز بل ان الجواهر كلها عقلية فهو يذهب مذهب هيرقليطس ودمقراط في تعدد الاصول ، او مذهب ايناغوراس القائل «باهوميومريا» ، او الخلط « ملثم » الذي منهُ تكوَّن العالمون . ويذهب مذهب التعدد هذا وليم جيمس زعيم الفلسفة العملية Pragmatism « براغماتزم » ولكن اذا كان كل موناد مستقلاً عن كل موناد آخر ، ولا كوة

ولا حقة . فكيف يمكن انتظام الكون بسير الموجودات معاً ؟ فاننا نرى الجماد والنبات والحيوان والانسان والكواكب في حالة من الانتظام ترجع عواملها إلى كلها مفاهيم . يجب البحث عن ذلك بنظرية الترتيب السابق . يقول : ان هناك تصميماً مرسوماً على كل موجود . فهو مع انهُ يعمل مستقلاً ، الا انهُ يتبع التصميم المرسوم . والنتيجة انتظام الكون . على قياس جوقة الموسيقى المؤلفة من اشخاص عديدين ، يعزف كل على حدة ، بآلة مختلفة او مخالفة الآلة التي في حيازة اخيه . ولكن جميع افراد الجوقة يتبعون في عزفهم « نوتة » مرسومة امامهم ، فيتفقون في النغم مع استقلال كل فرد منهم .

او بشبه طائفة من البنائين ، يعمل كل منهم في جهة . ولكن كل واحد يتبع التصميم المرسوم امامه ، وهو يرسم صورة اجزاء البناء متحدة . والنتيجة هي انهُ مع ان كل واحد يبني مستقلاً عن كل باني آخر ، فجميعهم يحاولون طبقاً « لترتيب سابق » . يقول ليبنتز هذي هي الموجودات يعمل كل موجود مستقلاً والنتيجة وحدة النظام . والسر في ذلك ان كل موجود يتبع الترتيب السابق

يقول رسل في نقد هذا الثالوث — ديكارت وسبينوزا وليبنتز — انهُ واحد في جوهره واساسه . فسبينوزا يجعل الكون جوهراً واحداً ازلياً . وديكارت يجعل الكوائن ثلاثة جواهر ، جوهر ازلي وجوهرين محدثين وليبنتز يجعل الاكوان جواهر لا تحد هنا هي الموجودات ، ولكن الثلاثة ذوو نزعة واحدة فيدعوهم « الجوهريين » لقولهم بالجوهر والعرض . فهم عنده فلاسفة المبتدا والخبر ، او العين والمعنى . وسآتي في ختام المقالة على نظرية رسل المخالفة الاساس الذي بنى عليه هؤلاء

الثالوث الانكليزي

اقانيم هذا الثالوث لوك وباركلي وهيوم . الاول انكليزي والثاني ارلندي والثالث اسكوتلاندي . فما هو تفكير كل واحد من هؤلاء ؟

لوك هو صديق اسحق نيوتن الشهير ومعاصره . وقد صدر كتابا الشهيران في وقت واحد . كتاب نيوتن في المبادىء Principia وكتاب لوك في تلخيص في « الفهم الانساني »

يقولون : ان لوك من مفاخر انكلترا . وانهُ احد مبدعي الحرية التي انتشرت مبادؤها في القرن الثامن عشر . وان في مؤلفاته جراثيم الثورة الانكليزية سنة ١٦٨٨ والاميركية سنة ١٧٧٦ والفرنسية سنة ١٧٨٩ . فتأثيره عميق وبعيد ، في عصره وبعد عصره ، في مصره وفي غير مصره ، يريدون بذلك تأثيره سياسياً واجتماعياً . على ان الذي يعنينا هنا انما هو مذهبه الفلسفي ، وذلك المذهب مادي في صورته تصوري في جوهره . ويانه : ان لوك ينكر التصورات

الثانية . وعبارته الفلسفية الشهيرة « ليس في العقل ما لم يكن قبلاً في الاختبار » وقد اضاف ليبنز الى هذي العبارة قوله « الا العقل نفسه » فصارت العبارة هكذا :

ليس في العقل ما لم يكن في الاختبار الا العقل نفسه

يقول لوك ان العقل « لوح صفحة بيضاء يرسم عليه الاختبار معلوماته الاولى . وهي ابدائه. فالبداهة عنده ثمرات الاختبار او الاختبارات . هذا اولاً . وثانياً ينكر لوك الروح . والمفهوم عندي انهُ لا ينكر ما ليس ماديًّا . كلاَّ بل يقول ان وجود المادة ثابت بالحس اما وجود الروح فلا دليل حسيٌّ عليهِ ، انما هو في العقل لا في الخارج . لان الروح لا تخضع للاختبارات العلمية التي تخضع لها المادة . فثبت عنده وجود المادة وانتفى وجود الروح . يضاف الى الامرين الآنفين امر ثالث وهو انكاره العلة ، او « العلية » . وهو يحسب ان اعتقاد العلة والمعلول من الأوهام التوارثة التي سادت العقول البشرية رجحاً من الزمن . وسبب وقوع البشر في هذي الهوة هو انهم حسبوا السابق علة والتالي معلولاً . كالليل والنهار . فان من الاوهام أن نحسب الليل علة النهار ، او هذا علة ذاك . . فكرة لوك ان السابقات واللاحقات هي متجاورات او بتانيات . وان الجهل جعل المتقدمات علة المتأخرات . فليس في الكون علة ومعلول . انما هناك سابق وتالٍ

فهذي الامور الثلاثة العلة والبديهة والروح ينكرها لوك . او بعبارة اضبط ينكر أمر اثباتها في الخارج بالاختبار . فهو ينكر ما لا يخضع للاختبار . ولذا تدعى فلسفة لوك المدرسة الاختبارية . اي تعتمد الاختبار لاثبات الحقائق ، ناحياً في ذلك منحى هوب وباكن. والغريب في الأمر هو ان هؤلاء الثلاثة انكليز . فاذا صح ان هنالك فلسفة انكليزية فهي الفلسفة الاختبارية ، أو الحسية

باركلي

هو ثاني اقانيم الثالوث الانكليزي ، وهو استف اولندي . يبني باركلي ، على الاساس الذي وضعهُ لوك ، مذهباً هو ضد مذهب لوك في خط مستقيم . لوك يثبت وجود المادة وينكر وجود الروح ، وباركلي يثبت وجود الروح وينكر وجود المادة . فيقول : لا شيء في الكون الا ما هو عقلي. اما المادة فوجودها في العقل وليس في الخارج . حرَّ بك ان لوك يسلم بوجود المادة في الخارج بشهادة الاختبار . اما الروح فلا دليل حسي ، أو اختباري ، على وجودها . وباركلي يرى ان وجود الروح هو الثابت بالاختبار اما وجود المادة فتصوُّر لا اكثر . قال :

— اذا رأيتَ شجرة ، فكل ما تعرفهُ عنها انما هو في نفسك لا في الشجرة . كاللون والشكل او الحجم . فهذي الصفات هي في العقل لا في الخارج

يوافق لوك باركلي في الصفات الثانوية . ولكنهُ يخالفهُ في الصفات الاولية . ولا يضاح

ذلك اقول : — قسم الطبيعيون صفات المادة الى قسمين ، اولى وثانية او ثانوية . فالاولى ما لا يمكن تصوّر المادة بدونها . والثانية ما يمكن تصوّر المادة بدونها . فالصفات الاولى الامتداد ، وعدم التداخل وتحوزها والثانوية اللون والطعم والرائحة . فيقول لوك ان هذي الاخيرة ليست في الجوهر المادي بل في العقل الذي يعالج ذلك الجوهر ، ولكن باركلي يقول ان كل صفات المادة اولية وثانوية ، هي في العقل لا في المادة . فاذا بقي من المادة ؟ لا شيء الاّ تصورها في العقل . هذا هو مذهب باركلي ، فهو مذهب تصوّري باعتبار المادة حقيقيٌّ باعتبار الروح

هيوم :

يبني هيوم على اساس سلفيه مذهباً ينافض مذهبيهما . فان لوك اثبت المادة وانكر الروح ، وباركلي اثبت الروح وانكر المادة . اما هيوم فانكر كلتا الاثنتين المادة والروح . فقال ان المادة والروح كلتيهما في العقل وليس في الخارج . فهيوم تصوري في المادة وفي الروح

هذا اثانوث الانكليزي يجذه رسل ويؤرخه على ثالوث الفارة المؤلف من ديكارت وزميليه ويقول ان حجج الثانوث الانكليزي أوضح ، وأكثر إنطباقاً على العلوم العصرية طبيعية ونفسية وهذي الفلسفة عنده كل الاعتبار والاحترام . ولكنهُ لا يعتنق هذا المذهب وان جيَّدهُ انما يورد مذهبهُ الخاص وهو الذي ادعوه « الفلسفة الحوادثية » . أو مذهب رسل الفلسفي الجديد. هنا يجدر بنا الانتباه ، وصرف الدهشة عن الافكار ليمكننا ان نتفهم ما يرومه رسل ان يملي على مسامعنا . قال في صفحة ٢٤٣ من كتابه « الفلسفة » ما نصه

ان فكرة وجود جوهر Substance دائم الوجود أو راهن ، على كل حال ، وبأي اعتبار كان ، كجوهر متصف بالاستمرار (في منوع الحالات) يجب نزعها (الفكرة) من عقولنا ، اذا رمنا انشاء فلسفة مطابقة علم الطبيعيات وعلم النفس في العصر الحاضر ، فقد رجعت الطبيعيات ، سواء كان باعتبار النسبية التي اكتشفها اينشتين ، أو نظرية الذرة التي اوضحها شرويدنجر وهايزنبرغ ، الى نظام الحوادث Events تشتمل كل حادثة « زمان مكان » ، أو « مكان زمان » . فعاملنا الألكترون أو الكهرب معاملة كائن مفرد ، هي خطأ ، كما عاملنا سكان لندن ونيويورك معاملة شخص واحد . فالذرة ، أو الجوهر الفرد ، وهو لبنة البناء المادي الاولى ، ليست وحدة ، بل هي مجموع وحدات هي الحوادث . فالشحنة الكهربائية الايجابية هي حادثة . والشحنة السلبية حادثة . ودوران هذي حول تلك حادثة . وارتباط الكهارب بالالكترونات بحيث تتألف منها الذرات "Atoms" كذرة الاورانيوم مثلاً ، هي عبارة عن طائفة من الحوادث مجتمعة مترابطة ، وبزوغ النور حادثة او سلسلة حوادث . ومثله هزيم الرعد ، وقصف المدافع ، وغناء العندليب ،

وصاح الديك بان الدهر والديك والقديم — وجميع الكوائن — ليست الا سلاسل وتجاميع من الحوادث متجاورة ومتتابعة . فقولنا « مادة » للدلالة على شيء قد انتهى وزال فلا مادة . ليس الا الحوادث . هذا ما يقال في عالم المادة والاجسام المحسوسة وغير المحسوسة

وكذلك في علم النفس Psychology قد زالت الذات منه وليس الا الحوادث . فالشخصية عبارة عن طوائف من الحوادث مجتمعة مترابطة . يؤلف بعضها ما ندعوه العظم . وبعضها ما ندعوه اللحم . وبعضها ما ندعوه الدم ، او العصب الخ . وكذلك بعضها يؤلف ما ندعوه الفكر ، او الذكر ، او الخيال ، او الارادة . وتكون مجموع الحوادث في صورة معلومة عندنا هي ما ندعوه الشخصية . وليست الشخصية ذاتاً . انما هي عبارة عن حوادث مترابطة في نظام مقرر . فكل ما في العناصر والمركبات انما هو كواكب وبروتونات . وهذي الاشياء حوادث مترابطة في نظام او بحسب نظام

فقواعد المبتدأ والخبر تعود الى الضلال في الفلسفة . فليس هنالك مسند ومسند اليه في الكون . انما هنالك مسند الذات . وليس ثمة ذات وصفة انما هنالك حوادث تؤلف ما ندعوه ذاتاً وما ندعوه صفة او صفات

فالمبتدأ والخبر قد دخلا في جبر كان اتقصة اشبه من اوهام الاقدمين . ويجب ان نفهم ان الاسباب الدانية الى انكار الجوهر Substance هي نفسها تدعو الى انكار الاشياء Things والاشخاص Persons فالعبارة النحوية « اجلس الى مكتبي » عبارت فلسفيًا كما يأتي : —

ان احدى سلاسل الحوادث المترابطة ترابطاً عليًا في نوح يجعلها تدعى شخصاً لها علاقة قضائية بسلسلة اخرى من الحوادث المترابطة ترابطاً عليًا وحجم هندسي يحمل اسم مكتب »

ذلك ما يجب ان يقوله الفيلسوف بدل « قوله اجلس الى مكتبي »

قال رسل في مطلع الفصل السادس والعشرين من كتاب الفلسفة : —

ان كون كل شيء ، في الدنيا مؤلف من الحوادث هو القضية التي اتفهم بها وعليه فقد زالت الجواهر والاعراض ، كما زالت العلة والمعلولات وليس ثمة سوى الحوادث المترابطة المتجاورة

فتنتهي نظريات ارسطوطاليس ، وتزول سيطرتها على الفكر البشري ، كما تزول نظريات ديكارت ومن بعده من المفكرين وتحل محلها الحوادث وعلاقاتها كما قال بها منكوفسكي ولورنس واينشتين وبور وبلانك وهايزنبرج وكذلك النظريات الحديثة في علم النفس التي يقول بها فرويد وبكدوجل والمدرسة الالمانية الحديثة « جشتالت » النموذجية ومقررات المجامع السيكولوجية التي تنفي الذاتية الراهنة في مختلف الحالات ، وترى ان الظاهرات النفسية وحدات متجاورة لاصفات ذات مستترة وراءها . هذي هي فلسفة الحوادث التي يقول بها برتراند رسل

ومن رام الوقوف عليها بحذافيرها فليراجع كتابه الذي عنهُ أخذت وهو Philosophy

جستوس فون لايبج

Justus von Liebig

١٨٠٣ — ١٨٧٣

لحسن السلحدار

انحدر فون لايبج من عائلة فقيرة كانت تستوطن اريف دارمستات وتعيش على ما تجنيه من فلح الارض وزرعها . كان والده عطاراً يصنع بعض الاصباغ غير العضوية ويبيعها مع ما كان يبيعه من ادوية عتيقة . وقد تمكن هذا العطار على جهله بأسرار الكيمياء وقوانينها من تحضير بعض المواد الكيميائية في مختبره الصغير الذي يشغل الطابق الارضي من حانوته ، فقد ورد في بعض رسائل لايبج ان والده حضر غاز الاستصباح قبل ان يكتشفه الكيميائيون وانه اجرى تجارب عديدة مختلفة على الاسيدة وعلى بعض المواد العضوية

كان جستوس ثاني ولد لابيه ، وكان لوالده عشرة اطفال لم يؤات الحظ احداً منهم تماما وافى لايبج . واضطر لايبج ان يترك المدرسة الثانوية قبل إنجاز دراسته لفقر والده ولانه عاف الاسلوب الدراسي المتبع يوم ذاك فيها . فلقد كان الهدف الذي ترمي اليه مدرسته هو تحفيظ تلامذتها مفردات اللغة الجرمانية مع استظهار قواعدها ، وهذا ما لم يستسغه عقل لايبج ولم تستطبه نفسه . فاعتزم ان يطرق ابواب الحياة وهو في الرابعة عشرة من عمره مؤملاً ان تكون دروسها اكثر نفعاً واعمق اثراً . ولما لم يوفق الى عمل يعيش منه انتظم بحانوت أبيه يساعده في عمله نهاراً وفي اجراء تجاربه وتحضير مستحضراته ليلاً . ولقد قضى على هذا النحو من الحياة عامين كاملين عرف الشيء الكثير من اسرار الكيمياء وحقائقها ووجد متسعاً من الوقت لمطالعة عدد ليس بالقليل من الكتب الكيميائية . ففي هذا الحانوت الصغير هذبت عقلية لايبج فاكتسب اسلوباً تجريبيًّا في معالجة القضايا العلمية واسلوباً ادبيًّا رصيناً فشبَّ وهو مهيأ لتحرير الرسائل العلمية وللانتاج الكيميائي

كانت جامعات المانيا يوم ذاك مفتقرة الى الاساتذة البارزين في دوائر العلم ، وكان معظم من يدرس فيها يخلط بين البحث العلمي والمذاهب الفلسفية . وكان في مقدمة من اشتهر من الاساتذة الجرمان الاستاذ كاستنر Kastner فقد كان يحاضر بجامعة جايسن وكانت في طليعة الجامعات الالمانية تقدماً ورقيًّا . فكانت اولى غايات لايبج ان يتصل بهذا الاستاذ على أن

يستمد من عمله ويستفيد من خبرته . وما ان تعرف به حتى رجاه ان يقدمه الى دوق هس ليساعده على إتمام دراسته لاحدى جامعات فرانسا . وكان لهذا الدوق المذكور مستشار يعرف والد لايبج وهو متصل بالاستاذ الفرنسي الكبير كوفيه . . . فما اكتسب رضى الدوق ارسله المستشار برسالة الى صديقه الفرنسي وهذا بدوره قدمه الى الكيميائي الكبير جي لوساك Gay-Lussac ليلحقه بمختبره . وقضى لايبج في هذا المختبر بضع سنوات عين بعدها أستاذاً مساعداً للكيمياء بجامعة جيسن وبعد ان قضى عامين نبت في منصب الاستاذ . وفي عام ١٨٥٢ انتخب للتدريس في جامعة ميونخ حيث قضى واحداً وثلاثين عاماً باحثاً عن خواص العضوية ومكتشفاً أسرار التفاعلات بين المواد الكاربونية . وكان في خلال ذلك ومن الاساتذة الكاملين الذي أفنى نفسه في سبيل تحقيق نظرياته العلمية . وفي عام ١٨٧٣ فارق هذه الحياة بعد ان استطاع بفضل ما بذل من جهود جبارة من وضع الأسس الثابتة للكيمياء العضوية الحديثة

٥٦٦

في عام ١٨٤٢ دعي جستوس لايبج لالقاء محاضرة عن « تقدم الكيمياء العضوية » في المجمع البريطاني لتقدم العلوم ، فكانت تلك المحاضرة رسالة وافية اوكتاباً كاملاً طبع عام ١٨٤٠ بعنوان « الكيمياء واستخدامها في الزراعة والفسيولوجيا » ويعترف مؤرخو العلم الحديث بأنهم لا يعرفون لكتاب آخر من التأثير في تقدم الكيمياء العضوية مثل ما كان لهذا الكتاب. فقد رد فيه على الخاوف التي بثّتها نظرية مالثوس Malthus وأشار الى ان الهواء مصدر أساسي للاسمدة

وتلخص نظرية مالثوس في أن سكان الكرة الأرضية يتزايدون بنسبة هندسية بينما تتزايد منتجات الارض بنسبة حسابية والفرق بين الزيادتين كبير جداً . وهذا معناه ان العالم صائر الى مجاعة هائلة او الى حرب ضروس تقضي على الحرث والنسل من جراء تناقص المواد الزراعية ولا سيما الاغذية الضرورية لحياة الانسان . وقد دحض هذه المزاعم جستوس مثبتاً ان مياه الامطار تحتوي مقادير ليست بالزهيدة من نترات الامونيوم المتكونة في الجو بتأثير البرق والصواعق وهذه المقادير من النترات كافية لتكثير النبات ولزيادة المنتجات الزراعية . والذي يؤخذ على لايبج انهُ أغفل فصول الاسمدة الطبيعية ، ومما يؤسف لهُ انهُ اقتنع برأيه هذا فلم يوالِ البحث عن الاسمدة الكيماوية بمختلف أنواعها وعن طرق تحضيرها ، ولو فعل لتوصل الى ما كانت الزراعة الحديثة تصبو اليه وتتعطش طوال القرن التاسع عشر . والمعتقد ان صداقته للكيميائي العظيم وهلر Wöhler كانت سبب ذلك الاهمال ، فقد جذبهُ هذا الرفيق اليه واشتغل الاثنان معاً في تحضير رسالة جديدة بعنوان « حامض البوريك — طبيعته وما يشتق منهُ »

كان لافوازيه وبرزيليوس Berzelius وغيرهما من الكيميائيين يظنون ان حموضة الحوامض

تعود الى وجود الاكسجين في تركيبها . والحوامض وان كان اكثرها يحتوي على الاكسجين في تركيبه الا ان هناك طائفة منها لا تحتوي الاكسجين مطلقاً . وقد توصل لايبج بعد دراسته لحامض البوريك الى عكس نظرية لافوازييه وبرزيليوس ، فقد أثبت ان الحوامض مركبات تحتوي الايدروجين الذي يمكن ان تحل الفلزات محله . والحقيقة ان حموضة الحوامض ترجع الى وجود ذرات الايدروجين في تركيبها . ومع ان بحثه هذا كامل في كثير من نواحيه الا أنهُ أخطأ في استعمال بعض المصطلحات : فقد استعمل « المكافىء » عوضاً عن « الجزيئي » واستعمل « الوزن الذري » للحوامض عوضاً عن « الوزن الجزيئي » لها . ومع كل ما ورد بها من اخطاء فان الرسالة كبيرة الشأن لاحتوائها ابحاث تتعلق بقاعدية الحوامض Basicity of Acids ، أي قوة اتحاد الحوامض بالقواعد

فقد قسم لايبج الحوامض الى ثلاثة اقسام احادية القاعدية وهي التي تحتوي ذرة واحدة من الايدروجين ، وثنائية القاعدية وهي التي تحتوي ذرتين من الايدروجين وثلاثية القاعدية وهي التي تحتوي ثلاث ذرات . واثر هذه الرسالة كان كبيراً جداً في بحث الكيميائي كيكولي Kekulé الواضع لتصميم بناء جزيئات البنزين — زيت القطران — وغيره من المركبات البنزينية . فقد كتب في رسالته عن بناء جزيئات المواد العضوية « ان اكثر ما جاء في هذه الرسالة ان هو الا توضيح أو استنتاج لما ورد في نظرية تعدد قاعدية الحوامض Polybasicity

وأعظم ما قام به لايبج بالاشتراك مع صديقه وهلر انهما وضعا نظرية الجذور العضوية، فكيمياء المواد الكاربونية ليست الا كيمياء الجذور المركبة Compounds Radicals . فقد كانا يبحثان في خواص زيت اللوز المر عند ما اكتشفا انهُ مكون من مركب بنزولي . وبعد ان توسعا في البحث ادركا ان كثيراً من المركبات العضوية متصل بعضها بالبعض الآخر بواسطة جذورها المشتركة . فالكحول والفوز مالدهايد والاسيتون والحامض الخليك جميعها تشترك بجذر واحد يدعى الجذر المثيلي CH_3 وحامض البنزويك وزيت اللوز المر وغيرها من المركبات تشترك بجذر واحد هو الجذر البنزولي C_6H_5CO . ان لايبج ورفيقه وهلر بعملهما هذا قد وضعا الأسس الثابتة لكيمياء المواد الكاربونية ونقد صنفا المواد العضوية الى طوائف مشتركة بجذور متماثلة

***

وقبل ان نطوي آخر صفحة من حياة هذا الكيميائي العظيم لابد وان نأتي على حادثة جرت له خلفت في قلبه الحسرة حتى أخريات ايامه

كان لايبج شأنه شأن اكثر كيميائي القرن التاسع عشر يطمح الى اكتشاف عنصر جديد

لاعتقاده ان الخلود ملازم للذرّ يكتشفون عناصر جديدة دون شبرع غير دار بهِ سيتوصل الى امثلته ويكثر الاقدار متاكمه في هذه الغرة . غير الذي سيكتشف العنصر الجديد الا ان شرف الاكتشاف سينسب الى كيميائي آخر . عرف لا يبج ان هناك عنصراً كثير الشبه بالكلور لم يكتشف بعد ، وعرف ان خواصه مماثلة لخواص الكلور واليود وان مركباته يكثر وجودها مع مركبات هذين العنصرين . فانصرف الى اكتشاف ذلك العنصر . واستطاع من تحضيره بإحلال الكلور محله في مركباته ولكن لسبب مجهول حسب ان المادة المحضرة لم تكن الا مركباً من اليود والكلور فجمعها في زجاجة صغيرة وكتب عليها بخط يده ا كلوريد اليود » . وبعد عام من هذا الحادث اعلن في الدوائر العلمية ان الكيميائي الفرنسي بلارد استطاع التوصل الى اكتشاف عنصر جديد سماه برومين بإحلاله البكتور محله في مركباته ولقد كانت وطأة ذلك الخبر جد شديدة على لا يبج ولاسيما بعد ان استوثق من ان المادة التي دعاها بكلوريد اليود لم تكن الا عنصر البرومين نفسه

مقام الكربون في الاوصاف الكيميائية

للكربون مقام خاص بين العناصر لانهُ يدخل في مركبات متنوعة متعددة يزيد عددها على مركبات جميع العناصر الاخرى . فمن المسلم به عند الكيميائيين ان جميع العناصر ما عدا الكربون ، تدخل في تركيب عشرين الفاً الى اربعين الفاً من المركبات مع انها لم تركب جميعاً منها . يضاف ذلك ان الكربون يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ الف مركب ، ولا يبعد ان يزداد هذا العدد في السنوات المقبلة حتى يصبح ٦٠٠ الف . فليس ثمة حدٌ من الناحية النظرية للمركبات التي يمكن تركيبها من الكربون . ولعلَّ الصفة المميزة لذرّات الكربون قدرتها على توليد مركبات ذاتية . وهذا يجعل المركبات الكربونية مما لا عدَّ له ، وقد اثبتت التجربة في احوال متعددة وجود مركبات كربونية كان الدليل اليها البحث النظري فقط

وعلى ذلك نرى ان تغيراً يسيراً في بناء الجزيء الكربوني من الناحية الكيميائية ، كابدال ذرات بذرات ، او مجموعات من الذرّات بمجموعات اخرى ، يمكن الباحث من احداث تبديل في الخواص التي يتصف بها ذلك الجزيء . وهذا حمل العلماء على الاعتقاد بان هذا العنصر هو اساس لا غنى لهُ لاعظم ظاهرات الطبيعة ، اعني ظاهرة الحياة . وقد عرّفت الكيمياء العضوية بانها « كيمياء مركبات الكربون »

تعليم الجمهور

اصول الصحة

للدكتور حسن كمال
مدير الصحة القروية والدعاية الصحية بوزارة الصحة (١)

كلمة الجمعية

يجب علينا قبل الكلام في هذا الموضوع ان نفسر معنى الصحة وقد تباروا في ذلك كثيرون ففسرها بعضهم بأنها حالة معنوية يشعر فيها الانسان بخلوه من المرض — وقال البعض الآخر إنها الحالة التي يكون فيها الجسم سليماً في انساجه وأحشائه وأعضائه بحيث يسير فيها الاندثار والترميم بنظام ويحصل فيها النمو والاضمحلال بحسب مقتضيات السن . وهناك كثيرون يفسرونها بغير ذلك . قال بعض الفلاسفة إنها تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى

والدعاية الصحية نوعان . دعاية الطلبة . ودعاية البالغين. اما دعاية الطلبة فالغرض منها :—

(١) ارشاد الأطفال والشبان الى ما يحفظ صحتهم ويحسنها (٢) انشاء العادات الصحية فيهم وارشادهم الى اصولها حتى يتمكنوا من الاحتفاظ بالنشاط والسعادة (٣) التأثير في اولياء امور الطلبة والشبان الآخرين حتى يتعظوا بفائدة العادات الصحية وغيرها (٤) تحسين الحياة الفردية والاجتماعية والعمل على تنشئة جيل اصح واقوى واكثر فائدة للوطن. اما الدعاية الصحية عند البالغين فيقصد بها ما ذكر آنفاً مضافاً اليه (٥) ارشاد الجمهور باستمرار الى ما ينفع صحته حتى يبقى دائماً على علم بتقدم الطب في نواحيه المتعددة (٦) افهام البالغين الذين لم يسبق لهم ان تعلموا اصول الصحة بالمدارس وغيرها والمقصود بالبالغ هنا الشخص الذي أتم دراسته او وصل الى السن الذي يترك فيه الطالب مدرسته للدخول في معترك الحياة . وتقوم وزارة الصحة بهذه الدعاية في القطر بكافة الطرق

وقد كانت الدعاية الصحية موضوع نقاش وجدال عظيمين. قال بعضهم : إن افهام الجمهور اصول الصحة لا يفيد بل يضر وأصحاب هذا الرأي متحيزون كثيراً لانهم يعتقدون ان محاولة افهام الجمهور اموراً فنية خطرٌ ومضرٌّ ظنًّا منهم بأنَّ هناك فارقاً بين تعليم اصول الطب وتعليم اصول الصحة. هم يقولون ان قراءة او سماع أعراض الامراض وطرق تشخيصها وعلاجها يجب الابتعاد عنها

(١) محاضرة القيت في مدرسة الثقافة الاجتماعية في مارس سنة ١٩٣٩

ونحن مع مشاركتنا الباحث في ذلك نقول انهُ يجب ايضاً افهام الجمهور تركيب جسمه ووظائف اعضائه وطرق الوقاية من الامراض وارشاده الى العادات المفيدة والمضارة والفداء الصحي والمكتشفات الطبية الحديثة والوسائل المتقدمة في العلاج والجراحة واغراض الاسنان والتمريض والمستشفيات والهيئات الصحية المتعددة التي تساعد على شفاء الانسان وتزيد من سروره وتفيه وتقلل من شقائه ومرضه كل هذا يمكن عرضه بدون الدخول في الاصطلاحات الطبية أو دقائقها مما يجعل الجمهور يسأمها ويتجنبها والى القارىء بعض الاعتراضات التي توجه ضد تعليم الجمهور أصول الصحة

(١) ان تعليم الجمهور ذلك يسبب لديه حالة انحطاط نفساني والرد على ذلك ان هذا الانحطاط قائم الآن سواء تعلم الجمهور أصول الصحة او لم يتعلمها

(٢) ان تعليم أصول الصحة يساعد كثيراً على معالجة المريض بنفسه وتشخيص مرضه بذاته دون الاعتماد على الطبيب والجواب على ذلك ان الذي يحدث هذا هو التعليم الناقص فيجب علينا اصلاح طريقة التعليم لا ان نتجنبهُ كلية

(٣) ان تعليم أصول الصحة يجعل تعليم الطب أصعب مراساً مما كان ، لأن المريض الذي سبق ان تعلم أصول الصحة يفقد جزءاً كبيراً من ثقته بالطبيب فلا ينفذ نصيحته . وهذا أيضاً ليس نتيجة تعليم أصول الصحة بل نتيجة قلة هذا التعليم او خطأ تعليمه

(٤) ان تعليم أصول الصحة للجمهور لم يثمر الثمرة المرجوة وهذا معناه ان المجهود المبذول أقل من الواجب فيتحتم مضاعفته

(٥) ان تعليم الجمهور أصول الصحة يثير أفكاراً خاطئة وآمالاً زائفة . والجواب على ذلك ان مثل هذا التعليم لم يصل الى مواطن الأمور بل اقتصر على قشورها فيجب التعمق فيه حتى يفقه الجمهور معناه

(٦) ان تعليم الجمهور أصول الصحة يساعد كثيراً على تشجيع الدجالين المفرنين بأذهان الجمهور . لكن ما يقال عن الطب في هذا المضمار يقال أيضاً عن العلوم الأخرى . والجرائد اليومية طافحة بهذه الأمور على اختلاف أنواعها . وعلى الرغم مما قيل من هذه الأمور المتبطة فن تعليم الجمهور أصول الصحة أصبح حقيقة ملموسة لا نظرية معنوية وقد دلتنا التجارب على ان الجمهور المصري شغوف بفهم أصول الصحة وانهُ بدأ يفهم الدجل ويقدر قيمة الدعاية الصحية

وعليه فاعمال الدعاية يضع فرصة تحبيب الصحة والعلاج الناجع والوقاية من الأمراض والمباحث الطبية والتجارب العلاجية ويحط من المستوى الصحي والاتاجي ويكثر من الموت المبكر . يضاف الى ذلك ما يتبعهُ من كثرة مصاريف العلاج وزيادة البطالة

لذلك اهتمت معظم الدول الراقية بالدعاية الصحية وليس ثمة ريب في ان أساس المشروع

هو تضامن الهيئات الطبية بكافة أنواعها من طبية وجراحية وصحية وتمريضية وغير ذلك

﴿ التي يبحث الجمهور عن وسائل التعليم الصحي ﴾ . هذا سؤال كثيراً ما يسأله الجمهور المثقف . والجواب عنه أن هناك كتباً كثيرة يمكن الجمهور الأطلاع عليها . وربما كانت الكتب التي تدرس بمدارس الأبتدائية الأميرية أنفعها للجمهور العادي . وتسأل المكاتب العمومية عمّا يجد في هذا الموضوع . اما الكتب الأفرنكية فكثيرة ولا تقع تحت حصر

وهناك مجلات طبية تكتب خاصة للجمهور تتناول الموضوعات الطبية الأجتماعية باللغة العادية موجود منها في اميركا مثلاً مجلتي (Hygeia) و(Journal of Health & Physical Education) الغرض منهما ارشاد الجمهور الى ما يفيد صحته وهي محلاة بالصور والرسوم العديدة .

وهناك لشركات الصحية فتحف فؤاد الأول الصحي يحوي الكثير من النماذج والرسوم والمعروضات المتعددة ذات العلاقة بالصحة العامة والتغذية وغير ذلك

ويحسن بكل شخص ان يزوره ويستعين به . كذلك متحف فؤاد الاول الزراعي بالدقي فأنه يحوي لتعاليم والنماذج والرسوم الصحية وغير ذلك مما له علاقة بصحة الفلاح والتي يجب عليه معرفتها . وسنشرح الطرق الأخرى التي تتبع في ارشاد الجمهور نحو العناية بصحته

﴿ الأذاعة بالراديو ﴾ الأذاعة اللاسلكية واسطة عظيمة لمخاطبة الجمهور وارشاده الى ما ينفعه وتنبيه عما يضره . وقد ساعد الراديو كثيراً في افهام الجمهور اصول الصحة وتذاع الأحاديث الصحية الرسمية وخلافها من محطة العاصمة كل خمسة عشر يوماً على الأقل وتتناول موضوعات متعددة تهم الجمهور . وقد ابتدأت الأذاعة في شكل محاضرات ثم أخذت تتبدل طريقتها الى محادثات تارة بين شخصين مثل طبيب العائلة ورب العائلة . وطوراً بين عدة اشخاص يتناول حديثهم موضوعاً طبياً هاماً

واختيار اوقات الأذاعة اللاسلكية له شأن كبير من حيث موضوع الحديث ففي ساعات الصباح يكاد يكون موجهاً الى السيدات وحينئذ يمكننا ان نذيع فيها بعض الأحاديث التي تهمهن مثل صحة المنزل وأدوات الزينة وتأثيرها في الجسم وطرق التغذية وتهيئة الطعام والطريقة الصحية والعناية بالأطفال الخ .

اما ساعات العصر فتماثل ساعات الصباح من حيث موضوعاتها الاّ ان الجمهور يفضل فيها كثيراً من الروايات الصحية . وحوالي الغروب يستحب محادثة الأطفال في اصول النصحة . اما ساعات الصباح المبكرة فجميعكم تعلمون ان بعضها مخصص للألعاب الرياضية . ويشترط في المذيع ان يكون رخيم الصوت سريع الخاطر جذاب النفسية كما يشترط في الحديث الصحي خلوه من الألفاظ والتعبيرات الفنية التي لا يفهمها الجمهور وان يكون اسلوبه مشوقاً سهل الفهم يطابق عقول المستمعين

وعلى كل حال فالمعلومات التي تذاع يجب ان تكون حقائق ثابتة غير قابلة للجدل أو التعديل . ويفضل كثيرون في الأحاديث الطبية ان يقوم بها طبيب . وفي بعض البلدان يستعان بالموسيقى في بداءة حديث الطبي ويشعر بقدم الطبيب المتكلم للجمهور ويصفه لأن ذلك يشوق المستمعين لحديثه . ويشترط في الأنشاء ان يكون سهلاً واضحاً قريباً ما امكن من العامية حتى يتمكن الجمهور من وعي ما يقال وان لا يستغرق الحديث اكثر من عشرين دقيقة

وقد اثبتت التجارب ان الحوار الطبي والروايات الصحية اعم فائدة من المحاضرات ولا سيما اذا قرنت بالموسيقى . وكثيراً ما تسجل هذه الاذاعات على الشريط المتكلم لاعادتها مراراً من المحطة نفسها او من غيرها في اي وقت . ويشترط لنجاح الاذاعة الصحية الاعلان عنها في الجرائد والمجلات حتى يتمكن من سماعها اكبر عدد ممكن والى القارىء بعض موضوعات الاذاعة :

ففي يناير مثلاً يفضل الكلام عن الزكام واختيار الطبيب ووسائل التدفئة وطرق التهوية والملابس الشتوية . وفي فبراير عن امراض القلب . وفي مارس عن التهاب الرئة . وفي ابريل عن الحصبة ومخاطر الطرق والتطعيم ضد الجدري . وفي مايو عن التغذية والألعاب الرياضية والملاحة الصحية والمأكولات المثلجة . وفي أغسطس عن الأجازات المدرسية والحيات . وفي سبتمبر عن ضرورة فحص الأطفال قبل الدراسة وعن النمل والحشائش ضد الدفتيريا . وفي اكتوبر عن الزلات الأنفية ومخاطر السيارات . وفي نوفمبر وديسمبر عن أمراض الشتاء وملابس الشتاء الخ.....

﴿ الموضوعات الصحية ﴾ معلوم ان الصحة شيء معنوي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ويجوز للإنسان ان يظهر نواحي الصحة المتعددة بوسائل كثيرة فعالة من الوجهة الكيميائية والطبيعية والبيولوجية والفسيولوجية والبكتريولوجية وعلم الحيوان وعلم الأجنة وعلم التشريح والتمريض وغير ذلك . وهنالك ايضاً نواحٍ عديدة لها علاقة وثيقة بالطب يمكن اظهارها للجمهور مثل الهندسة الصحية والتشاد الصحي وعلم الأسنان والطب البيطري . ولذلك يرى القارىء ان المعروضات الصحية تتناول موضوعات لا تقع تحت حصر . والعرض الصحي نوعان نوع ثابت وهو المعروف بالمتاحف الصحية الثابتة مثل متحف فؤاد الاول الصحي بالجيزة ونوع متنقل وهو غير موجود الآن بقطرنا هذا إنما هو مألوف في بعض البلدان كأميركا مهمته الانتقال من بلد الى آخر مصحوباً بكل معروضاته

وتمتاز المتاحف الثابتة بكثرة معروضاتها وضخامتها وثقلها وان اكثرها قابل للكسر لدقته

أما المتاحف المتنقلة فمعروضاتها عادة خفيفة صغيرة غير قابلة للكسر سهلة الوضع والنزع يسيرة الحمل . ويجب قبل البت في معروضات المتاحف الصحية نوعها معرفة عقلية الجمهور الذي سيشاهدها لأن التجارب أثبتت لنا ان الجمهور ينفر من المعروضات التي لا تسره فوره من الاذاعة اللاسلكية

التي لا توافقه ، فالطرق الدقيقة التي تستعمل الآن في تشخيص مرض الدرن الرئوي كثيراً ما ينفر منها الجمهور ولا يفهمها كما ينفر من العروض التي لا يفهمها الا الأطباء مثل صور الأشعة السينية والنماذج المرضية الدقيقة المعروفة بدون شرح كاف . وهناك حالات كثيرة لهذه التي وفهمها فأتت بنتيجة عكسية ضارة ولذلك فالمتاحف الصحية يجب أن تحضر بدقة كما يحضر المحاضرة محاضر ناجح . وبديهي أن تحضير متحف صحي يقتضي زمناً طويلا ويشترط في معروضاته أن تكون بسيطة منسجمة حديثة زاهية الألوان متحركة أحياناً كبيرة الحجم مطابقة لآراء وحد اشارع او العزبة سهلة الفهم تعبر عن اشياء جلية غير حقيرة شاملة لكل ما يساعد على تحسين صحة الانسان ووقايته من الأمراض

وقد ابتدع القوم لهذه المتاحف المعروضات المتعددة من الصور الرمزية والشفافة والخارطات والرسوم البيانية والتماثيل المرضية ودورات الدم المتحركة والأدوات الميكانيكية التي تظهر حركات الجسم المتعددة بواسطة الفصلات والمفاصل ونماذج الخضراوات والحاصلات الزراعية التي لها علاقة بالتغذية كذلك الحشرات المنزلية وطرق ابادتها ومخاطرها والميكروبات المتعددة المرضية والطفيليات ونحو ذلك

وفيما يلي بيان موجز بالموضوعات التي يجب ان تمثل في المتاحف الصحية الثابتة منها والمتنقلة

(١) تنعم الطب في الجيل الأخير (٢) خطر التشخيص الذاتي (٣) الفحص الطبي الدوري (٤) العقاقير الجاهزة والدجل (٥) الأمراض التي تنتقل بالحشرات (٦) الأمراض المعوية (٧) الأمراض السرية (٨) أمراض التنفس (٩) أمراض الجلد (١٠) الغذاء والتغذية (١١) صحة المطاعم (١٢) صحة العامل (١٣) صحة الذاكرة (١٤) أمراض الحيوان ذات العلاقة بالانسان (١٥) تعقيم اللبن (١٦) تعقيم مياه الشرب (١٧) ازالة الفضلات (١٨) الاحصاء الصحي (١٩) العدوى والحصانة (٢٠) التطعيم والمصل (٢١) العزل الصحي (٢٢) وفيات الاطفال (٢٣) الوراثة (٢٤) مراقبة الأغذية (٢٥) الحشرات الناقلة للمرض (٢٦) الأمراض المعدية (٢٧) أمراض الشيخوخة (٢٨) موضوعات عامة مثل الأشعة السينية وغيرها كقياس الحرارة والتعازيم السحرية والفرار والاحتراس من الحريق ومخاطر الطرق

وعلاوة على ما ذكرته فان هناك الوحدات الصحية المتنقلة وهي عبارة عن سيارات بها آلة سينما ناطقة وجراموفون وراديو وصيدلية متنقلة وسرير لنقل المرضى الى المستشفيات ويلحق بكل سيارة طبيب ومعاون صحة وعامل صيدلية وهذه الوحدات تتنقل في القرى حيث تمكث الواحدة منها حوالي الاسبوعين تمر في خلالها الطبيب على المرضى في منازلهم ويصف لهم الدواء ويعلم الجمهور ضد التيفوئيد والتيفود ويلقي المحاضرات الصحية وينقل الحالات الخطرة الى اقرب مستشفى

بينما يقوم المعاون بدراسة الاضرار الصحية والتغرية والمتاون منزلاً منزلاً والبحث عن البرك والمستنقعات ومن مورد المياه وتعداد المصابين وبساعد الطبيب في البحث عن الامراض المتوطنة والمعدية والاجتماعية في القرية

وتقيم الوحدات حفلة سينمائية صحية كل ليلة ويلقي حضرة الطبيب محاضرة صحية كل ليلة ايضاً

وبعد مكوث مدة من الزمن تقدم الوحدات تقارير وافية عن تعداد السكان ونسبة الأعمار والحالة الاقتصادية والمحاصيل والصناعات والجمعيات والامراض المتوطنة في القرية ومداوس القرية ومساكنها والاضرار الصحية بها الخ . . . . . .

﴿ المحاضرات الصحية ﴾ تعتبر المحاضرات الصحية من اهم الوسائل لأفهام الناشئين اصول الصحة . ويشترط في المحاضر ان يكون ذا شخصية كبيرة من حيث الفن والالقاء وأغلب الموضوعات التي تلقى المحاضرات هي الخاصة بالامور الطارئة كالأوبئة فمن الجمهور وقتئذ يكون شغوفاً بسماع كل ما يمكن معرفته عنها . ويفضل في المحاضرات ان تلقى في مكان معين وفي ساعة معينة وان لا يتجاوز زمنها الساعة الواحدة . والطريقة الناجحة في جمع الجمهور الكثير لسماع المحاضرات في الارياف هي اذاعة الموسيقى او الأغاني بالفونوغراف او الراديو ويشاهد ذلك بوضوح عند ما تبدأ الوحدات الصحية المتنقلة في عملها . أما في المدن فان الأماكن الرسمية أو الجوامع او الاندية الأهلية كثيراً ما تصلح لهذا الغرض . وقد بدأنا نطرق طريقة الوعظ الصحي فصلنا الخطب الصحية المنبرية وبدأ الاطباء يحاضرون الجمهور بعد الصلاة في كل ما له علاقة بالبلدة طيًّا والى القارىء بعض الموضوعات التي تصلح لأن تعمل عنها محاضرات عامة

(١) التحذير (٢) النزلات الأنفية (٣) الأمراض المعدية (٤) العناية بالعينين (٥) الفحص الطبي الدوري (٦) مرض القلب (٧) تقدم الطب (٨) الأمراض السرية (٩) الدرن (١٠) الفحص بالأشعة السينية (١١) البلهارسيا والانكلستوما (١٢) الرمد الحبيبي (١٣) الديدان المعوية (١٤) فائدة الطب (١٥) الاسعافات الطبية المنزلية (١٦) الحشرات المنزلية وأخطارها وطرق ابادتها (١٧) اللبن (١٨) السنة (١٩) الألعاب الرياضية (٢٠) فائدة أشعة الشمس (٢١) العناية بالاسنان (٢٢) وسائل التهوية . أما النوع الآخر وهو الخطب المنبرية فنقال في الجوامع أيام الجمع حيث لوحظ ان الجمهور كثيراً ما يهتم بها ويستمع اليها بشغف ديني عظيم لذلك وضعت كتاباً في هذه الموضوعات الطبية يجد فيه القارىء خطباً عن

(أ) علم تدبير الصحة (ب) أسرار الشريعة الاسلامية من الوجهة الطبية (ج) الدعاية الصحية (د) الأمراض المعدية (هـ) الحشرات الناقلة للأمراض (و) مباحث طبية اجتماعية كالزار والسحر ونحو ذلك

﴿ النشرات المصورة ﴾ وكتابة النشرات تتطلب مهارة كبيرة ومحترياتها لا يشترط فيها الصحة فقط بل حسن القراءة ايضاً فلا فائدة من إخطار الاهالي بطريقة عمل حقنة مرض الدرن الجلدية ولا كيفية اجراء عملية التطعيم ضد الدفتيريا أو الجدري مثلاً بل يكتفى بجلب القبول عن فوائد هذه الاجراءات على الفرد وعلى المجتمع ويجب ان تكون العبارة صريحة فالنشرة التي تكتب مثلاً عن الحصبة يتحتم ان تشمل بعضاً من اعراض المرض وبعضاً من دور تفريخ المرض والوقت الذي تكون فيه العدوى بالغة شدتها والوسائل التي تمنع العدوى وفائدة التحصين بالمصل (اذا كان من الممكن استحضاره) وفائدة العناية الطبية في تجنب المضاعفات ويشترط في كل نشرة ان تكون صغيرة قصيرة العبارة . واليكم بيان ببعض النشرات التي قامت بطبعها وزارة الصحة

الحمى المخية الشوكية . الدفتيريا . نصائح لزائري الزواج . القمل . ارشادات . للمصابين بالزهري . الرمد . نصائح للمحافظة على العيون . الذباب . السيلان . المخدرات . البرغوث الأمراض السرية . البول او التبرز . نصائح للحوامل . ارشادات للجمهور عن الغازات الحربية

﴿ الصور الرمزية ﴾ هذه عبارة عن صور ملونة غالباً وغير ملونة احياناً يقصد بها توجيه نظر الجمهور الى موضوع صحي هام بشكل جذاب وقد عملت وزارة الصحة الآن عدة لوحات لهذا الغرض خاصة بخطر الذباب ورعاية الطفل والأمراض السرية والوقاية من السل والبلهارسيا والأنكستوما وفائدة الماء النقي ومخاطر القمل وغير ذلك

﴿ الأشرطة السينمائية ﴾ بدأت الأشرطة السينمائية تعرض بشكل تجاري عام ١٨٩٥ وكانت كلها صامتة لغاية ١٩٣٠ مما جعلت متكلمة وقد أظهرت التجارب أن الأشرطة السينمائية وسيلة من الوسائل الهامة لنشر التعاليم الصحية بين الجماهير ولاسيما الاجراءات التي تتطلب حركة . وقد بدأت تظهر أخيراً اشرطة سينمائية بشكل روايات دراماتيكية ثم أدخلت الرسوم الصور المتحركة (Animated Drawings) على الأشرطة الصحية فأتت بفائدة كبيرة واستعملت السينما أيضاً لاظهار البكتريات الساكنة منها والمتحركة . ومن أهم الأمكنة لعمل حفلات سينمائية هي المعارض الطبية وغير الطبية حيث يجتمع عدد كبير من الجمهور وقد كثرت الأفلام الصحية الأجنبية كثرة تفوق الوصف ويمكن إيجارها بأسعار زهيدة كما يمكن شراؤها . وها كم أمثلة لمواضيع بعض الأفلام السينمائية الصحية : —

(١) اشرطة سينمائية للأطباء خاصة بالطب والجراحة . (٢) اشرطة سينمائية خاصة للجمهور عن الصحة العامة . (٣) اشرطة سينمائية للطبقة المثقفة عن الصحة العامة . (٤) اشرطة سينمائية للأطباء عن أمراض الأسنان . (٥) اشرطة سينمائية للجمهور عن أمراض الأسنان

﴿ الواح خاصة لعرضها بالفانوس السحري ﴾ يمكن استعمالها لعمل محاضرات خاصة يستطيع

التطبيب بواسطتها افهام الجمهور كثيراً من الغامض. ويشترط في عرض هذه الأنواع شرح الموضوع بسهاب للجمهور وهناك انواع كثيرة من هذا النوع يمكن شرحها لتعليم الصحة

(أ) المجلات الطبية للجمهور) هذه مجلات تحررها هيئات طبية القصد منها ارشاد الجمهور الى ما يفيد صحته وهي مكتوبة بأسلوب سهل خال من العبارات الفنية. ولنذكر لكم على سبيل المثال

(ا) مجلة الصحة (Hygeia) التي تصدرها الجمعية الاميركية الطبية

(ب) Journal of Health & Physical Education مجلة الصحة والرياضة البدنية

(ج) مجلة الصحة والحياة (Health & Life)

والمجلات الطبية ذات تأثير كبير على الجمهور خصوصاً التي يقوم بتحريرها كبار الأطباء الحائزين على ثقة الجمهور الشخصية

(ب) المراسلات) هذه وسيلة كثيراً ما تأتي بالفائدة الشخصية الا أنها محدودة ويجب عند الرد ان تكون الاجابة من شخص له منزلة علمية بان يكون الاسلوب مختصر ومقنع

(ج) طرق اخرى متعددة للدعاية الصحية (ا) كثيراً ما تكتب التعاليم الصحية على ظهر القسائم كالشهادات وعلى أغلفة الكراريس وشاهدنا ذلك في غير شهادات الميلاد وعلى اغلفة كراريس المدارس

(ب) في الدعاية الصحية بالسيارات) هذه السيارات تذهب الى القريات حيث يتولى اطباء الحكومة توجيهها الى الجهات اللازمة وفي كل سيارة آلة سينما وعدة افلام سينمائية صحية وهي خلاف الوحدات الصحية المتنقلة السابق الكلام عليها

(ج) (روايات تمثيلية صحية) هذه الروايات موضوعة لحث الجمهور على ما يفيد صحته وارشاده الى ما يضره فيتجنبه. وهناك كتب هذه المواضيع في الولايات المتحدة ولكن للأسف تكاد تكون معدومة في القطر المصري

(د) (اعطاء مكافآت وشهادات تقدير) لكل من يهتم بصحة اولاده في المدارس او بصحة عمّاله في المصانع

(ه) (مسابقات عمومية لصحة الطفولة) كالتي تقام مثلاً في مراكز رعاية الطفل لمعرفة اي الامهات اكثر عناية بطفلها وملبسه وصحته. هذا ملخص للدعاية الصحية في حالتها الراهنة وهو كما ترون متغلغل في كل نواحي الحياة الاجتماعية والعائلية بأسلوب سهل غير ممل بحيث يتمكن الجمهور من معرفة جزء كبير من اصول الصحة في اوقات مختلفة وأساليب متباينة. وقد اثمرت هذه المجهودات ثمارها الطيبة في البلدان المتمدينة وبدأت تؤتي ثمارها ايضاً في القطر المصري ولا غرابة في ذلك فان الدعاية الصحية هي نوع من انواع النهضة القومية ودليل على يقظة الأمم وانتباه الأذهان وتقدير الصحة والاهتمام بالكيان القومي وكنا نعرف المثل الذي يقول العقل السليم في الجسم السليم

وحي نيكاترا

ديفون الجميلة

[مقاطعة ديفون بانكلترا هي من اجمل بقاعها. فيها الضباب الخفيف، والضباب الفسيح، والانهار والجداول الجميلة، والوان تربتها تختلف بين الرمل الاحمر، والطين الابيض، والصخر الاشهب، وتزدحم شطآنها توارب الصيد وشباكه. وهنا يصفها الشاعر كما رآها]

الربى تضحك والجدول باكي ... أين مني يا رُبى الخلد تَراكِ؟
جلَّ من صاغك من فردوسه ... وتعالى من يمين الحسن براكِ!
خفق القلبُ تذكراك فهل ... تأذنُ الايامُ يوماً فأراكِ؟

* * *

أين وقعُ الماء في تربك أم ... أين همسُ الريح ما بين رُباك؟
كلما مرت عليها نسمةٌ ... رددتها من جديد شفتاك
وعلى الارض بساط ناضر ... صنعتْهُ بالاعاجيب يداك
كلُّ لونٍ منهُ لا يبلغهُ ... فنُّ ذي فنٍّ. ولا يحكيه حاكِ

* * *

ما ألذَّ الليلَ يجري ساكناً ... في رباياك وما أحلى دُجاكِ!
ولجين البدر يجري دائباً ... فوق بطحائك أو تحت سماكِ
وخرير الماء في الصخر على ... نقرات الليل يمنٌ وتجاوب صداكِ
وحفيف النصن في الغاب على ... لمحات الضوء من بين قُراكِ
يا رُبى الفردوس سبحان الذي ... عطر الارضَ بأنفاس ندالكِ!
ضمَّخ الزهرُ حواشيك ولم ... تزل الوديانُ سكرى من شذاكِ
وحناك البحر جيَّاش على ... غير حصبائك أو دُرِّ حصاكِ
وترى الفلك على شاطئه ... غاديات رائحات بالشباكِ
وضبابُ البحر يمتد الى الـ ... ـعالم المجهول من خلف مداكِ...

* * *

رحم الله زماناً ماضياً ... قد سقاني الصفو فيه وسقاكِ
لم يعد من هذه الذكرى سوى ... لمح أحلامك. أو طيف رؤاكِ...

محمد عبد الغني حسن

فلسفة

الديمقراطية

لعلي أدهم

من المسائل المعروفة في تاريخ نشوء الفلسفة الحديثة ومراحل تقدمها الباكرة ذلك الخلاف الشديد والتناقض المستفيض الذي ثار بين القائلين بأثر التفكير والقائلين بأثر الاحساس في تحصيل المعرفة وتكوين الأفكار، وقد كان انصار المذهب الحسي يرون ان الاسبقية والفضل للحواس وكانوا يطلقون على انفسهم اسم « التجريبيين » لانهم كانوا يبدأون من التجربة ويتخذونها الاساس الذي يشيدون عليه فلسفتهم، وكان الفريق المناهض لهم يبذ الحواس ويراها غير اهل للتعويل عليها والاحتكام اليها. وكان انصار هذا الرأي يستدلون على صحة مذهبهم بان أسمى الافكار وأجلها شأناً مثل فكرة وجود الله ومثل تصورات الرياضة لا يمكن ان ترد الى الحواس او تستمد من مصادرها ولذا كانوا يقولون باستقلال العقل الانساني ومقدرته على استنباط المعرفة من موارده الخاصة واعماق كيانه وكانوا يرون ان أصح الافكار وأصدقها معبوعة بهذا الطابع صادرة من هذا المورد، اما الافكار المتصلة بالحواس فهي أهون شأناً وأنزل منزلة لان الاحساس في رأيهم قرين التفكير المشوش والآراء المشوبة، وكانت هذه النزعة من نزعات التفكير تسمى النزعة « العقلية »

* * *

وقد نبغ في القرن الثامن عشر الفيلسوف الالماني الكبير « امانويل كانت » فحاول حل هذا المعضل وفض ذلك الخلاف فذهب الى ان الاحساس والتفكير وظيفتان يكملان احدهما الآخر وان المعرفة الحقة تأخذ بنصيبها من هذين الطرفين، فالحواس تزودها بالمادة القابلة للتنظيم والفكر يفرغها في القالب المناسب ويصورها بالصورة الملائمة، وكل قضية من القضايا في رأي « كانت »

تشمل العنصرين وتفترض وجود عقل قادر ومختار معاً ، فهو مختار لانهُ يشعر بأثر الحياة ويتلقى منها مواده الخام اللازمة وهو يعمل لانهُ يهبها الصورة ويشق لها المجرى . والافكار بدون هذه المواد الواردة من الحواس خواء لاخير فيه والاحساسات الخالية من التصورات عماء لاتبصر ولا تعي وبذلك وفق «كانت» بين النزعتين واستطاع ان يتعقبهما ولا يجور على احديهما

***

وفي الحياة العملية خلاف آخر بين « الغريزة » و « الارادة » ، فالغريزة تخضع الى ضرب خاص من ضروب العمل من صوره في الحياة البدائية الجوع والظمأ وما اليهما وهي تحد من حرية العقل وتخضع الارادة للضرورات ، ومن هنا نشأ خلاف بين مذهبين متعارضين مذهب عقلي يقول بتمام حرية الانسان واستعلائه فوق نوازع الحاجة ويحاول ان يبين قدرة الانسان على كبح تلك النوازع وسحق هذه الشهوات وينهي بفكرة التنسك . ومذهب طبيعي يرى أصاره ضرورة الاستجابة لمطالب الغريزة وتلبية نداء الشهوة . ويقولون ان محاولة اخماد الشهوات ومقاومة الميول خروج على الطبيعة والتواء في الفهم وان العقل السليم ينقاد لها ويلبي احكامها لانهُ يعرف انهُ خادم الاهواء . وقد لجأ بعض المفكرين الى التوفيق بين هذين الطرفين ترسماً لخطوات «كانت» وأخذاً بطريقته فالغريزة في رأيهم توجه تسير على غير هدى وقد تفضي بالانسان الى الهلاك المحقق وهي تقدم للعقل مادة يستطيع ان ينتفع بها في عمله ، فالعقل — او الارادة — خادمة الرغبة وسيدتها في نفس الوقت ، وكما ان الفكر الخالي من اثر الاحساس فراغ لاغناء فيه والاحساس الخالي من أثر الفكر أعمى ليس لهُ قائد فكذلك الحياة الخالية من اثر الغريزة حياة شاحبة لاسرور فيها ولا متعة والحياة التي تنقاد للاهواء وتستسلم للشهوة حياة مستهدفة للاخطار متخبطة في الظلام ، والحياة الفاضلة المثلى مرتفعة على تنظيم الميول والموازنة بينها في ظلال هيمنة العقل وسيطرة الارادة

وما ينطبق على حياة الفرد في جانبيها النظري والعملي يصدق في حياة المجتمعات الانسانية في ظلال الحكومات ، فكل مجتمع أشبه بوحدة مستقلة منسجمة لها صفات التفكير والعمل ، واذا كان لأي مجتمع منظم تحت سيطرة حكومة من الحكومات « ارادة » فأن الحكومة هي بلا نزاع التي تمثل فيها تلك الارادة ، وأقصد بالحكومة هنا السلطات التي تملك اصدار القوانين وتبديلها وتشرف على تطبيقها وسريان احكامها وتقوم بمختلف الاعمال باسم المجتمع ، وهذه الاعمال في مختلف انواعها وشتى ميادينها تعد في منزلة الاعمال الصادرة عن ارادة بعينها متخذة غرضاً خاصاً وتتبع سياسة مرسومة

وعلى هذا الاعتبار اذا كان المجتمع سليماً متحداً وكانت طريقة النيابة والتمثيل في نظام حكمه صحيحة لا غبار عليها فان بت الحكومة في الامور يكون في هذه الحالة نتيجة عاملين عاطل عمل افراد الأمة الى الاشتراك في عمل الدولة وسياستها والتعاون مع رجالها في القيام بهذه المهمة وعامل طلب الفائدة والتأييد من السلطة المركزية التي تحاول اشباع رغبات الشعب والاضطلاع بمطالبه . وهذا التبادل المتضمن بين الحكومة النيابية المحزبة على شرعية أعمالها وبين رغبة افراد المجتمع في منحها هذا الحق يشبه صب المادة في القالب المناسب لانه ينظم الدوافع التي تزخر بها نفوس الشعب والميول التي تتلجلج بين جوانحه ويمثلها في صور واضحة ورموز ناطقة مثل القوانين والقوائح وسائر الاعمال التي تقوم بها الحكومات

***

والدمقراطية في ابسط صورها مناطها مساهمة كل فرد في حكومة بلاده ، والطريقة النيابية تتسع لهذا المجال وتتيح لهُ هذه الفرصة اذ يختار بمحض ارادته من يتولونهُ ويقومون مقامه في الفصل في الامور وسائل الحلات . ومن ثمَّ فان تناول المجالس النيابية مختلف الشؤون او بحث مجالس الوزراء ما يعرض من المشكلات يراعى فيه الاستجابة لميول الشعب واتجاهه وتقدير الرأي العام أي ان حرية الفصل في الامور تحد منها المادة الموجودة والمادة هنا هي كتلة الشعب

والقوي مسوغ لوجود الدمقراطية هو أنها تدعو كل فرد الى ان يأخذ نصيبه في اختيار نوابه وبذلك يعرف هؤلاء النواب ما يختلج في النفوس من الحاجات سواء أكان عن طريق التأييد او عن طريق المعارضة . ومن شأن هذا الاسلوب ان يجعل القوم مطمئنين بالمسائل الهامة مقبلين عليها حريصين على فهمها وتدبرها ويفرض على الحكومة ان تراعي الاعراب عن آمال افراد الشعب وتتوخى اجابة مطالبهم وتحاول ان تكون من المادة « عملا »

واذا حرَّم على الشعب اتباع هذا الاسلوب والاخذ بطريقة الانتخاب فانهُ يظل معنيًّا الى حدٍّ ما بالشؤون العامة ، وتراعي الحكومة رغباته الى حدٍّ ما . وذلك لانها لا ترى من الحزم ان ترهقهُ وتضطره الى الخروج عن طوره ، ولكن على مرّ الايام يصبح القائمون بامر الحكم غير متأثرين الا بآراء دائرتهم المحدودة ووسطهم الخاص وافكار اصدقائهم والمقربين منهم ، والنزعة الدمقراطية تصلح هذا العيب وتعالجهُ الى حدٍّ كبير وهي تدعو النائب الى ان يتحسس الرأي العام ويجس نبضهُ ويحاول ان يتعرَّف تلك الميول المكظومة والنزعات الخفية ، وحياة النائب السياسية قائمة على هذا التجاوب بينهُ وبين رغبات من يمثلهم وينوب عنهم

وتفسير الديمقراطية على هذا النمط يشابه خطة «كانت» التي اشرت اليها في اول مقالي لانها تعمل على الملاءمة بين رأيين جد مختلفين في علاج المشكلة السياسية التي تعرض للمجتمعات في كل حين وتقدر ما في كل من الرأيين المتعادين من حق جزئي ، فالرأي الاول من شأنه ان يبالغ في ضرورة جعل الحكومة اسرع ما يمكن خاضعة لرغبات الشعب الى اقصى الحدود . ويكاد يقصر وظيفتها على تسجيل تلك الرغبات ومباشرة تنفيذها . والرأي الثاني يرى عكس ذلك تماما وتراميها الى المستحيل او المتعذر وعجزها في بعض الاوقات عن تحقيق الاشياء وعلى الدولة ان تتولى مهمة خلق النظم وابداع القوانين وابتكار الخطط السياسية واساليب الحكم الصالح

***

وعند الفلاسفة بتيمة الدولة تشابه من بعض الوجوه موقف الطفلين في اشادتهم بسيمة العقل ووجوب ترفعه عن نزعات الحواس واهواء النفوس ولذا يميل اكثر الفلاسفة العقليين الى هذا الموقف تجاه المسائل السياسية ، ومن قبيل ذلك موقف افلاطون الذي كان يرى ان الفلسفة خير مدرسة لسياسة وان الحاكم الفيلسوف يجب ان يسترشد في سياسته بنماذج هابطة من السماء ويعرض عن حقائق الارض والحكومة المثالية في زعمه لا تشرك الشعب في تصريف الامور فهي تناقض الديمقراطية في اصرارها على ان يلتزم الحاكم مراعاة اماني الشعب ومطالبه ، وهي تنزل بالانسان الى مرتبة الجماد وتعتبره كالمواد الخام التي تصاغ منها التماثيل وتصنع الصور ، ولو ذهب افلاطون الى ان الطبيعة الانسانية في عصره كانت غير صالحة لاحتمال اعباء الحكم لكان لهُ عذره ولكنهُ فرّق تفريقاً حاسماً بين الحكام والمحكومين وبين الاقلية العاملة الفعالة والاكثرية المنفعلة وبذلك قضى على الوحدة والتعاون بينهما ويظهر سوء اثر ذلك عند الانتقال من تفسير الارادة تفسيراً عقليًّا الى تفسيرها تفسيراً غير عقلي . وهناك تنقلب فكرة الحكم المثالية مادية صارخة وتصبح القوة السياسية مرتكزة على العنف والارهاب معتمدة على الحديد والنار وهذا هو رأي هوبز ومن نفَّ لفه في ايطاليا والمانيا ، فهناك الزعيم المطلق الذي لا يسأل عن مصادر تفكيره ومراجع وحيه وانما على الشعب الطاعة والخنوع والانقياد لأوامره ، وعقول الشعب في زعمه صحيفة بيضاء يرتسم عليها ما يريده قادته وحكامه وهذا هو ما يسمى « الاستبداد المطلق »

وعندما احصى ارسطو الفضائل أظهر ان كل فضيلة هي حالة توسط بين نهايتين متطرفتين كلاهما عيب ونقصان ، فضيلة الشجاعة مثلاً هي وسط بين رذيلة الفجور والطيش ورذيلة الجبن وقد ذكر ان احد الطرفين المتناقضين في المادة اقرب الى الفضيلة من الطرف الآخر ولذا

كثيراً ما يشبه امره بأمرها فالثور قد يظن شجاعة ولكن الجبن يندر ان يصحب الثبات بينه وبين الشجاعة . وهذان الطرفان يشبهان طرفي الرضوخ فان الديمقراطية الحقة هي توسط بين انفراد الشعب بالسلطة واستئثار الحكام بها . وان كان حرص الشعب على ادامة الاستئثار من سلطة اقرب الى الديمقراطية واجدر بها من محاولة القادة سلب السلطة والانفراد بالامر واشد ما يخاف بعض كبار نقاد الديمقراطية في العصر الحديث على اساليبها هو محاولتها جعل ايدي الحاكمين وعرقلة مساعي السلطة التنفيذية وقصرها على النظر في تفاصيل الامور وهين الشؤون. ويتضح من ذلك ان احد الطرفين يحاول ايجاد القالب او الصورة بدون ايتحضار المادة على حين ان الطرف الآخر يستحضر المادة ويهيء امر الصورة وخلق القالب

ومن الخطأ الاعتقاد بأن « الارادة العامة » تهبط من الشعب هبوطاً تلقائياً لان الارادة هي الصورة التي تتصور فيها الرغبات والدوافع والاشواق . والشعب بطبيعته عاجز عن تعيين تلك الرغبات الجائشة والاشواق الثائرة والدوافع الغامضة الصور والقوالب المناسبة لها المعبرة عنها وانما الحكومة الدستورية هي التي تتكفل بجلاء هذه الرغبات البهمة وتحديد تلك المطالب الغامضة وتكون الارادة المنشودة وجوهر الديمقراطية قائم على تبادل الفهم بين السياسيين المسؤولين وبين الافراد والجماعات وليست الحكومة الديمقراطية حكومة منطقة مقصور عملها على تلقي الرجع من الشعب والتشي مع رغباته وانما هي تتلقى تلك الرغبات وتصقلها وتصفيها وتضفي عليها النظام وتتولى تنفيذها فعملها عمل المنوجد الخلاق ولو انها كانت غير ذلك لضعفت آلة الحكم واختل النظام وثبتت تلك العيوب التي يحصيها الكثيرون على النظام الديمقراطي ولاضطر الشعب الى ان يلتمس الزعامة في اسلوب آخر من اساليب الحكم

***

والديمقراطية الحقة توفق بين زعمين من المزاعم السائدة وهما الزعم القائل بأن الحكمة كامنة في الجماهير وان صوت الشعب من صوت الله والزعم القائل بأن الحكمة انما تهبط على البطل الملهم والزعيم المروَّع الذي يجب ان يسند اليه الامور وتسلم له القيادة

وبين الروح الديمقراطية والروح العلمية آصرة نسب وصلة قربى ولذا تأصلت الديمقراطية في الامم التي قويت فيها النزعة التجريبية وليس من قذفات الصدفة ان اصبحت انجلترة وفرنسا أعرق الدول ديمقراطية في حين ان المانيا مهد الفلسفات الغيبية ومذاهب ما وراء الطبيعة أشد الامم امتناعاً على النظام الديمقراطي

الأحياء

الأرضية الدقيقة

ماهيتها ، طرق معيشتها ، أهميتها في الطبيعة

لرضوان محمد رضوان

حقاً ، لقد كان اختراع الميكرسكوب حدثاً هاماً وكشفاً مبيناً ، إذ أنهُ أضاف الى مملكة الأحياء عالماً جديداً ، لم يكن معروفاً من قبل ، وما كان ليخطر لأحد : ذلك هو عالم الاحياء الدقيقة ،التي لا ترى بالعين المجردة ، والتي تلعب دوراً جليل الخطر ، بعيد المدى في هذه الحياة. ولقد أبان هذا الكشف عن ناحية عجيبة ، فريدة في بابها ، تدل على عظمة هذا الكون الشاسع، فان تلك الأحياء متناهية في الصغر ، متضائلة في الحجم ، إلاّ أنها على جانب عظيم من النشاط والعمل المنتج السريع . ويطلق علم الأحياء الدقيقة (الميكروبيولوجي) على العلم الذي يشمل دراسة البكتريا عامة والفطر والخمائر وبعض أنواع البروتوزوا ، إلاّ اننا سنقصر كلامنا هنا على الكائنات الدقيقة التي توجد بالتربة وعملها

ان أغلب العمليات الكيميائية والحيوية التي تحدث في الأراضي ، ناشئة عن فعل الكائنات الحية ، كما سيتضح ذلك فيما بعد ، وتشمل الأحياء الأرضية الدقيقة ، البكتريا والفطر الدقيق وبعض الطحالب وهذه تتبع المملكة النباتية ثم البروتوزوا (الحيوانات الأولية) وتتبع المملكة الحيوانية . وهذه الكائنات لا توجد كلها بنسبة واحدة في الأراضي ، إذ ان عدد البكتريا يفوق عدد الأحياء الأخرى في الأراضي العادية ، وفي العادة أن كل ١٠٠٠٠٠٠٠ بكتريوم في التربة ، يقابلها ١٠ — ١٠٠ من الفطر و ١ — ١٠ من البروتوزوا والطحالب . وتكثر الفطريات عادة في الأراضي الحمضية ، اما البروتوزوا والطحالب فتكثر في الأراضي الرطبة

تعتبر البكتريا أهم الكائنات الحية الميكرسكوبية على الاطلاق ، إذ أن عليها تتوقف حياة النبات ، واستمرار نشأته جيلاً بعد جيل ، ولما كان أغلب كلامنا سيشمل هذا النوع من الأحياء ، لهذا لم نر بدّاً من تعريفها بكلمة موجزة

توضع البكتريا عالباً في المملكة النباتية ، تابعة للنباتات اللازهرية ، وهي تلك النباتات التي

لا يميز لها جذر أو ساق أو أوراق ، وتتركب البكتريا من خلية واحدة ، تحتوي على المادة اللازمة للحياة (البروتوبلازمة) ، ومحاط بجدار غشائي رقيق تواتمهُ مواد أزوتية ، ويسمى الخلية نواة واضحة . وما تكثر فيحدث اختلافاً بيناً ، فقد تكون كروية الشكل أو عصوية أو حلزونية وقد تأخذ شكلاً غير منتظم ، إذا ما عاشت في حالة ضغط واحتكاك شديد ، لين الملامس الوسط الذي تعيش فيه . وليس أنواع البكتريا أهداب رفيعة جداً توجد منفردة أو متجمعة ، بواسطتها تستطيع البكتريا أن تتحرك في السائل الذي تعيش فيه ، بيد ان البعض الآخر يتحرك بالتواء جسمه كالزواحف

وتعد البكتريا أصغر الأحياء الدقيقة على وجه العموم ، ونحن اذا علمنا أن البكتريا العصوية مثلاً ، يتفاوت طولها من ١ — ١٠ ميكرون وعرضها من $\frac{1}{4}$ — $\frac{3}{4}$ ميكرون ، وأن الميكرون عبارة عن $\frac{1}{1000}$ من المليمتر ، أدركنا دقة حجم هذه الكائنات المتناهي في الصغر ، وقلت فهي منتشرة في كل مكان ، فهي توجد في التربة والطوء والغذاء والماء وغيرها . وتكاثر البكتريا أمر من السهولة بمكان ، فان الميكروب ، وهو عبارة عن خلية واحدة ، ينقسم الى خليتين ، وكل منها ينقسم بدوره الى اثنين وهكذا ، ويسمى هذا التكاثر بالانقسام البسيط ، ويحصل في الاحوال الملائمة مرة كل ٢٠ أو ٣٠ دقيقة ، واذا استمر هذا الانقسام بدون توقف مدة يومين او اكثر ، أخلف عدداً عظيماً جداً من هذه الكائنات ، وملأ الارض جميعاً . وقد ذكر العلامة نيثر ، أنهُ اذا تكاثر بكتريوم واحد من بكتريا الكولبرا بالانقسام ، وكانت الظروف ملائمة ، بلغ عدد الميكروبات التي تنتج في ٢٤ ساعة ما يقرب من ١٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون فرد ، أي ما يبلغ زنته نصف مليون رطل ، ولكن هناك عوامل طبيعية تقف حائلاً في وجه هذا التكاثر الذريع : منها تناقص المواد الغذائية ، كما ان هناك تخاصماً وصراعاً بين أنواع البكتريا المختلفة

الخلية البكتيرية عديمة الكلوروفيل (اليخضور) ولذا فهي تحتاج الى التغذي بأجسام الحيوانات او النباتات ، الحية او الميتة ، والانواع التي تعيش على الكائنات الحية تسمى بالبكتريا الطفيلية ، وتلك التي تتغذى بغذائها من الكائنات الميتة تعرف بالبكتريا الرمية . ويمكن لعدد قليل جداً من أنواع البكتريا ان يتغذى بمواد غير عضوية . وتمتص البكتريا غذاءها على هيئة سائل او غاز ، وهذا هو السبب في ان العلماء يعتبرونها نباتات وليست حيوانات . وتأخذ البكتريا الأزوت (النتروجين) اللازم لها من البروتين ، وهو يعتبر أحسن مصدر للازوت ، ولذا فجد ان اللحوم معرضة دائماً لغارات البكتريا ، وأما الكربون فان معظم البكتريا تحصل عليه من المواد العضوية ، في حين ان القليل منها يمكن ان يأخذه من ثاني اكسيد الكربون الجوي . وأما الاكسجين فان بعضاً من أنواع البكتريا يموت اذا ما عرض له ، وتسمى «البكتريا اللاهوائية» وهي تحصل

على المجهود اللازم لها من تحليل المواد العضوية، والبعض الآخر لا يدله . لا كسجين الحر للتنفس وتسمى « البكتريا الهوائية » . وهناك بعض انواع من البكتريا ما تستطيع ان تتحول من هوائية الى لاهوائية وبالعكس وفقاً للاحوال المحيطة بها . وتحتوي الخلية البكتيرية على ٧٥ — ٨٠ ٪ من الماء، ولذلك كانت حياة البكتريا بدون الماء مستحيلة . وهناك عوامل غريبة في حياة البكتريا، إذا ما صادفتها احوال غير مناسبة ، تلك هي ظاهرة تكوين الجراثيم . فانه اذا ما قل الغذاء مثلاً ، فان البكتريا لا تهلك مباشرة ، انما يتجمع بروتوبلازم الخلية . ويحيط نفسه بغشاء سميك يقيه المؤثرات الخارجية ، ويبقى كذلك حتى ترجع الاحوال الملائمة . وتعرف في تلك الحالة بالجرثومة ، ويكون لها القدرة في غالب الاحايين على الحياة بدون غذاء في حالة سكون عدة سنين ، كما أنها تقاوم الحرارة والافرازات السامة الى حدّ بعيد

وهناك تأثيرات طبيعية، تحدثها البكتريا منها انتاج الحرارة ويشاهد ذلك بوضوح عند تراكم مقادير كبيرة من المواد العضوية ، وقد يزداد الارتفاع في درجة الحرارة الى ٧٠ متجراد ومنها انتاج اللون ، والالوان الشائعة هي اللون الاصفر والاحمر والأرجواني . وهناك نوع من البكتريا يتسبب عن نموه نقط حمر مشابهة جداً لنقط الدم تظهر فجأة على الخبز المطهو . وبعض الانواع المقدرة على انتاج الضوء ، فقد شوهد في ماء البحر وعلى اجسام أنواع من السمك ، ضوء ناشيء عن فعل انواع معينة من هذه الميكروبات

هذا موجز لحياة البكتريا، فننتقل بعده الى الكلام على أهمية البكتريا في التربة ، ونكتفي لعطي فكرة عامة عن عددها في الاراضي المختلفة ، تثبت هنا نتائج التجارب التي أجريت في هذا الصدد. فلقد وجد ان التربة الخصبة تحتوي من ٦ — ١٠ مليون بكتريوم في الجرام الواحد . ويقل هذا العدد الى ½ مليون بكتريوم أو أقل في الجرام الواحد من الارض الرملية ، ورأى بعض الباحثين ، أن متوسط عدد البكتريا في الارض المناسبة يتفاوت بين ١ — ٦ مليون في الجرام الواحد . وفي الأراضي المسمدة حديثاً بالاسمدة العضوية يرتفع فيها عدد البكتريا حتى لقد يصل الى ٥٠ — ١٢٠ مليون فرد في الجرام الواحد. وفيما يلي تفصيل لأعمال البكتريا في الاراضي

١ — ﴿ تحليل المواد العضوية غير الازوتية ﴾ من أهم تلك المواد ، السلولوس وهو المكون لجدران الخلايا النباتية ، ثم الكربوايدرات والاحماض العضوية . والدهون المتخلفة في الارض من بقايا الاسمدة وبقايا النباتات والحيوانات . وتعتبر الميكروبات القادرة على تحليل المواد العضوية المعقدة مثل السلولوس واللجنين ، من أهم الاحياء في التربة ، اذ أن اغلب المواد الكربونية التي تضاف الى الارض وتبقى بها ، تكون على حالة سلولوس أو بكتين وما شابههما ولا يمكن أن يستفيد منها النبات اي فائدة ، اذا لم تتحلل اولاً إلى مركباتها البسيطة بواسطة البكتريا

تحص اذاً المواد العضوية غير الازوتية ، ويتوقف اختلافها على الاحوال المحيطة بها ، فان وجدت في وسط يدخله الهواء ، كان التأثير للبكتريا الهوائية ، ويكون ناتج التحليل غاز ثاني اكسيد الكربون والماء والدبال ، ويرجع اهمية غاز الكربونيك للتربة الزراعية في أن جزءاً منهُ يتفرد في الهواء ، تستفيد منهُ النباتات الخضر اثناء قيامها بعملية التمثيل الكلوروفيلي وأما الجزء الباقي فيذوب في المحلول الأرضي ، ويتكوَّن حامض الكربونيك الذي يؤثر في كثير من المواد المعدنية فيذيبها ، وبذلك يستطيع النبات أن يستعملها في غذائه بسهولة تامة

واما ان وجدت تلك المواد العضوية في احوال غير هوائية ، كأن تكون مدفونة في طبقات عميقة من التربة ، أو في ارض مغمورة بالماء ، أثرت فيها البكتريا غير الهوائية فتحولها الى مواد بسيطة ، فتتحول الكربوايدرات والسلولوس الى انواع بسيطة من الكربات مثل سكر الجلوكوز Glucose والمانوز Mannose والزيلوز (سكر الخشب) Xylose والى بعض الاحماض العضوية مثل الحمض الخليك والبوتريك واللبنيك وغيرها كما تتصاعد بعض الغازات غير التامة الأكسد مثل الايدروجين والميثان والايدروجين المكبرت

٢ — (تحليل المواد العضوية الأزوتية) تشمل هذه المواد بقايا الكائنات الحية ، ومختلف افضلاتها النتوية ، وجميعها تتأثر بالبكتريا الهوائية او غير الهوائية ، بحسب البيئة التي توجد بها ، فان كان التأثير للبكتريا الهوائية سمي بالاختلال ، ويسمى بالتعفن إذا ما أثرت عليه البكتريا اللاهوائية . وقد تحدث العمليتان معاً ، فتعمل البكتريا الهوائية في الطبقات الخارجية من المواد العضوية المعرضة للهواء ، وتعمل اللاهوائية في الطبقات الداخلية حيث ينعدم الهواء . وفي الاختلال يتحول الكربون والايدروجين الى ثاني اكسيد الكربون وماء ، ويتحول الأزوت الى نوشادر ، وحقيقة المركبات التي تتكوَّن اثناء عملية الاختلال ، غير معروفة بالضبط ، وغاية ما علم ، انهُ عند اختلال اللحم (البروتين) في مقادير كبيرة من الاكسجين ، تتكوَّن احماض منها الحمض الأوليك والسكسنيك والباليتيك . وفي عملية التعفن تتكون مركبات عديدة اكثرها سام وغير متحلة تماماً ، فاذا تعفنت البروتينات مثلاً ، تتكون مركبات اليومينية (زلالية) وأحماض أمينية ، ويتصاعد كثير من الغازات مثل الايدروجين المكبرت والميثان وثاني أكسيد الكربون والايدروجين والازوت والفوسفين

اذاً فلكي يستطيع النبات أن يستفيد من المواد العضوية الازوتية التي تضاف الى الأرض ، يجب ان تؤثر فيها الميكروبات اولاً ، والمتحصلات الناتجة هي التي تصلح لتغذية النبات ؛ وإلى أن تتحوَّل تلك المواد العضوية المعقدة ، الى مواد بسيطة ، يجب ان تجتاز عدة حالات يختص بكل حالة منها نوع معين من الميكروبات

وأول تغير يحدث تلك المواد ، هو تحويلها الى امونيا ، وتقوم بهذا العمل والانحلال البكتيريا مختلفتان تعملان تعملية تكوين النوشادر (النشدرة) ammonification وتقوم بهذه العملية عدد كبير من البكتريا الهوائية وغير الهوائية ، فمن أهم انواع البكتريا الهوائية ما هو عصوي قصير غير متجرثم مثل الانواع Proteus vulgaris ، Pfeifferea وانواع اخرى متجرثمة مثل Bacillus mycoides الخ . واما الانواع غير الهوائية فأهمها Putrificus وتذكر فيما يلي خطوات تحويل المادة العضوية الى نوشادر متخذين لذلك مثلا اليوريا (البولينا) لانها جزء كبير من المادة العضوية المضافة للارض

يوريا + ماء ← نوشادر + ثاني اكسيد الكربون

ك ا (زيد ٢) ٢ + يد ٢ ا ← ٢ زيد ٣ + ك ا ٢

او يوريا + ماء ← كربونات نوشادر ← نوشادر + ثاني اكسيد كربون + ماء

ك ا (زيد ٢) ٢ + ٢ يد ٢ ا ← (زيد ٤) ٢ ك ا ٣ ← ٢ زيد ٣ + ك ا ٢ + يد ٢ ا

والنوشادر المتكونة يمكن ان ينتفع بها النبات فان بعض الازوت اللازم له على حالة نوشادر ، وهناك بعض النباتات كالارز مثلا ، يفضل استخدام أزوت النوشادر على أزوت الأزوتات

تلي خطوة تكوين النوشادر ، تكوين الأزوتات وهذه تحدث في التربة على درجتين

١ — أكسدة النوشادر الى الحض الازوتوز بحسب المعادلة الآتية :

نوشادر + أكسجين ← حض أزوتوز + ماء

زيد ٣ + ٣ ا ← يد ز ا ٢ + يد ٢ ا

ثم يتحول الحض الأزوتوز وأملاحه (الأزوتيت) الى أزوتات كما يلي :

حض أزوتوز + أكسجين ← حض أزوتيك

يد ز ا ٢ + ا ← يد ز ا ٣

ويقوم بالدرجة الاولى من العملية بكتريا خاصة يطلق عليها اسم B. nitrosomonas وبالدرجة الثانية بكتريا خاصة تسمى Nitrobacter

وعملية « التأزت » من أهم العمليات التي تحدث في التربة على الاطلاق ، وعليها تتوقف حياة النبات ، فمن المعلوم ان عنصر الأزوت هو من أهم العناصر المكونة للبروتوبلاسمة الحية ، وبدونه يموت النبات ، كما ان النباتات الخضر لا يمكنها امتصاص الأزوت الا على حالة أزوتات . ولاتمام عملية التأزت ، لا بد من شروط خاصة يجب توافرها ، فلا بد من وجود نسبة كافية من الهواء وان تكون درجة الحرارة مناسبة ، فانها اذا ارتفعت عن ٤٥° سنتجراد فان B. Nitrosomonas يموت في خمس دقائق ، واذا زادت درجة الحرارة الى ٥٥° سنتجراد فان Nitrobacter

يثبت أيضاً ، ولا بد أيضاً من توافر النوعين كما سبق ان بينا ذلك

زيادة على تلك الخدمة الجليلة ، التي تسديها تلك الكائنات الدقيقة للنبات ، قد تجيز الأزوت من المواد العضوية المعقدة التركيب ، فان هناك أنواعاً أخرى من البكتريا قد اقتدرت على امتصاص الأزوت الجوي مباشرة بغير وساطة . ومن غريب قدرة الله تعالى ، ان تثبيت عنصر الأزوت في النسل الكيمياوي ، يستدعي مجهوداً لاقياً ، إذ أن الأزوت عنصر خامل يصعب اتحاده بغيره من العناصر ، لهذا يستعمل في الطرق الصناعية تيارات كهربائية عالية ، ومع ذلك فان مقدار الأزوت الذي يثبت في هذه الحالات ضئيل جداً لا يقاس بجانب المقدار الذي تثبته تلك الميكروبات التي لا ترى بالعين المجردة !

هذه البكتريا التي تثبت الأزوت الجوي ، على نوعين ، نوع يعيش بالاشتراك في جذور النباتات البقولية ، والنوع الثاني يعيش منفرداً . ويعرف النوع الاول ببكتريا العدية وأسم أنواعها B. Radicicola ، وهي تصيب جذور نباتات الفصيلة البقولية وتتكاثر فيها وتحدث فيها انتفاخات كثيرة تبرز الى الخارج وتكون ما يعرف بالعقد ومعيشة النباتات البقولية والبكتريا العدية هي معيشة تكافلية Symbiosis ولم يعرف بالتحقيق الحالة التي يستفيد بها النبات من الأزوت الذي يأتيها عن طريق البكتريا . فبعض العلماء يرى أن البكتريا تثبت الأزوت ثم تستعمل أولاً في بناء بروتوبلاسمها الخلية ، ثم بعد موت البكتريا وهضمها ، يمتص النبات المحصولات المهضومة ، والبعض الآخر يعتقد أن جزءاً من الأزوت المثبت تفرزه الميكروبات على حالة ذائبة وبذلك يستفيد منه النبات . تشير ذلك بعد انبات البكتريا بالكربوايدرات كمصدر لمجهودها والنباتات البقولية تفيد الأرض التي تزرع فيها بعد أن تحلل بقايا جذورها لأنها تزيد مقدار الأزوت في التربة لوجود البكتريا العقدية بها

وأما البكتريا التي تثبت الأزوت وتعيش منفردة فأهمها النوع المعروف باسم Azotobacter chroococcum وهو اكثر الميكروبات انتشاراً ، ويوجد في جميع الأراضي ماعدا الأراضي الشديدة الحموضة ، كما انه اكثر في الأراضي المزروعة منه في الأراضي البكر ، ونشاطه في الربيع اشد منه صيفاً وشتاء

ومن الأمثلة ايضاً على ما تقوم به الميكروبات في الأرض ويتصل بتكوين التربة الزراعية نفسها ، تلك الظاهرة التي كانت تعزى إلى تأثير الجير في تفكيك المواد العضوية وتحويلها إلى مركبات معدنية ، ولكن الواقع أن هذه الظاهرة هي من عمل البكتريا ، إذ انها تنشط الأراضي الحامضة إلى القلوية لوجود الجير فيها ، فتنشط في تحويل ما قد يوجد بها من المادة العضوية الى دبال ثم إلى مركبات معدنية

يتضح لنا مما سبق أن الأراضي الزراعية فقيرة جداً في عنصر الأزوت ، وان هذا العنصر

لا يوجد في صورة يسهل على النبات الاستفادة منهُ ، اذ أنهُ مركب في المادة العضوية مع الكربون والايدروجين والأكسجين وعلى صورة غير ذائبة فاذا ما تناولتها الميكروبات فعلها قابلا تكفل للنبات غذاءه . وعلى ذلك يمكننا القول أن هذه البكائات المفيدة تلي النباتات الخضراء شأناً ، لأنهُ اذا كانت هذه أساساً للحياة لأنها تكون المادة العضوية من مواد غير عضوية ، فان البكتريا تقوم بعكس هذه العملية ، فهي تحول المواد العضوية الى أخرى غير عضوية صالحة للنبات

بقي أن نذكر كلمة عن أنواع البكتريا المضرة بخصب الأراضي الزراعية ، فهي تشمل بكتريا عكس التأزت Denitrification وهذه تسبب فصل الأزوت المطلق بأن تأخذ الأكسجين من الأزوتيت والأزوتات تاركة الأزوت ينفرد ، ولا تعيش هذه البكتريا إلا في احوال غير هوائية

وفي الأراضي الرطبة المغطاة بالماء ، تحدث عملية أخرى ضارة بخصب الأراضي تعرف باختزال النترات Reduction of nitrate تقوم بها بعض أنواع الميكروبات مثل B. Coli والغرض منها الحصول على الأكسجين اللازم لحياتها وذلك عند ما تكون التهوية محدودة . وكلتا العمليتين يمكن ايقافهما نهائيًا وذلك بتحسين التهوية في الأراضي وذلك بالعناية بالصرف وخدمة الأرض جيداً

﴿ الفطريات ﴾ ننتقل بعد هذا الى الكلام عن القسم الثاني من الكائنات النباتية التي توجد بالأرض وهي الفطريات Fungi . ويتميز الفطر بكونه نبات لا يحتوي على الكلوروفيل ، فلا بدَّ لهُ اذا أمن ان يتحصل غذاءه الكربوني مجهزاً سواء من الكائنات الحية او الميتة نباتية كانت او حيوانية

ويختلف مسلك الفطر عن مسلك البكتريا ، فاذا كانت هذه تفضل الاراضي القلوية الخفيفة ترى الفطر يفضل الاراضي الحمضية ، كما ان الضوء لا يوافق البكتريا ولكنهُ يلائم الفطر ، ويشترك كل من البكتريا والفطر غالباً في طبقات الارض العليا المتفككة ، فتجد بعد عمق ٢٥ سنتمتراً يقل عدد البكتريا كثيراً حتى اذا ما وصلت الى عمق ٥٠ سنتمتراً فان نموها يقف ولكن الفطر يوجد منهُ ما يبقى على مسافات اعمق . ووجود الاكسجين شرط ضروري لنمو الفطر

يكثر وجود الفطر في الاراضي الحمضية على وجه العموم ، وأما الفطر الشعاعي Actinomyces فدائم الوجود في الارض ، وقد تقل نسبته الى ٥٠ ٪ من مجموع الفطريات النامية بالتربة ويرجع ما للفطر من الشأن في التربة الى ان كثيراً من انواعها تحلل فروع النباتات وجذوع الاشجار المتروكة في التربة فتحولها الى مواد عضوية مفيدة بأن تمتص محتويات خلايا الخشب والانسجة النخاعية وتمتد في الاوعية والالياف فتؤثر بذلك في الخشب اذ تفقد جدره اللجنين ، ويذوب الجدار الوسط فيصبح الخشب هشًا سريع التفتت . وهناك انواع مثل فطر پنيسلوم Penicillium واسبرجلس Aspergillus لها القدرة على تحليل السليولوز . وبعض الفطريات الاخرى تستطيع الحصول على غذائها من الهباد الطيني وبذلك تحلله وتساعد في جعله مفيداً للمحاصيل .

والانواع سيئة من الفطر القدرة على تحليل السكر بايدروجين اثناء تنفسها اللاهوائي فتحلها الى كحول وثاني اكسيد الكربون بواسطة انزيم الزمار، وقد سبق بيان تأثير افراز الكربونيك في التربة

على انهُ من اهم الاعمال التي يقوم بها الفطر في التربة ، وعلى الاخص الفطر الشعاعي . هو تكوين الدبال humus [1] ، وتحلل الدبال ينشأ عنه انفراد جزء من الازوت على حالة نشادر وهذه تتأزت بسرعة ، وفي الوقت نفسه تخرج كميات كبيرة من غاز ثاني اكسيد الكربون . ولا شك ان الدبال يكون جزءاً مهمًّا في التربة الزراعية ، فهو فضلاً عن كونهِ غذاء صالحاً لكائنات الدبثة حيث تستمد منه نشاطها لتأدية العمليات المفيدة ، يساعد على خصب الاراضي بما له من تأثيرات مفيدة للنبات ، فهو يمنع فقد المواد المعدنية الغذائية في الماء وترشيحها في الطبقات السفلى علاوة انهُ يزيد من قوة تحفظ الأرض للماء

يعاون البكتريا في عملية التشدرة أنواع من الفطر مثل Mucor و Penicillium فيمكننا القول اذاً ان التفاعلات المفيدة التي يحدثها البكتريا والفطر هي التي تسبب خصب الارض . ويقول في ذلك الاستاذ رامان « ان الانسان ليستطيع ان يضمن للنبات جودة النمو وسرعته بجعل الارض بيئة صالحة له وذلك بمساعدة الكائنات الحية الدبثة » . والى ذلك يشير أيضاً الاستاذ Ehrenberg « تعمل هذه الكائنات على توفير حمض الكربونيك وحمض الازوتيك في ماء التربة الزراعية باستمرار فيتكوَّن ما يقابل ذلك من املاح الكالسيوم وايضاً املاح المغنسيوم مما يضمن تجمع المواد الغروية » . بقي بعد ذلك من الكائنات الحية بالارض ، الحيوانات الاولية Protozoa وهذه قد بين الاستاذ J. Russel انها توجد ايضاً في الاراضي وتعيش على البكتريا فتنقص عددها وعلى ذلك فهي مضرة بخصب الاراضي ، ومن هذا يتضح السبب في معالجة الاراضي الجديدة والقليلة الخصوبة بالحرارة او بالتعقيم الجزئي لاتلاف البروتوزوا وبذا تصبح المجال للبكتريا فتنشط وتقوم بعملها خير قيام

وقد عوملت بعض الاراضي في روثا مستد بالحرارة فقل عدد الكائنات الميكروسكوبية من ٧ مليون في الجرام الواحد الى ٤٠٠ فرد فقط ، ووجد ان عددها بعد ترطيبها زاد زيادة عظيمة جداً ومن ثم زادت سرعة تكوين النوشادر من المركبات العضوية

الا أن البروتوزوا مع ذلك لا تخلو من فائدة للاراضي ، وذلك انه عند موتها وتحللها تكون غذاء صالحاً للاحياء الدبثة التي تؤدي مهمتها في هذه الحياة ثم تموت بدورها لتتغذى عليها الكائنات الحية الاخرى ، وهكذا دواليك

رضوان محمد رضوان

---

(١) الدبال عبارة عن مخلوط من جملة مواد عضوية ويعتقد بعض العلماء ان تركيبه هو : —
٥٠ ٪ ك و ٣٥ ـ ٤٠ ٪ ز و ٥ ٪ رماد . الا ان طبيعته الكيميائية غير معروفة بالتحديد ، ولكن الابحاث الحديثة تشير الى ان مصدره هو التغير مع التعين من مركبات خاصة ناتجة من التحويل البكتريولوجي Bacterial metabolism وهذه هي منبع الازوت في الدبال وعلى العموم يمكن ان يقال ان الدبال هو مادة عضوية نباتية وحيوانية آخذة في الانحلال

علاقة الانتاج

الزراعي بتغذية الشعب

—٣—

لحسن عنان بك
وكيل وزارة الزراعة

٦ – توفير الاغذية الحيوانية

ولا يكون ذلك الاَّ بوضع سياسة خاصة لتربية الماشية وتوليد اصناف منها تصلح للذبح واخرى للبن والعمل على الاكثار من اراضي الرعي وخاصة في الصيف لضمان وفرة اللبن ومشتقاته . كما أنهُ يجب أن تنظم تربية الدواجن والحيوانات الصغيرة كالاغنام والماعز والأرانب بتوافر النحم لعامة الشعب. وقد وضعت وزارة الزراعة فعلاً في عهدها الجديد مشروعاً لكن ذلك فأنشأت قسماً خاصًّا بتربية الحيوان والدواجن على اختلافها فأنشأت ثلاث مزارع للدواجن في الجيزة (بالغربية) وجزيرة الشعير (بالقناطر الخيرية) وسدس (ببني سويف) على أحدث النظم ، وفي البلاد نهضة مباركة في هذا الضمار ففيها عدد كبير من الهواة لهم رابطة تام شملهم وتقوم كلية الزراعة بتجارب عظيمة الشأن بهذا الخصوص

كما انهُ يجب ان يكون في متناول الشعب ما يكفيه من الالبان ومشتقاتها كالجبن بكافة اشكاله والقشدة والزبد والسمن وما يكفيه من لحوم الاسماك والحيوانات البحرية على اختلافها وهذا يستدعي تنظيم مصايد الاسماك والاكثار منها وتشجيعها بكافة الوسائل لتكون صناعة وطنية محترمة

فانهُ من العجب حقًّا ان تستورد مصر وهي قطر زراعي عظيم مقادير كبيرة من الاغذية الحيوانية مع أنهُ كان الواجب علينا ان تصدر منها الى الخارج ما يدر على بلادنا الربح العظيم فتستورد مصر الاغنام من فلسطين وسوريا والعراق ونجد والحجاز وتركيا وتونس وقبرص وبلغاريا وتستورد حيوانات النصيلة البقرية من بلغاريا وقبرص ويوغوسلافيا والعراق ورومانيا وسوريا وفلسطين والحبشة والولايات المتحدة وساحل الصومال الفرنسي وهولندا وتستورد الجمال من الحجاز ونجد وفلسطين وسوريا وتونس وقبرص والعراق

واليكم مقدار ما تستورده مصر من الحيوانات والاسماك ومنتجاتها عن سنة ١٩٣٧

أغنام	٧٠٩٠٠ رأس	ثمنها	٦٩١٠٠ جنيه
الفصيلة البقرية	٧٩٠٠ »	»	٤٧٥٠٠ »
جمال	٢٥٠٠٠ »	»	١٤٩٠٠٠ »
لحوم طازجة مبردة		»	٢٩٠٠٠ »
لحوم مملحة او مجففة أو مدخنة او مجهزة		»	١١٠٠٠ »
لحوم محضرة او محفوظة في أوعية		»	٤٨٠٠٠ »
ألبان ومنتجات معامل الالبان وبيض وعسل نحل		»	٢٨٨٠٠٠ »
مواد أولية ومنتجات أخرى من أصل حيواني		»	٦٠٠٠٠ »
مواد دهنية وزيوت وشموع وشحوم غذائية		»	٧٠٨٠٠٠ »
أسماك وذوات القشور والمحار		»	٨٧٠٠٠ »
مستحضرات اللحوم والاسماك وذوات القشور والحيوانات الرخوة		»	١٥٩٠٠٠ »

وكل هذه تمكن انتاجها واكثر منها بل اضعافها في بلادنا واغراق الاسواق الاجنبية بها اذ الواقع ان عدد الماشية في بلادنا قليل لا يقوم بسد حاجة البلاد من اللحوم ومشتقاتها والالبان ومشتقاتها وما تتطلبهُ الارض من الاسمدة العضوية

أما عن تربية الدواجن ففي مصر صناعة وطنية للتفريخ الصناعي لا مثيل لها في أي بلد آخر في الحيوان حواني ثمانمائة مصل للتفريخ يشتغل منها فعلاً الآن ما يأتي : البحيرة ٣٩ الغربية ٦٨ الشرقية ٥٣ القليوبية ٣٩ المنوفية ٧٧ الدقهلية ٧٤ الجيزة ٢٧ الفيوم ٤٩ بني سويف ٣٤ المنيا ٥٤ اسيوط ٩٦ جرجا ٤٥ قنا واسوان ٤٥

وقد بلغ عدد البيض الذي وضع للتفريخ بهذه المعامل سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ بالقطر المصري ٢٥٢ ر ٤٣٦ ر ١٠١ بيضة أخرجت ٣٠٩ ر ٤٧٦ ر٦٩ فراخ (كتاكيت) والموجود فعلاً من الدواجن سنة ١٩٣٧ بالقطر المصري هو

اوز	١ر٨٩٩ر٤٠٠	أي لكل	٩ اشخاص وزة
بط	١ر٣٦٣ر٣٠٠	»	١٢ شخصاً بطة
دجاج رومي	٣٣٠ر٩٠٠	»	٥٠ » ديك رومي
حمام	٤ر١٠٨ر٣٠٠	»	٤ اشخاص حمامة
ارانب	١ر٩٦٥ر٦٠٠	»	٨ » ارنب
دجاج	٢٦ر٨٨٧ر٦٠٠	»	٥ » ٨ دجاجات

ويبلغ عدد خلايا النحل بالقطر المصري سنة (١٩٣٧) ٦٢٤ و ٤٦٨ خلية بلدية و ٥٩٢٧ خلية افرنكية وهذا عدد غير كاف بحاجة القطر لذلك يجب العمل على اكثار الخلايا الافرنكية وهذا يقوم بالدعاية لهُ فرع النحل بوزارة الزراعة وجماعة من الهواة تجمعهم رابطة النحل بتشجيع وزارة الزراعة

والغرض من الأغذية الحيوانية اعطاء الجسم ما يحتاج اليهِ من البروتينات ولكن الجسم يمكنهُ ان يحصل على ما يحتاج اليهِ منها من فول الصويا Glycine Soya وهو محصول قطاني ينمو في بلاد الصين واليابان وقد جرب قسم البساتين زراعة اصناف متعددة منهُ بالديار المصرية سنة ١٩١٨ فنجح منها صنف اسمهُ « ما لشوكو » وقد جربت زراعته صيفيًّا كالذرة الشامية وهو من جهة المحصول والصنف والصفات لا يقل في مصر عنهُ في البلاد الاخرى التي استورد منها وظهر بالتحليل أن نسبة الزيت فيهِ هي كما في البلاد الاخرى وكذلك البروتين وخلاله إلاَّ انها أقل قليلاً جدًّا عما هي عليهِ في موطنهِ الأصلي

ولم تصل هذا الفول الى الآن دعاية كافية في مصر لانا لم نجد لهُ استعمالاً يشجع الجمهور على استهلاكه كما في اليابان واوربا وأميركا . يستخرج منهُ الزيت والبروتينات وعجينتهُ مفيدة جدًّا لدرجة أنهُ تصنع منها أدوات صناعية كثيرة كازرار الملابس — هذا خلاف التغذية كالزيت واللبن المصنوع منهُ والدقيق المستعمل في مرض البول السكري وكذلك تغذية الماشية بعد خلطه بمواد مخففة وفي بعض البلاد يطهى بطريقة مخصوصة لأكله

وقد ادخلت البكتيريا التي لا بدَّ منها لنموهِ من اميركا وجربت في مصر فنجح بعضها ولم ينجح الآخر . والدليل على ذلك ان المحصول عادي النمو ويمكن لنجاح زراعة هذا الصنف في كافة انحاء القطر ان ينقل بعض التراب من الحقول التي نجحت زراعته فيها الى الحقول الجديدة

وقد سلم قسم البساتين ثلاثة اصناف من التي نجحت بمصر الى قسم الزراعة الفنية والاكثار للتوسع في زراعتها ويجري قسم البساتين الى الآن ادخال اصناف جديدة للتجربة والتحسين والأنفة

وهذا المحصول كثير الغلة غني في البروتينات التي لها قيمة الغذائية كالبروتينات الحيوانية في اللحم والبيض واللبن وهو من الوجهة الحيوية غذاء كامل بمعنى الكلمة ففي كيلو جرام واحد منه غذاء يعادل ما في ٥٨ بيضة أو ٥ و ٦ لتر من اللبن او ٥ر٣ كيلو جرام من لحم العجل الخالي من العظم . وبروتين كيلو جرام واحد منه يوازي بروتين ١٥٠ بيضة وهو يحتوي على ٤١ ٪ بروتين و٢٠ ٪ دهن و ٢٠ ٪ كربوايدرات وهو غني في مادة الليثيين التي في صفار البيض وهو علاوة على ذلك سهل الهضم مشبع فاذا عمت زراعة هذا الفول وانتشاره بين الطبقات العامة في القطر المصري فانهُ يسبب اقتصاداً عظيماً جدًّا في

مقادير الفول والحمص والدهن المستهلكة الآن في البلاد . ودقيق هذا الفول مفيد جداً للذين يزاولون اعمالاً بدنية مجهدة فهو لذلك أوفق غذاء للفلاح والعامل المصري — وهو علاوة على ذلك غذاء شديد الفلوية (+ ٥ و ٣٦)

﴿ المحافظة على المحصول من التلف في اثناء نموه وفي اثناء التخزين ﴾ وهذا من اهم العوامل التي تؤثر في تغذية الشعب فقد تعرّضت الامم في الازمان السابقة لمجاعات تشيب من هولها الولدان بسبب الآفات الزراعية والأمراض التي تنتاب الحاصلات فجعلتها اثراً بعد عين كمرض الصدإ في القمح وكمرض اللفحة الارلندية التي أصابت البطاطس بارلندا وسببت فيها مجاعة هائلة وكآفة الفيلوكسيرا التي كادت تقضي على اعناب فرنسا لولا نجدة العلم الحديث وما اتخذه العلماء الزراعيون للقضاء على شرها

ورغماً عن حداثة علوم الآفات النباتية ولاسيما طرق المقاومة فانهُ اصبح في ميسورنا مقاومة الأمراض النباتية الوبائية وغيرها بوسائل كيميائية كتطهير الارض والتقاوي من جراثيم الأمراض ورش النباتات وتعفيرها بمواد سامة لاتضر النبات ولكنها تحميه غالبة ما يسقط على اجزائه الهوائية من جراثيم الامراض وكاستنباط انواع منيعة ضد الأمراض وكرش الاشجار وتدخينها بالغازات السامة لقتل الآفات الحشرية كالبق الدقيقي والحشرات القشرية وغير ذلك

ويقوم بمكافحة الآفات الزراعية الآن فيما الحشرات والفطريات وكلاهما مجهز بعامل مزوَّدة بأحدث ما ابتكره عقول البشر، ومصر اصبحت كأرقى بلاد العالم في هذا المضمار ولها بحوث نفيسة ويعمل اخصائيو هذين القسمين على تبسيط وسائل المكافحة والعلاج ولكن رغماً عن ذلك نرى الفلاح في جمود لا يأخذ بالنصح والارشاد ولا يتحرك إلاَّ بعد نزول النكبة وحلول الفجيعة

وقد نجحت تجارب وزارة الزراعة في تخزين البطاطس للتقاوي في الثلاجات اعظم نجاح وبذلك اصبح في ميسور مصر الاستغناء عما يرد الينا من الخارج لزراعة الخريف كما أن ابحاث قسم الحشرات فيما يتعلق بمكافحة دودة القرمان وسوس المخازن وكافة حشرات التخزين أسفرت عن نتائج باهرة — وقد أخرج فرع المبيدات الحشرية بقسم الحشرات زيوتاً تستعمل الآن على نطاق واسع لمكافحة الحشرات القشرية — كل ذلك محافظة على سلامة المحصول لضمان تغذية الشعب المصري

﴿ التوسع في الصناعات الزراعية وتحسينها ﴾ وأقصد بالصناعات الزراعية صناعة المربات والشربات على اختلاف أنواعها والفواكه المجففة والمحفوظة في العلب وحفظ الخضر وعصير الفواكه والمخللات وما الى ذلك مما هو معروف . وهذه الصناعات موجودة في بلادنا من قديم الزمان تزاولها ربات البيوت في المنازل ولكنها اصبحت صناعة منظمة سيكون لها شأن عظيم في مستقبل البلد الاقتصادي

ويرجع الفضل في انشاء هذه الصناعات الى قسم البساتين فقد أنشأ مصنعاً للصلصة والشربات والمربى سنة ١٩٣٠ وكانت منتوجاته قليلة لأنه كان في دور التجربة

ثم انشأ معملاً لحفظ البلح وآخر لحفظ الفاكهة والخضر والمخللات بالطريقة المبلولة سنة ١٩٣٣

ولم يكن اذ ذاك بالقطر المصري معامل للصناعات الزراعية قط فاصبح فيه الآن ثلاثة مصانع كبيرة للصلصة احدها في الاسكندرية والآخران في القاهرة وهذه المعامل لا تكفي استهلاك القطر لذلك تعمل وزارة الزراعة جهدها في الدعاية الى تعميم انشاء مثل هذه المعامل وذلك بعرض الاصناف في السوق واعطاء الارشادات الفنية والصناعية واظهار الفائدة والربح التجاري من هذه الصناعة

وقد اتضح من تحليل الصلصة المصرية والاجنبية ، تفوق المصرية من عدة وجوه فالمصرية خالية من طعم طبيعية بينما الاجنبية وجدت مخلوطة بالجزر واللفت والبطاطس وملونة بالالوان التي تظهر بلون الصلصة الطبيعية

ويوجد الآن بالديار المصرية مصنعان للصلصة ولحفظ الخضر أحدهما بمصر والآخر بالاسكندرية هذا علاوة عما يصنع في المنازل وداكاكين الحلوانية وكلها تبشر بالنجاح

وقد جرب قسم البساتين تخليل الزيتون بنوعيه الاسود الاخضر والخيار والبصل الرفيع والجزر والبنجر واللفت والكرنب الذي صناعة الشوكروت) وعمل موذج الخردل (المسحوق) للفائدة والمسحوق مخلوطة بالمخللات (البكاليلي) وكذلك الـ Mango Chutney, Ketchup وكلها نجحت نجاحاً باهراً

وبالقاهرة الآن معملان كبيران لصناعة المخللات علاوة على معامل الطرشي البلدية وعدة مصانع صغيرة حديثة منتشرة في كافة القطر

وقد اتضح من ابحاث قسم البساتين أن المخللات تحتفظ بجميع موادها الغذائية فهي لذلك غذاء مفيد مهم

أما المحفوظات التي تحفظ بالتعقيم بالحرارة فانها تفقد فيتامين (C) او جزءا منهُ والصلصة أقلها فقداناً لهُ والشربات التي تصنع بالطريقة الباردة تحتفظ بجميع خواصها الغذائية وفيتاميناتها

وقد حاول قسم البساتين حفظ كثير من الخضر والفاكهة بالتجفيف فاستورد الباية الأزميرلي الرقيقة فنجحت زراعتها بمصر ونجح تجفيفها فأصبحت كالتي ترد الينا من أزمير واصبح القطر المصري يكتفي في استهلاكه مما يزرع فيه من هذا الصنف فوقف استيراده بتاتاً من الخارج

وجرب القسم تجفيف المشمش والتين المصري فلم يصلحا لارتفاع مقدار الماء فيهما مما يسبب ارتفاع أثمانها عن التي ترد من الخارج . وجرب تجفيف البصل والبطاطا وعمل منها مسحوقاً

وجفف مقادير كبيرة من البسلة الخضراء خصوصاً صنفي Little marvel و Litenola فنجحا نجاحاً باهراً

وأجريت التجارب على تجفيف البلح الحياني للاستفادة من محصوله الوافر فنجح كما نجح في صناعة التمر منه قبل ان يرطب وقد ظهر انها تفضل مرى البلح العجاي

وهذه المصنوعات لا تقطي اكثر من ١٠٪ من استهلاك القطر ورغماً عن ذلك فانه يصدر منها الى بعض البلاد الشرقية كالسودان والحجاز — وقد صدّر معظم محصول البلح المصري المصنوع بقسم البساتين ومحل سرسق الى المانيا

وقد انشأ قسم البساتين صناعة زراعية جديدة هي حفظ الفول المدمس والمدس اما بهيئة خلاصة أو حساء وكذلك اللوبيا والفاصوليا المطبوخين بالصلصة واللحم في العلب فنجح في ذلك نجاحاً باهراً وعرض منها نماذج على التجار فلاقت اقبالاً عظيماً كما انهُ صنع شوربة الطاطم وعصير الطاطم بالتوابل Tomato Cocktail في العلب وعمل تجارب على حفظ فصوص الليمون الهندي في محلول سكري في العلب فنجحت

﴿ ضمان توزيعه في كافة انحاء القطر بين كافة الطبقات من غير تقف وبأسعار معهودة لا تزيد الاَّ يسيراً عن سعر الجملة ﴾ وهذا من أهم العوامل في تغذية الشعب ولضمان التوزيع يجب ان تنظم اسواق الغلال والحبوب واسواق الخضر والفاكهة وتحسين وسائل نقلها وطرق تبئتها ليقل تلفها كما يجب ان تنظم السلخانات ونقط الذبح وتعمم في جميع انحاء القطر

اما عن أسواق الخضر والفاكهة بالقطر المصري فلا تزال وزارة الداخلية تصدر رخصها ولا يتبع وزارة التجارة منها سوى سوق الجملة للخضر والفاكهة بمدينة القاهرة وهما سوقان احداهما بشارع الملكة نازلي والاخرى بساحل روض الفرج . وفي الاسكندرية سوقان للجمعية التعاونية للخضر والفاكهة . وسوق ثالثة للخضر والفاكهة التي ترد من الخارج وجميعها من غير رخص . كما انهُ توجد سوقات كثيرة في المديريات منها ما هو مرخص به من وزارة الداخلية او غير مرخص به . والشكوى عامة منها لعدم وجود لوائح او نظم لها وذلك بسبب عدم وجود تشريع يبيح لوزارة التجارة الترخيص بهذه الاسواق وتحديد طرق التعامل فيها اذ ان التشريع الوحيد القائم هو الخاص بمدينة القاهرة فقط

***

وسياسة وزارة التجارة ترمي الى تعميم الاسواق في جميع المديريات ومناطق الانتاج الرئيسية ولكن الاعتمادات المالية تقف عثرة في سبيل ذلك فقد تقدمت الوزارة بجملة اعتمادات لانشاء سوق عامة في الاسكندرية وبور سعيد فلم يتحقق لها ذلك وهي تحاول نقل السوق الحالية بمصر

الى مكان يتفق واحتياجات التجارة التي أصبح ثلثاها خارج السوق وقد خطت وزارة التجارة خطوات موفقة تم الاتفاق مع وزارة الاوقاف على المنطقة المزمع بناء السوق فيها

ووسائل نقل الخضر والفاكهة في داخلية القطر تنحصر في ثلاث طرق اساسية :

١ — بالماشية كالحمير والجمال الخ . . . في المناطق المتاخمة للقاهرة والمدن الاخرى وفي الزراعات المحدودة المساحة

٢ — بالسيارات من المزارع المتسعة والتي بالجهات البعيدة او يخشى عليها في اثناء النقل من التلف السريع او بالمراكب في النيل للاصناف التي لا يخشى عليها من التلف السريع كالبصل والبطاطس والبطيخ وأنواع المنقات المختلفة وهذه مركزها جميعها في ساحل روض الفرج (الخضرة)

٣ — السكك الحديدية لجميع أصناف الفاكهة التي ترد الى الديار من الخارج ووسائل التعبئة من داخلية البلاد لسوق الخضر بالقاهرة غير متوفرة في جميع الاصناف وخصوصاً فيما يتعامل فيه بالعد كالموالح والمانجا والكمثرى وأسباب ذلك رخص العنف وزيادة التكاليف أن عيء عما يعيق استهلاكه

***

وطرق التعبئة المتبعة حالياً تسبب تلفاً كبيراً وخاصة للخضر والفاكهة الغضة اذ لا يمكن الاحتفاظ بها سوى مدة قصيرة فيتحتم تصريفها بأقصى سرعة خوفاً من الخسارة

وقد عني هذا العام باعتماد مبالغ لانشاء حلقات للاسماك في بحيرة المنزلة وهي مركز الانتاج الهام للاسماك ويرمي المشروع الى تعميم ذلك في جميع مناطق انتاج الاسماك بالمياه المصرية ويتبع ذلك طبعاً انشاء أسواق لتصريف الاسماك

أما بخصوص البيض والطيور والالبان ومشتقاتها فليس لوزارة التجارة سلطة عليها الآن والاتجاه يرمي الى اخضاعها مستقبلاً للمراقبة التجارية والتركيز في مناطق الاستهلاك الرئيسية

ولدى وزارة التجارة الآن مشروع لتخزين الخضر والفاكهة وتقاوي البطاطس إذ البلاد في أشد الحاجة الى ذلك

أما السلخانات ورخص الذبح فلا تخفى مكانتها في ضمان حصول الشعب على ما يلزمه من اللحم المضمون

وتنقسم السلخانات في القطر المصري ثلاثة أقسام

القسم الأول (ا) سلخانة مصر (ب) سلخانة الاسكندرية

القسم الثاني : سلخانات بنادر مديريات الدرجة الأولى ومحافظة بور سعيد

القسم الثالث : سلخانات بنادر مديريات الدرجة الثانية والثالثة والمراكز

القسم الرابع : سلخانات شركة الاسواق وقد صمت اخيراً الى وزارة الزراعة بعد الغاء هذه الشركة وهي سلخانات صغيرة لذبح المواشي في أيام الأسواق الاسبوعية

﴿ تبعية السلخانات ﴾ ا — سلخانات مصر وطره وحلوان والزيتون والاسماعيلية تابعة لوزارة الزراعة — كذلك السلخانات التي آلت اخيراً الى الحكومة بعد انتهاء عقد شركة الاسواق

ب — سلخانة الاسكندرية التابعة لبلدية الاسكندرية المختلطة

أما باقي السلخانات بالقطر المصري فتتبع المجالس البلدية والمحلية والقروية

ويقوم بالرقابة البيطرية في سلخانات وزارة الزراعة والبلديات قسم الطب البيطري التابع لوزارة الزراعة التي تستولي على ايرادات السلخانات التابعة لها وترصد في ميزانيتها الاموال اللازمة للصرف عليها — أما السلخانات التابعة للمجالس البلدية والمحلية والقروية فان هذه المجالس تستولي على ايراداتها وتنفق عليها

﴿ نقط الذبح في القطر المصري ﴾ وهي منتشرة في القرى بشكل منطقة معينة خالية في الغالب من أي نظام صحي فليس فيها وسائل لتصريف المياه — وبعضها سور بسور من الخشب وأرضه مبلطة بالاسمنت وبها طلمبة للمياه وبئر لتصريف المياه والدم ويقوم بالشاء هذه الفئات الآتية

١ — مجموعة الجزارين الموجودين في المنطقة

٢ — اصحاب السويقات الاسبوعية

٣ — بعض المزارعين الذين يهمهم الحصول على سماد الدم والفرث

هذه هي العوامل التي بها تضمن البلاد تغذية الشعب تغذية صحيحة كافية لتبعد عنهُ غوائل الضعف والمرض وتبث فيه روح القوة والعزم

﴿ عمل احصاءات دقيقة سنوية عن الانتاج ﴾ وهذا من اهم العوامل لضمان تغذية الشعب إذ يمكن البلاد من معرفة حالة حاصلاتها ومقاديرها وكفايتها لسد حاجاتها لتبني بذلك سياستها الزراعية في السنين التالية ، لذلك كان الواجب يحتم وضع سياسة عملية يمكن بواسطتها الحصول على بيانات احصائية صحيحة وافية من الملاك مباشرة عن انواع المزروعات ومساحاتها ومقدار غلتها وغير ذلك من البيانات اللازمة وذلك باعطائهم استمارات تصرف مع ورود الاموال ليملأوها بمعرفتهم او بمعرفة الصراف مع تفهيمهم ان نتائج هذا الاحصاء هي في مصلحتهم الشخصية لانها تساعد على تحديد الاسعار بما يتفق والانتاج الحقيقي

الحب

ما ترى النار استطارت في الضلوع؟ وصميم القلب مفوح النجيع؟!
إيه فاضمم راحة الكف إلى جبهة الصدر ففي صدري نزوع
بطفر القلب اليها لائماً لا يبالي بجراح او ضلوع!

***

إيه لا تبخل . فهذا خافقي دائم التسبيح في فيض الدموع
يرسل الشدو.. ولكن شدوه .. أنة المذبوح أو خفق الصريع
أتسبحت الآن في تسبيحه ماحوى التسبيح من شجو متروع؟!
أنه يهتف ملتاعاً الى ربه المعبود ذي الحسن الرفيع
هات فاضمم راحة الكف الى جبهة الصدر ففي صدري نزوع
يطفر القلب اليها لائماً لا يبالي بجراح أو ضلوع...

***

.... وتمهل.. ثم دعني أحتضنها وأضم الروح .... دعني استطع!
ايه ماذا قد سرى من كفه؟ أي سحر ضمن الكف البديع؟!
ها هو القلب عليه نائماً نومة الطفل... بأحلام الرضيع!....

القاهرة

محمد فهمي

مكانة بنك مصر

ناحية من النشاط الثقافي
في هذه المؤسسة القومية

ان الذين يحسبون ان نشاط بنك مصر وهذا العديد من الشركات التي أنشأه مقتصرٌ على الميادين المالية والاقتصادية يخطئون اكبر الخطإ . فلقد كانت هذه المؤسسات منذ ان خرجت الى الوجود حتى اليوم معاهد للتربية الاجتماعية والثقافية تسير فيها الجهود العلمية جنباً الى جنب مع الجهود الاقتصادية

هذه المؤسسات مدارس ومعاهد يتعلم فيها فريق كبير من الشبان فنوناً ما فتئت حاجتنا اليها قائمة ملحة . فيها يدرَّبون على هذه الفنون تدريباً عمليًّا على هدى التوجيهات السلمية التي يلقيها المسؤولون في البنك وشركاته عن تسهيلها على العاملين في هذه المنشآت ، وتوفير أسبابها لهم . فاذا كان هذا المصرف القومي — هو وما ترتب عليه من جهود غالية هي هذه الشركات لغاية الأغراض — قد سدّ نقصاً كبيراً في الاقتصاد المصري ، فانهُ قد سدَّ كذلك نقصاً لا شك فيه في كثير من الفنون العملية ، فضلاً عن مساهمته في تشجيع كل ما من شأنه أن ينهض بالعلم وأدواته

هذه حقيقة يكاد يعرفها كل من في مصر ، وتشهد عليها الأمثلة الكثيرة من نشاط البنك وشركاته . تشهد عليها هذه البعوث التي يرسلها الى شتى البلاد الأوربية لتدريب العاملين فيه على ما يهمه ان يتوفر لشركاته من الخبرة الفنية والتزود من العلوم التي تتصل بما أعدوا انفسهم له من فنون. تشهد عليها بعثات شركة مصر للغزل والنسج التي قوامها عشرات من الشبان لدراسة ما يعني شركتهم من الفن والعلم . وتشهد عليها بعثات السينما والطباعة وغيرها التي أوفدها بغية الاستفادة بما يحصله اعضاؤها من البلاد التي تقدمتنا في هذه الفنون ، لانقلها واجادتها في مصر ، ورقية مستواها ، والوصول بها الى ما يقدر عليه من كمال . تشهد على هذه الحقيقة كذلك تلك الاقسام العلمية الكثيرة التي انشأها فيه او في شركاته ، ورصد لها المختصين فيها يضيها من فنون وعلوم وهيأ لها كل ما يستطيع للانتاج الذي يفيد البلاد عامة قبل ان يفيد هذه المؤسسات خاصة. فقام بذلك بواحدة من المهام الكبيرة التي اخذ على عاتقه الاضطلاع بها مختاراً منذ ان اعلن رجاله

في سنة ١٩٢٠ وبعد جهد طويل أتم عقدوا عزمهم — معتمدين الله — على ان يكون لمصر وللمصريين مصرف يفتح فتحاً قومياً في عالم الاقتصاد الاجنبي عما حتى وقتذاك

وان الذين يتتبعون نهضة الاقتصاد المصري ليعلمون ان بنك مصر الذي انشيء في فورة الافكار التي اعقبت سنة ١٩١٩ ، كان منذ انشائه معهداً قومياً للتربية الاجتماعية طالما سجل من التقاليد الصالحة في هذا الميدان ما هو حقيق بالفخر به . وجميع الذين يعرفون كيف انشئت شركات بنك مصر يعلمون الى جانب ما ذكرنا — ان كل مؤسسة تحمل اسمه لم تكن صدى لحاجة عارضة ، ولا رجعاً لفكرة طارئة ، او خاطر عابر ، ولكنها جميعاً — واحدة واحدة — كانت نتيجة لدرس علمي وفني طويل لم تدخر وسيلة مما يصطنع العلم والفن الا بذلت في سبيل التدقيق فيه ، وتمحيصه حتى تخرج هذه المؤسسات الى الوجود اقوى ما تكون ارتكازاً الى تطور العلم والفن في العصر الحديث . كذلك كانت مؤسسات بنك مصر ، كل منها — في الميدان الذي اختصت به — ثمرة لتمرين الجهود وغالى ما تعرف «الفنية العلمية» من دقة واستقصاء

وفي لبان حياة هذه الدعامة ، الوطيدة على الزمن باذن الله ، والتي الرجالُ الذين عملوا في بنائها رعاية العلم والاسترشاد به ، واستصباح الخبيرين فيه ، حتى يضمنوا لما يقيمون عليه من مشروعات حياةً موفورة البقاء والنماء . وهل أبلغ في الدلالة على هذا الاتجاه الحميد من تلك المكافآت التي رصدوها للمتفوقين في الدراسات الاقتصادية في قسمي الليسانس والدكتوراه بكلية الحقوق ، انهاضاً لهمم وحثاً للمجتهدين ، وتسهيلاً على الباحثين في الشؤون العلمية الخالصة التي لا غنى للفنون العملية عنها . وهل دليل أوضح كذلك من الجمعيات العلمية التي يؤلفها موظفو شركات بنك مصر ، وهذه هي الجمعية العلمية في شركة مصر للغزل والنسج ومحلتها التي تعتبر أولى المجلات المصرية التي تبحث في المسائل الفنية البحت . وهذه مطبعة مصر لا تتأخر عن بذل كل ما من شأنه أن يوسع من انتشار الثقافة ، ويرفع من شأن كافة العلوم

كل هذه المجهودات وغيرها يبذلها بنك مصر لنهضة العلم في مصر بذلاً سخياً . فهو يدرّب ويربي ويعلم ويثقف كلما عرضت لهُ الفرصة ، بل كلما استطاع ان يخلق الفرصة لنشر ما يراهُ صالحاً لخير المصريين من المبادىء والتعاليم . ولم يقف بهذه الجهود عند المساهمة في التثقيف العام ، ولكنهُ عمد الى أسرة البنك وشركاته ، فهيأ لأعضائها كل ما يملك من وسائل الاستزادة من العلوم بكافة أنواعها . وفي هذا السبيل أنشأ في داره الفخمة مكتبته الثمينة لتكون في متناول موظفيه وموظفي شركاته يجدون فيها ما يستكملون به أسباب تعليمهم ، وما يسهل عليهم أعمالهم بما يمدهم به من آخر ما وصلت اليه العلوم في شتى مرافق الحياة

ولقد يكون من الجناية على الحق والتاريخ ، ان لا نسجل في هذه السطور ، فضل صاحب

الفضل في انشاء هذه المكتبة النفيسة . فهي لم تولد مصادفة ، ولكنها أُسست بعد تفكير طويل وجمع دائب لتأمين المؤلفات والمصنفات

واذا كان سعادة طلعت حرب باشا هو الذي عمل — مع الأبرار الذين استمعوا الى ندائه — على إقامة بنك مصر للمصريين، ثم على رسم الخطط الأساسية لسياسة المصرف القومي والمجموعة الاقتصادية الكبيرة الشأن والعدد التي استندت اليه ، وحرص في هذا السبيل على أن يشمل نشاطه ميادين المال والاقتصاد والاعمال وميادين العلم والفن في وقت واحد ؛ فانهُ هو كذلك الذي هيأ لبنك مصر ان تكون لهُ مكتبة قليلة النظائر — فيما نعلم — بين مكتبات المنشآت العامة في هذه البلاد

واذا كان يخطىء من لا يلتفت الى الصفة العلمية التي لبنك مصر وشركاته الى جانب الصفة العملية ، فان من لا يلتفت الى جميع وجوه هذه الشخصية الكبيرة التي زعمت الاقتصاد القومي بحق واقتدار يخطىء كذلك أكبر الخطأ

جمع طلعت حرب باشا هذه المكتبة لنفسه أولاً . ولما كان يقدم دائماً أمره الضخم — بنك مصر — على كل ما عداه ، فقد وهبها إيَّاها بعد جهود سنوات طويلة من جمع واستقصاء

وخصص لهذه النواة المباركة طابقين في دار البنك . أخذت تنمو فيهما — برعايته وتعهده — حتى أصبحت من أغنى المكتبات المصرية في شتى العلوم والفنون

وتحوي مكتبة بنك مصر الآن ما يقرب من الخمسة عشر ألفاً من المجلدات العربية والأجنبية ، في جميع فروع المعرفة ، في الأدب والتاريخ والاقتصاد والمحاسبة واللغات والطب والهندسة والفنون الصناعية والزراعية والتجارية ، وفي الفلسفة والدين والاجتماع ، وفي كل ما يتصل بكافة المعارف الانسانية في مختلف البلاد وشتى الأزمان . هذا فضلاً عن مجموعاتها الثمينة ومخطوطاتها النفيسة ، الى جانب هذا العدد الوافر من المجلات والمراجع والمستندات التي تصدر بمعظم اللغات الحية مما يردانها بانتظام . وقد بوّبت هذه المجموعة الضخمة من الكتب والمؤلفات والمصنفات والمراجع بطريقة علمية حديثة ، ورتّبت أنواعها وأجناسها وفصائلها ، وفهرست لها الفهارس ، ووضعت لها الجداول في نظام محكم سديد . كما أخذ في تبويب الصحف والدوريات وشتى المراجع المنتظمة الصدور بطريقة « التصنيف العشري » العالمية — وهي الطريقة التي وضعها المعهد الدولي للفنون المكتبية في بروكسل وأُخِذَ بها في جميع أنحاء العالم المتمدن — وهي المرة الأولى التي عُمِلَ فيها بهذا النظام في مصر

هذه هي مكتبة بنك مصر — بعض آثار طلعت حرب باشا — عَلَمٌ على العِلْم ، ومورد للثقافة ، ومنهل لا يغيض لمن أراد استزادة من المعرفة

محكمة تأديب

تنعقد في سوق

قصة اخلاقية للكاتب الاجتماعي ج . ن . بوني

ليس من حرفة في عاصمة البلاد الفرنسية ، قد تمت الى منابت الشرف الحق بأمتن الأواصر وأوثق الروابط ، كحرفة أولئك النسوة سيدات السوق اللواتي يخفين تحت كلامهن المرسل على السجية ، وجفاء أسلوبهن ، نزعات الأنفس النبيلة ، ولزوم طبائع الاخلاص والكرم

ودارس الاخلاق المنعم المتقصي ، يجد في السوق صورة قد جمعت فأوعت من خسيس المشاهد ومؤثرها معاً . تحمل على الضحك تارة ، والاهتمام والعجب تارة أخرى

وما أنسى لا أنسى ذلك المشهد الرائع البالغ الذي تملأت به عيناي ، يوم خالفت دول أوربا على أجدادنا المظفرة ، فردتها لأول مرة ناكصة على أعقابها ، إذ صارت فئة قليلة تقاتل فئة كثيرة لا قبل لها بحربها . وكان (ميدان الارباء) الفسيح يفيض بجساد الجنود بين شيخ وحدث : جرحى قد خرجوا بدمائهم ، يتزلونهم من فوق النقالات على عجل ، وكانت وجوههم تترهمها صفرة ، قد بداعليها الاعياء والتضعضع ، وكنت تقرأ في أحداق عيونهم الكيد والكمد مما أصابهم من خذلان وانحدار ، وكان تساقط قوى البعض ، وخمود جذوتهم ، وما يتصاعد من أنين البعض الأليم الموجع ، والدماء الغزيرة التي لا ينقطع تدفقها من جروحهم ، كل ذلك كان يحرك رقة قلوب سيدات السوق ، فكن يحملن فوق كواهلهن أولئك الجنود المثورة أعضاؤهم لا يراعين في ذلك رتبة ولا سنا ، ويطرحونهم فوق فرش موطأة على عجل ، ثم يمضين مرتقلات الى الأحواض يغترفن الماء في راحاتهن ليمسحن به في رقة جروحهم المترقرقة بدمائها . ويضمدن بين أذرعهن ، ويدفئن بأنفاسهن الذين منهم أخذ برد الموت يغتر أجسامهم . وكن يجأرن بالدعاء الى رب السماء ان يحفظهم ، ويؤتين شفقة الناس لاسعافهم ، ويجعلن من هذه السوق المعروفة الزاخرة بأشهى ما تخرجه بساتين فرنسا ، ضرباً من مستشفى عسكري

إن الرحمة والانسانية عند أولئك النسوة الفضليات واجب ولذة . وبر الآباء خاصة عبادة وتقوى . وانما نشأت هذه الفضيلة فيهن من مقالة الصعاب والأحوال ، ومعاناة الشدائد والمشاق ليدخرن ما يكون منه لهن في شيخوختهن ، بعض الكفاف والغناء . وأن الولد الذي يرى امه

تزاين هوه ، منذ الصباح ، وحسرت تلتف تلبها ، تمضي تتيم في دكان من أدراج الخشب تعاني فيها تنفيذ الفصول . ويجوها تعود اليه تنفيض عليه من حنانها وحبها ، وتقدم على تجل طعاماً جشباً غليظاً ، ثم تنقل ناظره في حجرتها التي استودعته الى حين ، احدى جوانبها ، ان هذا الولد الذي يقع في نصيبه من حنان امه وحدبها الدائب ، والذي إنما يحصى ما تشاء في سبيل ذلك من كد دوصب وبذل لتربيته ولبسها وإعالة قومها . تفيض جوانحه بالمحبة والاكبار للامين على كر الليالي . فيغرسان في قلبه وبنيان صدق الرغبة في الوفاء لها يوماً . لهذا انت ترى لدى قطان الاسواق ، الجم الوفير من شبوخ الرجال والنساء قد احاطهم ابناؤهم بأشد بر وأبلغ رعاية . يلاقون منهم ذلك الحدب وذلك الحنان الذي افاضوه عليهم يوم كانوا احداثاً ناشئين . وتجد لهم عليهم سلطاناً ونفوذاً باقين ما بقوا هم في قيد الحياة

وذي قصة تنبيء بحورها ذلك البر البنوي الذي استكن في ضلوع بائعات السوق واستمسكن بوثيق عراه ، جمعت بين الموعظة والمثل الاعلى ، ملتزماً الدقة والامانة في سرد وقائعها كما جرت ، فانها بذلك حقيقة ، عسى ان يكون في سردها حجة بالغة للذين علوا في الناس من ذوي الأنفة والخلد ، اذ نرى كثيراً من السوقة قد استوطم سنة ونظاماً خُلُقيًّا ، لا نجد مثله عند الخاصة ، ولا يمكن ان يجتمع على مثله اهل الوجاهة واليسار ، وان محكمة الرأي العام هي احياناً أشد صرامة وأشد رهبة لدى أساقل الناس مما هي لدى اكابرهم

***

كانت لويزه حنة من أروج بائعات السمك في هذه السوق وارفهن حالاً ، واجملهن وجهاً ، واجذبهن ملاحة ، مع تلك الطلاقة والشقشقة وتلك السيرة التي لا عوج فيها ولا امت مما تمتاز به اكثر نساء حرفتها . وكانت ابتسامتها للراحة الماكرة تنم على ارادة قوية واستقلال يكاد لا يحفل بأدنى ما تقتضيه اللياقة . فقلما كانت تكترث بمن تحدثه نفسه بالوقيعة فيها ولوك سيرتها . فقد كانت ذات خُلُق وحمود نقبة ، وكانت بشهادة ضميرها راضية قانعة . بيد انها لفت بصرها واسترعى اهتمامها من ضمن اولئك الفتيان الكثيرين الذين يختلفون الى محلها ، ساعي بريد يدعى بيرّان ، وهو غلام مديد القامة شديد فتك سراح ، محوط برعاية ورؤسائه ، مستوثق بالترقية وزيادة المرتب ، ولما كانت رغبته في الزواج بها ، دعته الى منزلها وعرّفته الى ابيها . وكان أبوها واسمه الأب موران ، يشتغل مراكبيًّا في ميناء نهر السين ، واضافت امرأته كف عن العمل واقام لدى ابنته مع امه العجوز المقعدة التي كان جم الحب لها . يجد قرة عينه في توقيرها وحياطتها بأسباب الرعاية

ورحب ابو الفتاة بخطب ابنته وهش له مستبشراً مضحّياً ، وتعدد يوم العقد ، وسكن المراكبي الشيخ مرض مرضاً شديداً مات منه . وكان في آخر ايام حياته لا اهتمام له الاّ بأمه والعناية بها . فلما حضرتهُ الوفاة اوصى ابنته بالقيام مقامه لدى امه ، والتخفيف جهدها ، مما تعاني من آلام الزمانة(١) واكدارها

وكانت هذه الجدة الكريمة قد اصابها الفالج . وكانت تقضي ايامها جاثمة على مقعدها تحوك اذ كانت لا تزال تجد بقية من قوة ، ولكن كان لا بد كل يوم من انهاضها وإقامتها كطفل في المهد ، وكان لا بد من دفعها بمقعدها الى النافذة لاستنشاق الهواء والانتعاش بأشعة الشمس . ثم كان لا بد من تجهيز طعامها ، والاحتمال احياناً لبوادر الغضب وقلة الصبر ، مما يكون عادة عند الذين بهم مرض او آلام ، والطاعة ولو لأهون ما تأمر به ، اذ كان موران ابنها قد عوّدها الحكم والتسلط . ولتشوق بذلك هوى واستمساك . وموتُ هذا الولد الفطن اللبيب الملقاد لها ، زاد هذه العجوز المقعدة حنقاً وحدة

وقد اجتلتها لويزه حيناً من الزمن لا مستثقلة ولا متذمرة ، إذ كانت لا تفتأ تذكر وصية أبيها الراحل . وكانت مما طبعت عليه من بشاشة وسرعة ردودها المُفْحمة ، تحمل جدتها على الابتسام وتحملها على الضحك ، بل كانت كثيراً ما تحمد جرة اوجاعها . بيد ان لويزه ، لما كانت مضطرة للذهاب الى دكانها في السوق ، والتفرغ لشؤون تجارتها ، فانها أنابت عنها في خدمة جدتها ، صبية يتيمة في جوارها كانت تضمها تصدقاً وزكاة ، فكانت الصبية تقوم بخدمة العجوز خير قيام

وانقضت على ذلك عدة اشهر والعجوز الكريمة لا تشعر بأدنى فتور في العناية بها والتوفير لها . ولكنها لم تلبث ان تبين لها ان لويزه امسكت عنها ما كانت تغدق عليها من تلطف وتبسط وما كانت تلقاه من برها البنوي واحتفالها بتلبية رغباتها وتخفيف اوجاعها . ولا شيء يسرع بالمرء الى التأثر والشعور بالاهانة من كونه عالةً على ناسه وقومه ، ولا شيء يضيق منهُ ذرع الانسان ويفسد عليه نفسه وخلقه كتحكم الاقدار فيه أن يُعنى به ، حتى كأنهم على العناية به مُمْتَنون كارهون . وكانت لويزه ، وان كانت لا تقذف جدتها بأية كلمة جارحة ، انما تقوم بخدمتها كأنما يؤودها حمل ثقيل ، وتضطلع بواجب عسير كتب عليها اداؤه ، وكثيراً ما تؤديه وهي متبرمة بادائه متضجرة . وما لبث التذمر ان اعقب السكوت والكظم وما عتمت العجوز موران ان زكنت سر هذا التذمر ، وانهُ أثر الفتور الذي يقابل به ساعي البريد خطيبته التي صارحها بانهُ لن يكون

(١) عجز او علة تزمن

لها بملاً ، ما دامت جدتها سها ، وان من كانت في مثل زمانتها وعجزها لتتطلب عناية بنيفة واهتماماً بها شديداً وان خلقها الذي ساء واستعسر لا قبل له باحتماله

ونبئت لويزه حيناً تجالد في موقفها هذا بين جدتها وخطيبها ، ولكنها لم يعدما الا الاذعان والتسليم . وقد ابدت جدتها نفسها رغبتها في الخلاص مما تقاسي من ألم الثقيل على حفيدتها والاعنات لها في خدمتها . فطابت نفساً بالنصائب الى أحد الملاجىء فتكفل لها حفيدتها اسباب العناية وتحوطها بضروب الحنان والتخفيف جهدها . وما قيمة الوعود في مثل هذه الحالة . انما تأتي على قدر الرغبة في الخلاص مما يثقل علينا حمله ويشق علينا ادلاؤه

وما لبثت العجوز المفلوجة ان حملت الى بعض ملاجىء باريس منقطعة عن الاهل والاصدقاء بين امرها اولئك المبرضون والملاحظون الذين توزعت عنايتهم وتشعبت خدمتهم بين العدد الكبير من هؤلاء العجزة ، فما يصيب كل واحد منهم الا جانباً ضئيلاً من تلك العناية . مسكينة ايتها العزاة ! كم تشعرين الآن بشدة الامك وثقل وطأة ما يرهقك من عجز وسوء حال ! وما اشد ما احاط بك من حرمان ووحدة كوحدة القبور قاتمة !

على ان لويزه لم تكف تألو جهداً في زيارة جدتها في مشرق كل نهار ، حاملة لها من لطيفات وشتائم ما عساه يخلي مرارة عيشها ويهوّن بعض شدتها . وكانت تمضها بنفسها ، وتساعد على جيوسها . وتوصي بها المبرضين رحمة وبراً . بل لقد رآها الناس غير مرة تهمر الدموع من مآقيها اذ تفارق جدتها وتغادرها طريحة الوحدة ، فريسة الابث والمضض ، وتصعد زفرات اللهفة والحسرات ، ثم اذ تودعها بنظرة أخيرة متحيّرة مشفقة ، تعود الى السوق تأخذ منها موضعها حيث لا تلبث مشاغلها وحضور ساعي البريد ان يمحو من بالها ما كان من امر جدتها

وما انقضت بضعة اسابيع منذ طرحت لويزه جدتها في المستشفى ، حتى نزلت بها نازلة ، وألم بها خطب شديد فعلمت ان الخارجين على حقوق الطبيعة المقدسة لا بدّ يناهم القصاص العدل ذلك ان انقيادها لخطيبها والمسارعة في اطاعة أمره واخراج جدتها من بيتها ونبذها في ذلك الملجأ ، ذاع بين جميع بائعات السوق ، ولهؤلاء السيدات ما يشبه محاكم العشائر . تشريع محكم يقضي في كل ما يتعلق بكرامة الطائفة وشرفها وامتيازاتها . واحكامه نافذة لا تقض ولا تخالف

فذات صباح اذ كانت لويزه في حانوتها تعرض على الشارين احسن ما لديها من الاسماك وهم بسحر حديثها مأخوذون ، إذا بها قد احاط بها وهط من اقدم بائعات السوق ، واخذت احداهن تسألها هل حقّ ما بلغهنّ من امر طرح جدتها في ملجأ

فقالت ، وقد اسطبغ وجهها بحمرة الخجل ، وهي تجاهد في كتمان اضطرابها : ياعجباً لكنّ ! ومالكنّ وهذا الأمر ؟

فقالت كيرستين : مالنا وهذا الامر ؟ إن لنا أن لا نذر بيننا ابنة جاهرت بالعقوق . تأبى على والديها ما تلتته منهما وهي طفلة ناشئة . قولي لنا يا لويزه ما فعلت بجدتك ؟

قالت : لكن ما شكن احد يحسب عليّ

— إنا جئنا موفدات من قبل جميع زميلاتنا بأتمات الزهور والفاكهة والسمك ومن ضمتهن السوق في رحابها وجنباتها ، تذرك بالاقلاع عن موضك هذا او يُمَطْمَط[1] بك من في السوق ويلطخون وجهك بالوحل إن عادت بك قدم الى هنا

— فقالت المحكوم عليها متلجلجة تحاول كتمان اضطرابها : إن هذا لأمر مريب ! ما حكومتكن هذه الجارة ! أيسوغ لكن حرماني من عملي ؟

— تعاطيه في مكان آخر . فما أكثر الاسواق في باريس

— ألكن ان تتداخلن في امري وتخضن في سيرتي وشأني ؟

— نعم . ان مسّنا من سيرتك ضير

— وأن تفضين بعاري وفضيحتي

— نعم لندفع عن انفسنا العار والفضيحة . وبعد ، لما كنت قد ضحيت بجدتك ارضاء لشهوة خطيك وانقياداً لارادته ، ونكثت بالعهد الذي واثقتك به ابوك الراحل ، فركبت سوأة البذ لأمه المفلوجة في بعض الملاجىء ، فقد حرمك اهل السوق من رعايتهم وطردوك من حظيرتهم . ولا يمكنك البقاء بين الصالحين الذين حسنت سيرتهم عن ضمتهم هذه السوق بين اكنافها

— ومن انبأكن انهُ في مقدوري ان ابقي جدتي عندي ، وآتي لها بمعرفة تقوم على خدمتها ابداً

— عذر اقبح من ذنب . انك لأحق سلمة وأروح بياعة من كل بائعة سمك في هذه السوق . وانك لتربحين في يوم ما يقوم بنفقة بيتك واهلك اسبوعاً

ثم قالت كيرستين وهي تومىء الى ما تزينت به لويزه وتبهجت من حلى :

يا ويحك ! أفتجسرين ان تطوقي عنقك بقلادة تُقَوَّم بخمسمائة فرنك ، وتتقرطين بقرطين ثمينين ، وعلى رأسك عصابة من نسج نفيس ، ثم تطرحين جدتك في ملجأ ! ... يا زنيمة ياعاقة ! ... أعزبي من وجهنا ، حبلك على غاربك . أقيمي حيث شئت الا هذا المكان ، قد لزمك عارك والندمُ على جريرتك

وتعالت اصوات النساء اللواتي اجتمعن من اركان السوق لمشاهدة ذلك الحادث الغريب ، في لحظة واحدة تقريباً يقلن :

---

(١) من الطمطمة وهي حكاية صوت الجمان اذا كانوا عيطا عيط وذلك اذا طلبوا قوما

— نعم . نعم . فلتعزب على عجل . لقد أخلت بأقدس الواجبات ، وخنت ما عهد وخان الشرف . ثالثة بما ما احد يرضى ان تقيم بيننا . بيض والله ايدينا مقامها وحلولها ، تدنس نفوسنا وتمرض . وان فيها لمثل سوء لاولادنا يحملهم يوماً على العقوق والزراية بنا .... فلترحل الساعة ولتذهب الى حيث ألقت

وحاولت السماكة المسكينة دفع هذا الحكم الذي نطق به رفيقاتها ، ومغالبة تلك (١) المجتمعين وصخبهم من حولها عبثاً . فما وسعها الا الانصراف ودمع عينيها سيل منهمر ، وحمرة الخجل تغشى وجهها . تمشي متخاذلة ، نادمة ساخطة ، ولكن لات حين مندم . لقد تعجلت في الانقياد لخطيبها . ولكن عسى ان يكون لها من حبه وزواجه بها ، عما لحقها من اهانة بالغة وخسارة متجرها الرائج الرابح ، عوض وخلف جميل ! ولكن هيهات . انها ما لقيت بعد الا بعض ما حق بها من قضاص

ذلك ان ماضي الفريد ، إذ علم ما حاق بها من إهانة وتحقير على ملأ الناس . ولا سيما ذلك الحكم الذي قضى به عليها اهل السوق كافة ، اخذ حبه لخطيبته يختل ويذري يوماً فيوماً ذلك ان المحبة بغير احترام لا تدوم . فجعل يبدي له ذي بدء تباطأ في رؤيتها ، وشرع يختلق ضروب المعاذير لتأخير زواجه بها . وكان منتهى امره ان صارحها باستحالة زواجه بفتاة امست سيرتها مضغة في افواه الناس ، فانه بذلك يتعرض لضياع وظيفته ، ولا سيما ما استوثق منه من امر زيادة مرتبه ورفع درجته . فصرم حبلها وتأبى مها رغم اعترافه بانه كان شريكاً لها في ما اصابت

فما وسعها الا ان تمضي تقيم في احدى اسواق باريس النائية عن السوق الكبرى ، فما سادت ذلك الرواج والنجاح . وما لبث موت جدتها المسكينة التي اعجزها ان تغالب اشتداد كربها ودائها اذ نبذت في احد الملاجىء ، ان ضاعف ندمها وأجج غمها ، فاذا هي كئيبة قد ذهب عنها مألوف بشاشتها ، واضطرت ان تبيع بعض السمك المملح او سمك الماء الحلو في احدى ضواحي العاصمة حاملة سلعتها من حي الى حي واخذت تهوي في حالة شبيهة بالبؤس والخلة . وما لبثت ان مُنيت بعلة مستعصية بسبب ما استكن في نفسها من غم وكمد شديد ، وهي التي كانت لا تسعها الدنيا مرحاً ورتوعاً (١) فما وجدت الا ان تأوي الى احد المستشفيات حيث ذاقت مرير الاهل والصحاب . وادركت اخيراً ان الله يسم وجوه العاقين من الابناء بوصمة المطرودين المنبوذين ، ويبتليهم عاجلا او آجلاً بالوحدة القاسية التي أوقعوا فيها آباءهم

[تلتها : أحد أبر الحضر منهي]

(١) السخرية (١) نعمة العيش وخضارته

الجزء الخامس

خليل مطران

شاعر القرن العشرين

للدكتور اسماعيل احمد ادهم
عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

العصر والرجل

﴿ توطئة ﴾ قلنا ان العصر الذي نشأ فيه خليل مطران كان عصر تحوّل في تاريخ المشرق. ومن هنا كان هذا العصر يسمح للعبقريات ان تظهر وللعقول ان تبدو على حقيقتها وقد أخذ العصر الذي تراكم على أذهان أهل المشرق يتجلى تحت تأثير مدنية الغرب الجارفة. ولا شك ان طبيعة الخليل الفنية من حيث كانت تتخذ من العالم الخارجي ما تتيض به من صور الحياة على الفكرات والخلجات التي تساوره، كانت تتقوّم بطبيعة عصره المتقلقلة، التي كانت حافلة بصور الحياة وألوان الإحساس. وهكذا كان عصر الخليل صالحاً أيما صلاح لظهور خليل مطران برسالته الشعرية الإبداعية. ومما لا ريبة فيه ان الناحية الشاعرية عند الخليل تطغى على بقية نواحيه. وشاعريته وان وجدت من العصر ما يساعدها على التضوج، فان الرجل لم يكن ليجد من العصر ما ينضج شخصيته ويجعله أهلاً لدخول معترك الحياة. ولا ريبة ان لطبيعته الفنية أثراً في هذا النكوص الذي كان من أسباب خمول ذكر الخليل في عصره

على أننا حين نتكلم عن هذا الخمول، فإنما نتكلم عن حقيقة لا يتنازع في شأنها. فالرجل خامل الذكر، لان ذكره على الوجه الذي هو عليه من عصر، أضعف من ان يتسق مع خصائص شاعريته، التي لو وجدت في واحد من الذين ينتهزون الفرص ويحسنون خوض معارك الحياة، لبلغ من ذيوع ذكره وشيوع شعره مبلغاً لا يدانيه أحد من معاصري الخليل. على ان هنالك بعد ذلك حالات فردية، لا تناقض ما تلبسها من الأثواب، الحالة العامة.

---

(١) أبو شادي — نظرة من يراع في الادب والاجتماع. ج ٢ ص ٣٣

نفس شعر من الأشياء بقدرة شاعرية الخليل التي لا تجارى من ناحية الخيال والتصوير الشعري، خاطر الرجل فكان من عصره. ولكن مثل هذه الحالات لا تقوم دليلاً على ذيوع ذكر الرجل في عصره بذيوع تطبيعي الذي يكافىء خصائصه

لكن ان هناك أسباباً أخر وقفت في وجه الرجل وذيوع ذكره اجتمع فيها العامل العنصري مع العامل البيئي

اذن فالعصر الذي عاش فيه الخليل وان كان مبرز شاعريته وبجلى فنه، الا انهُ كان يقف في سبيل ذيوع اسمه، والاعتراف بفضله على فن الشعر، لاسباب يتصل بعضها بشخص الخليل، والبعض الآخر بما يماشيها من اتجاهات العصر

يبقى لنا ان نبحث ونحن بصدد العصر والرجل، ماذا كان الخليل لو لم يكن شاعراً؟ ان في هذا البحث وان كان مجدياً في اظهار نواحي الرجل الا انهُ يقوم على اساس من الفكر مجرد لا يستند الى الوقائع المحسوس. فيكفي ان يكون الخليل وجد شاعراً لنقول بأنهُ لم يكن في مستطاعه ان يكون شيئاً غير شاعر. ذلك ان طبيعة الرجل قد تكونت بأسباب جعلته يتجه بملكاته الفنية نحو الشعر. آية ذلك أنك تجد طبيعة الرجل الفنية تختار مواد الشعر من الطبيعة الخارجية وتسيطر عليها بفكرة متسقة مطردة جزئياتها، حتى تستوعب الحياة وتطبعها بطابعها الخاص، ممثلة اياها في صورة العصر التي ادركت نفسها في شخصه

اذن من خلال الرأي، البحث في الرجل وفي شيء يكون لو لم يكن شاعراً، لان طبيعة الرجل الفنية لا تجعله غير شاعر

— ١ —

يقول الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب المصرية:

«مطران تأثر بالشعر القديم ناهض مع المجددين وهو قد سلك طريق القدماء ثم تعجبه فأعرض عن الشعر ثم اعتزل فضاء اليه وحاول ان يعود اليه مجدداً لا مقلداً. وهو ينبئك بأنه يعرض عليك في ديوانه شيئاً من شعره القديم تتبين به مقدار ما وصل اليه من التجديد وهو متواضع لا يزعم انه بلغ من التجديد ما يريد وانما يترك ذلك للذين سيأتون من بعده. وهو شجاع لا يعتذر ولا يتلطف وانما يعلن ثورته على القديم وانقباضه بالعصر الذي يعيش فيه وحرصه ان يلائم بين شعره وبين هذا العصر. وهو معتدل فهو لا يرفض القديم كله وانما يحتفظ بأصول اللغة وأساليبها في حرية كما يتأثر القدماء في اطلاق فطرتهم على سجيتها، بكظم فطرته ولا يشبهها بالاستار الخداعة الخلابة. وهو في له في جمال الشعر مذهب ان لم يكن

(١) [illegible] في ثقافات الشرق الادنى — مجلة مجمع الفكر — استانبول م ٣ ج ٤ ص ٣١٠ —

(٢) وجريدة برافدا بموسكو — ميعت التقليد وظاهرة الجود في مصر الحديثة — عدد ٤ — ١ — ١٩٣٩

واضحاً كل الوضوح ولا مبتكراً كل الابتكار فهو على كل حال مذهب قيم لانه يحلل شيئاً من عناصر الشعر الفني في هذا العصر فهو يكرم هذا الشعر الذي تستقل فيه الاقليات وتتلاقى وتتعاور ويريد ان تكون قصيدة وحدة ملتئمة الاجزاء» (١)

ولهذا يرى الدكتور طه حسين أن مطران ليس من الطبيعي ان يكون مخلداً لشريانه امارة الشعر . لأن مذهب مطران في فن الشعر يباين مذهب شوقي . وهذا كلام ظاهره حين يصدر عن طه حسين حين كتب عقب وفاة أحمد شوقي أن امارة الشعر انتقلت بعد وفاته من مصر الى العراق . ولكنه لا يبين كيف انتقلت امارة الشعر من العراق بعد ذلك على يديه فوضعت على مفرق شاعر مصري يباين مذهبه في نظم الشعر كل المباينة مذهب شوقي . وهذا دليل آخر يتسق مع كلامنا من ان الخليل لم يحظ من أسباب عصره بما يديم ذكره

هذا وكلام الدكتور طه حسين وان كان صادقاً في عمومه لكنه ليس بكل ما ينبغي أن يقال في مطران ، إذ ينقصه الاشارة الى الطبيعة الفنية ، وهي كل شيء في الشاعر

هذا والاستاذ احمد الشايب مدرس الادب العربي بجامعة الاسكندرية يقول :

«ليس مطران عندي شاعراً من هذا النوع الذي يشيع بين شعراء العربية قديماً وحديثاً ، وانما هو طراز جديد في الشعر العربي . هو شاعر العقل والشعور جميعاً . ولقلما نجد هذا النوع بين سابقيه ومن حاول بعد المعاصرين ان يكونه . مطران فيما نرى عالم وأديب معاً . وهو اذن ناقد ، واذا كان لا بد من الافصاح فيجب ان نلاحظ ان اتجاه التقدمي — الذي جمع بين حافظ وشوقي ومطران على رجاحة الشعر الحديث — ليس متحد المزاج والطبيعة وان تجاذبهم في الموهبة والمنهاج ، فهم شعراء كبار يتفوق في ذلك ولكنهم يتمايزون بعد ذلك في كل شيء او في اغلب الاشياء . فاذا كان لحافظ سرعة البديهة وسهولة النفس وصفاء المبارد وترديد آمال مصر وآلامها ، فان لشوقي براعة القص ، وقوة الاسلوب ، وحسن التصوير ، وان لمطران صحة الفكرة ، ووحدة القصيد ، وصدق النظرة ، والثقافة الشاملة ، وسماحة الباطن وسمو الاخلاق . ومعنى هذه المرة الثانية ان مطران ليس شاعراً فقط او هو شاعر من هذا الطراز النقي ، هو عالم أديب صياغة بديعة وشعور صادق ، وخيال عام ، وأفكار سديدة . فاذا التمست عند حافظ وشوقي الجمال الفني فالتمسه عند مطران والتمس عنده الثقة العقلية ، وغذاء الفكر والعاطفة او غذاء الذهن جميعاً . مطران هو الخطوة الموفقة السابقة امام شكري وأبي شادي والعقاد والمازني وأضرابهم من شعراء الثقافة الحديثة» (٢)

وهذا كلام صادق إذ هو يحدد المناحي الشكلية لاتجاهات مطران الفنية ولكن ينقصه الكلام عن معنى الطبيعة الفنية عند مطران . الا انه من وجهة عامة يمكن ان يقال انه توفق أكثر من الدكتور طه حسين في تحديد المناحي الشكلية لاتجاهات مطران الفنية

والاديب أسعد الكوراني يقول :

«من الانصاف للادب والتاريخ ان نقول ان خليل مطران رأس حركة جديدة في تاريخ الآداب العربية ، وانه قد حول مجرى الشعر العربي من الذاتية الى الموضوعية فكان شعره متحد الاجزاء كامل الوحدة» (٣)

---

(١) طه حسين : حافظ وشوقي ، ص ١٧ (٢) احمد الشايب في ابولو ، م ١ ج ١٠ ص ١٣٠٢ — ١٣٠٦
(٣) اسعد الكوراني في الكلمة ، م ١٣ (تشرين الثاني وكانون الاول) حلب ١٩٣٨ ، ص ٤٩٦

وهذا كلام يتسق مع سائر ظاهر الناحي الشكلية التي عددها الاستاذ الشايب من اتجاهات مطران الفنية . ولكن ينقصه الكلام عن وجه قيام شاعرية مطران من الوجهة الموضوعية التي ولاها

ومن الانصاف ان نقول هنا ان كلام الاستاذ الشايب والاديب الكوراني من أدق ما قيل في مطران . وبعد ذلك تبقى بعض آراء وان كانت لها قيمتها في اظهار بعض النواحي الشكلية فن مطران ، الا انها تقصر من جهة اخرى في الدلالة على روحه . من ذلك قول الدكتور ابراهيم ناجي

« الشعر عنده رأي واقناع وخيال وصور . وشعر عنده موسيقية اللفظ ، والثلاثة الباقية : الاقناع والخيال والصور غير موجودة ، ومطران لا يعنى بالموسيقية كثيراً ، ويعنى بالخيال والصور » . « غنى بن الخيال واطلاق اعنان التصورات العالية لا للاستعارات والكنايات اللفظية كثير في شعر مطران ، يزخر به ويغنو في آفاق هذا الخ » . « ومطران في شعراء العربية متاز في هذا : له قصائد منفردة منقطعة النظير في الصور ورسمها وتعدد آفاق الابداع . خذ مثلا قصيدة « فتاة النيل الاسود » ، او قصيدة « الجنين الشهيد » وانظر في الصور . تجد كل موضوع بطابع الخلود » (١)

ولم يكثر احمد زكي ابو شادي رأي في شعر مطران له قيمته ، فهو يقول :

« الميزة الخاصة بشعر مطران لغزارته الشاملة للجيد ، بحيث لا تجد اي موضوع — مهما كان تافهاً في ظاهره — صالحاً لان يكون مادة شعرية تبعاً ، فالشاعر الحقيقي هو الذي يخلق الموضوع الشعري ، وليس الموضوع هو الذي يجب الشاعر » (٢)

وفي هذه العبارة الموجزة يكشف ابو شادي عن الطبيعة الفنية لمطران . وهو بذهب بعيد مناحي شاعرية مطران من الناحية الشكلية ، وهو موفق في هذا التحديد ، الا انهُ لا ينتهي به الى بيان وجه قيام شاعريته من الطبيعة الفنية . وابو شادي يذكرنا موقف الاستاذ الشايب ازاء مطران

وهذا رأي لا فطون بك الجميل رئيس تحرير الاهرام في مطران يمكن ان نلخصهُ في قوله:

« شعر مطران كرسم تمثل لنا فيه تفاصيل حياة صاحبه . وان هذا ربما كان سر أكثر عامته وبعض سايه : أعني ان هذا ما جعله مبتكراً في ابراز مكنونات صدره لانه لا يصف الا ما يشعر به ولا ينظم الا عواطف قلبه أي شعوره ، ولهذا فشعره « شعر شخصي » بكل معنى الكلمة . . . لكن ذلك أحياناً يجعله غير مفهوم عند العموم فلا يقف على جليته الا من كان له المام بحياة صاحبه . فكنا نتمنى حينذاك ان نمسي خليفاً ولا نرى الا رجلا ونشعر أننا نحن هذا الرجل ، ولعل ذلك ما دعا البعض الى اتهام شعر الخليل بالضعف . ونحن في بعض قصائده كنا نرى حياته من خلال غيوم — غيوم شفافة لا تحجب ذلك الضياء الباهر لكنها تخفف من لمعانه — بيد أننا كنا نرى شمس العواطف لا تلبث ان تمزق أديمها فتعود تسطع بلا كلف في سماء مخيلته » (٣)

ويؤخذ على هذا الكلام انهُ يخطىء في تعيين نوع شعر مطران ، حين يقول بأنهُ « شعر شخصي » والواقع عكس ذلك فشعر مطران غير « شخصي » subjective — لانهُ وان كان ذوب نفسه فانهُ

---

(١) ابراهيم ناجي في أبولو م ١ ج ٤ ص ٣٥٥ — ٣٥٧ (٢) أبو شادي في اصداء الحياة — الاسكندرية ١٩٣٧ ص ٦ — ٢٥ وعلى وجه خاص ص ١٣ و١٥ (٣) أنطون الجميل في الهلال م ١٦ ج ٩ (يونيه ١٩٠٨) ص ٥٣١ — ٥٣٩ وعلى وجه خاص ص ٥٣٨

يلبس صورهُ من الصيغة لا من النفس . فالشعر وان كان عند مطران ذوب النفس الاَّ انهُ موضوعي objective لانهُ يلبس صوره من عالم الموضوع . ويكاد يمثل لشعر شيخاً بتهاويله وتصاويره ومبالغاته . وهذا ما انتبه لهُ الدكتور ابو شادي [1] فيما كتب عن مطران

من هنا نرى أن الآراء تكاد تكون قد أجمعت على تقديم مطران على زميليه شوقي وحافظ من الوجهة الفنية [2] على انهُ رغم هذا لم تعرف مزاياه معرفة تامة من معاصريه . ولم يذع ذكره الذيوع الذي يتكافأ ومزاياه وخصائصه وبعد ذلك يبقى أدب الرجل أمام الأجيال القادمة كاكبر محاولة جرت في تاريخ اللغة العربية بالانتهاء بالشعر العربي الى مكان من الشعر العالمي يناسب مقام العرب في التاريخ واللغة العربية بين اللغات

— ٢ —

تكاد تكون كل أخبار خليل مطران وتاريخ حياته ، معروفة صديقها لأصدقاء الرجل وخلانهِ وهم كثر من الأحياء المعاصرين . الاَّ ان هذه الصحائف لم تسجل . وما سجل منها يقف عند حدّ التعميم ولا ينتهي الى حدّ التفاصيل التي تربط بين حياة الرجل وشعره . ونحن يمكننا ان نرد جميع المصادر التي لها صلة بحياة الخليل الى ثلاثة أصول : ما كتبه الخليل عن نفسه ، وما رواه معاصروه عنهُ ، وما نطق بهِ شعره من وقائع حياته

اما عن الأصل الاوّل . فلم يكتب مطران شيئاً يذكر . وقد سألناه مرتين أن يكتب الينا الماماً بحياته . ولكنهُ في كل مرة كان يعتذر . حتى جعلنا نولي وجهنا شطر وجهة هي أقرب الى دراسة أعلام العصور الغابرة منها لأحد النابهين من المعاصرين . وقد يكون معذوراً في عدم كتابته . ولكن ما عذره حيال نفسه وأدبه ازاء الأجيال القادمة ، وهو يفوّت الفرصة لراغب في دراسة حياته على وجه من التحقيق العلمي . على أنهُ بعد ذلك هنالك بعض فقرات تتصل بحياة الرجل ترد عرضاً في بعض ما كتب ، لو جمعنا بعضها الى بعض لم تدلّ على صورة واضحة منسجمة عن حياة مطران ، الاَّ أنها بالإضافة الى ما رواه معاصروه وما يمكن ان يستخلص من شعره تعطيك صورة عمومية عن حياة الرجل ، ان حاولت ان تنزل منها الى التفاصيل ، لم تأمن الزلل والوقوع في اخطاء الاستنتاج

ونحن يمكننا ان نلخص القول هنا بخصوص الأصل الثاني من المصادر التي عرضت لحياة مطران ، بأنهُ ليس من المصادر التي تحت أيدينا عن حياة الشاعر ونشأته الاَّ بضعة أسطر كتبها الدكتور احمد زكي ابو شادي عام ١٩١٠ في مجلة حدائق الزهور ثم ضمنها فصلاً من كتابه

(١) أبو شادي في اضواء الخيال — ص ١٨—١٩ (٢) أنظر كذلك النقاد في شعراء مصر وبيئاتهم في ذيل الكتاب

« اصداء الحياة » . وهذه السطور يمكن ان نوجز القول فيها فيما يلي

ولد خليل مطران سنة ١٨٧٢ ، فهو لم يتجاوز الاربعين من عمر حياته ، ومع ذلك فهو مكثر منجب ، وقد أنشأ « المجلة المصرية » وهو في الثامنة والعشرين . وأثمر ثمره الاولى من « ديوان الخليل » بعد ذلك بعشر سنين ثم يجيء الا يجوى الا نظرة من فيض شعره . وقد حرر في صحيفة (الاهرام) وأسس الجوائب المصرية ، وله كتاب « مرآة الايام » وهو سفر شائق في التاريخ العام . فحياة كلها نشاط ادبي »(١)

وانت كما ترى في هذا الكلام ، التعميم يغلب التخصيص . وماذا يفيدنا هذه السطور في معرفة حياة الرجل . على أننا نذكر لصديقنا الصحافي المعروف توفيق حبيب الذي يكتب زاوية هامش الصحافي العجوز في (الاهرام) بعض الكلام عن مطران ، حدثنا به عصر يوم الاثنين ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٨ في مجلس ضمّ معنا الدكتور احمد زكي ابو شادي والأستاذ ساجي الكيالي محرر مجلة الحديث الحلبية ، نذكر منهُ هذا الكلام : —

« نشأ خليل بك مطران من أسرة نزيهة في بعلبك . وتعلم في مدرسة الحكمة ببيروت . ثم مال كثير من ابناء عصره من أهل سوريا الى الاشتغال بالتجارة فخرج من بيروت وهو شاب ليسافر الى تونس ومنها الى أوربا للتجارة . الا أنه مني بالاخفاق في محاولته هذه ، فرجع الى مصر في طريقه الى بيروت ، وتصادف ان كان يوم وصوله الى الاسكندرية يوم رفاة سليم بك نقلا . فسمع بخبر ، فجلس وكتب مرثاة للزعيم . وخرج مطران مع من خرجوا لتشييع جنازة الفقيد ، وبعد ان ووريت جثته في التراب ، وقف مطران فحسن من وقف يلقي مرثاته . فبلغ من دهشة الزيات انه ما زال حتى سمعت أقدار المشيعين للجنازة وقد التفوا حول الشاب الشاعر وقد أولاهم الدهشة والعجب

وكان من حسن تشييع جنازة الفقيد أخوه بشارة تقلا بقا صاحب جريدة (الاهرام) ، وطلب من الشاعر الشاب بعد الانتهاء من مراسيم الجنازة ان يمرّ به في ادارة الاهرام . فاعرف من أمر مطران ما كان ، ومن شأن أسرته مقامها حتى عمل على جعل خليل مطران نائباً عنه في القاهرة — حيث كان هو في ذلك الحين بالاسكندرية ، حيث كان يصدر عنها صحيفة « الاهرام » يومئذ — وتعرف مطران لكبار رجال مصر في القاهرة . ومرعان ما احتل مكانة بارزة في هيئة المجتمع المصري بأخلاقه الكريمة وسجاياه الطيبة وأدبه العالي . وكانت له في الاهرام كل أسبوع مقالة ، في شأن من الشؤون السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الادبية . وكان لمقالة شأن كبير عند الادباء وصفوة القراء . وكان لا يشذ بها في ذلك الحين مقال لكاتب آخر غير ما كان يكتب دباب بك في صحيفة المؤيد

وحدث ان انتقلت صحيفة « الاهرام » عام ١٨٩٩ من الاسكندرية الى القاهرة ، ويغلب ظني بشارة تقلا بقا في ان يجعله رئيساً لتحرير غير ما أبى ورفض ، حتى يحفظ لنفسه حريتها في التفكير والعمل ولا يكلفها تبرد هذا العمل . وظل مطران يشتغل محرراً ممتازاً في الاهرام . وكانت موارده من الصحافة كثيرة ومن أشغاله الخارجية غير قليلة ، الا أنه على كثرة دخله كانت نفقاته كثيرة ومردّ ذلك الى بسط يده للمعوزين والذين كانت تهم الاحوال من الادباء

كان خليل مطران يقيم في هذه الفترة من حياته في « أوتيل الخديوي » Khedivial Hotel ويقضي ساعاته في محل مدام باربيه Madame Barbier التي كانت تقوم تحت الفندق ، والتي تقوم اليوم على أنقاضها محلات « سليم سيدناوي »

وفي عام ١٩٠٠ أنشأ مطران صحيفة نصف شهرية هي « المجلة المصرية » وكانت تصدر عن الادب المحض ، وبذلك كانت أول مجلة مختصة بشؤون الادب في تاريخ الشرق . وقد صدر منها أربعة مجلدات ، نجد فيها جميع شعر اسماعيل صبري وجانباً كبيراً من شعر أحمد شوقي . وكان أكابر كتاب العربية في مصر يساهمون في الكتابة فيها ، نذكر منهم الخوري جورج مطران الذي كان يتناول المواضيع القصصية والتجارية .

---

(١) أصداء الحياة — ص ١١

ومن الشعراء الاحياء الذين نشروا فيها شعرهم ابراهيم رمزي واحمد رمزي وعبد الرحمن جبعي

وحدث في ذلك الحين ان أصدر جندي بك ابراهيم صحيفة « الوطن » جريدة يومية وضم اليها بادئ ذي بدء نخبة من المحررين الممتازين ، كان منهم مع مطران وابراهيم سليم النجار ، غير ان ضعف الصحيفة جعل مطران ينصرف عن التحرير فيها

وفي عام ١٩١٠ أنشأ مطران مع أخيه جورج صحيفة « الجوائب المصرية » وهي صحيفة يومية اشترك في تحريرها الشيخ يوسف الخازن . الا ان تقدم مطران وأخوه جورج في ادارة الجريدة من الناحية الاقتصادية تقدماً ، جعلهما يعلنان أمر ادارتها من الناحية المالية الى جماعة من الناس واحداً وراء واحد ، نذكر منهم سيف بك حسني . وكان نتيجة عدم اشراف الاخوين على شؤون الجريدة المالية ان غلبت خسائرها مكاسبها فاضطر خليل مطران ان يحجبها

على انه يمكن ان يقال أن صدور جريدة تحايد لا تميل مع الاحزاب كان من أسباب اقضاء عليها ، لان كونها تحايد ان ارضى الكبار ، فانه لن يرضي عامة الناس وهم قراء الصحف وعمادها

في تلك الفترة أصدر مطران كتابه (مرآة الأيام) في جزئين وهو سفر جليل في التاريخ العام ، كما انه جمع (مراثي الشعراء) لسامي باشا البارودي في كتاب وفاء للرجل

وقد كتب مطران في ذلك الحين جملة روايات تمثيلية ، كما بدأ في ترجمة مسرحيات شكسبير من الفرنسية الى العربية ، الا أن غيرة ترجمته لم تبد الا بعد الحرب العظمى

وخليل مطران من أرسخ الناس قدماً في الادبين الفرنسي والعربي ، يعرف الادب العربي القديم كأحسن المتخصصين فيه . كما أنه مطلع على الادب الفرنسي كأحسن اساتذته اضطلاعاً بدراسته . على أن مطران متعدد النواحي ، فهو فنان ضرب في الشعر بسهم وافر ، حتى انك لا تجد غريباً له في اتجاهاته الفنية في الشعر ، لامن معاصريه ولا من الذين نشأوا في الجيل الذي أتى بعده ، كما انه صاحب فن في الكتابة المسرحية وشؤون التمثيل ، وله عدة مسرحيات من أروع النظم المسرحية العربية . وهو الى هذا صاحب اقتدار في فهم شؤون التجارة والمال . وقد اشتغل في التجارة كثيراً ، فكسب وخسر ، وميله للاتجاهات المالية يجعل له دربة في الشؤون الاقتصادية ، حتى لقد كلف وضع البرنامج التأسيسي لبنك مصر . ومن مظاهر اتجاهاته الاقتصادية ترجمته مع حافظ ابراهيم كتاب « المرجز في علم الاقتصاد » وهو كتاب ليس لحافظ ابراهيم منه غير الاسم ، قام بترجمته كله مطران . هذا ومن مناحي مطران المتعددة كلها بالمسائل الزراعية ، وهذا الكلف تظهر آثاره في صحيفة « المجلة المصرية » حيث كان يفرد لها باباً خاصاً لشؤون الزراعية . وهذا الكلف اضطلع مقدرة وكفاءة جعلته يؤسس النقابة الزراعية المصرية . وهو الآن يتمثل منها منصب المكرتير المساعد . على اننا اذا ذكرنا كل هذه المناحي لمطران في الشعر والحركة المسرحية وعالم التجارة والمال وشؤون الزراعة لجب الا ننسى ناحية مهمة من مطران تتصل بحركة التمثيل المسرحي الشيء الذي يقوم باتجاهه الفني للكتابة المسرحية . ومن مظاهر نشاط مطران في هذا الميدان أن أسس دار التمثيل العربي قبل الحرب ، كما تمثل رئاسة الفرقة القومية المصرية للتمثيل

والواقع انه لا يوجد اليوم من الاحياء من هو في نشاط مطران ، وان كان يذكرنا بنشاطه تلميذه الدكتور احمد زكي ابو شادي بنواحيه المتعددة : في الكتابة والشعر والادب والنحالة والصناعات الزراعية وتربية النواحين وشؤون الاجتماع والاقتصاد

ومما يذكر عن مطران ان المذكرات التي كان يضعها رجال المال والاقتصاد في مصر كانت تعرض عليه ، كما كانت المذكرات القانونية التي يضعها رجال القانون ، وفيها مساس بالشؤون المالية ، تعرض عليه للنظر فيها قبل طبعها وتقديمها للدوائر المختصة . نذكر من هذه المذكرات التي مرت تحت يده المذكرات التي وضعها عبد العزيز باشا فهمي عند السير بروبيت

هذا واشتغال مطران بالادب وكونه رجلا اجتماعياً دفعه لحضور كثير من مجالس الانس والطرب ، وكان هو من هذه المجالس صدرها بأدبه الجم وبروحه الخفيفة وبظله الوارف . وقد اندفع في كثير من الحالات الى وضع الكثير من الاغاني والطقاطيق البلدية لتغنى في هذه المجالس . ولو جمعت هذه الآثار عن كل ما أحدثه مطران في عالم الادب والشعر من الأثر ، لكان من ذلك تراث قيم للغة العربية

وإذا كانت مطران السياسية لم تكن لجمعه عن الأحزاب المصرية ، فقد كان يحس تمام الحس بتقلب حكامها ، ومن هنا كان احتراسه . ومن مظاهر هذا الاحتراس تحاشيه الرثاء في عهد الخديو عباس حلمي ، الذي كان يوجه [illegible] على أن الكثير من الأسباب وصلات مطران بعباس توجب [illegible] فقد عاصر عباس في عهد من عهوده في عرش مصر ولا سيما في الأيام الأولى من عهد الشباب والجد .

ومطران من أحس الناس بمشاعر غيره من الناس ، إلى حد يخشى فيه أن يجرح شعور أحد بكلمة يكتبها أو يقولها ، وهذه هي نقطة الضعف فيه ، حتى أنه قد عاد بالإحسان ، فجعله يعدل الناس عن الإعلان عن إعمال الخير التي يقوم بها . وهذا راجع إلى كرهه الإعلان عن نفسه . وقد يكون ذلك من أسباب خمول ذكره بعد الحرب العظمى حيث انقطعت الصلة بين الفترة التي سبقت الحرب والفترة التي جاءت بعدها ، والتي لم يظهر فيها مطران نشاطاً يذكر نشاطه في الفترة التي سبقت الحرب الكبرى !

هذه سطور وجيزة عن حياة مطران وهي إن كانت أشمل مما وقفنا عليه عن حياة الرجل من أحد معاصريه ، فهي تقف عند حدّ التعميم ولا تنتقل من حياة الرجل إلى الجزئيات التي تفهمنا إياه عن حقيقته . ثم عندنا خبرات في هذا الكلام ، إذ لا خبر لنا عن صباه ولا عن دراسته ولا عن عهده ولا عن سير أسرته التي نشأ في ظلها وتنفس ، ولا عن شيء من أمور معيشته وحياته الخصوصية ، تلك الأشياء التي لا بد منها لبحث جدّي يراد به الترجمة لحياة انسان . على أن هذه الفجوة في الأخبار والفجوات التي تخللها كان يمكن أن تعوض وتملأ لو ساعدنا مطران في تدوين تاريخ حياته بإضافة معلومات التي طلبناها منهُ . ولكن اعتذاراته جعلتنا في موقف حرج من الدراسة . لا يمكننا أن نكون قد مضينا منها إلى هذا الحدّ وهكذا لم نجد بدًّا من أن نكتفي بهذه الأخبار بالإضافة إلى أقواله وأقوال بعض معاصريه التي لها اتصال أو دلالة على حياته والتي ترد عرضاً في كتاباته أو كتابات معاصريه ، والرجوع اليدفي كل ما عرض من المسائل التي استوقفنا من المواضع حتى نأتي على الهيكل العظمي لتاريخ حياته ضوءاً وهو الهيكل الذي تكوّن لنا بعد من هذه الأخبار ، وبعد ذلك لنا أن ننفخ فيها الحياة من شعره

— ٣ —

يقول انطون بك الجميل

« يمكننا أن ندرس حياة خليل مطران شطراً شطراً من مطالعة ديوانه سطراً سطراً . فإن شعر الخليل رسم تمثلت لنا فيه كل أطواره وجوانبه وارتسمت في صفحاته كل عواطف قلبه » (١)

وهذا كلام اختلط فيه جوانب من الحق مع جوانب من الباطل . أما جوانب الحق فاعتبار أن حياة مطران الشعورية متمثلة في شعره أحسن تمثيل من حيث أن شعره ذوب نفسه وعصارة قلبه ، أما حياته العاشية فلا يمكنك أن تخلص بها من شعره ، والرجل في هذا كالشعراء الإفرنج من الصعوبة في مكان أن تخلص من شعرهم بتاريخ حياتهم ، لأن الموضوعية في شعرهم تطغى على الذاتية فيهم حتى تتلاشى فرديتهم ، فلا تدور على أغراضها شعرهم . وهم في هذا عكس شعراء

(١) الهلال ، م ١٦ ج ٩ (يونيه ١٩٠٨) ص ٥٣١ — ٥٣٢

العرب الذين تدور شعريتهم حول الأغراض الذاتية من حيث يتلاقى كل شيء فيه وفي حياتهم. فأنت لا تستطيع ان تخلص من شعر المتنبي او ابن الرومي الا بمراجعة الصفحات الكبرى بتاريخ حياتهما [1]. فانك واجد في ذلك كل الصعوبة مع الخليل. من هنا نرى ان شعر خليل مطران في حد ذاته وان اعتبر مرجعاً عظيماً في فهم حقيقة حياة الرجل الشعورية، فانهُ في ذاته ليس بالشيء الذي يذكر في دلالته على شؤون حياته المعاشية. الا أن شعر مطران بالاضافة الى ما يجمع لدينا من المعلومات والاخبار عنهُ يمكن أن يعتبر شيئاً لدراسة حياة الرجل، وملء الفجوات التي بين الاخبار المتجمعة عنهُ، ونفخ الحياة في الهيكل العظمي لتاريخ حياته. وهكذا نميز معنا جوانب الحق من جوانب الباطل في كلام انطون بك الجميل.

ودلالة الشعر الصحيح على الحياة الشعورية لا تحتاج الى اسهاب لأن الشعر ان كان ذوب النفس، فهو مظهر ما يختلج في الوجدان من نبضات الحياة وخلجات الشعور. من هنا لا نرى في قولنا ان شعر مطران ذو دلالة على حياة الرجل الشعورية ما يحتاج الى الاثبات. فحسبنا أن يجعلنا في قصيدته عن بعلبك — مثلاً — تمثل حياته الشعورية في سباه حين يقول:

نزقاً يفنن [2] غرّاً لعوباً لاهياً عن تبصّر واعتبار
مستقلاً عظيمها مستخفاً ما بها من مهابة ووقار
تتبارى كأنّها فراشا روضةٍ مالها من استقرار

كما أنهُ يجعلنا نتمثل من شعره حياته الشعورية وقد كبر وخاض معترك الحياة، وذلك حين يقول

في محرةٍ لا ألس فيها للغريب ولا صفاء
تتقاذف الآفاقُ بي تقذف العواصف للهباء
وتحيط بي لجج الصروف فمن بلاء في بلاء

وهكذا يمكننا ان نتنقل في شعر مطران ندرس منها أطوار حياته الداخلية في تقبضها، ومظاهر حياته الوجدانية والشعورية

وانت قد تجد من الشعراء من يجعلك تركب الصعب في قراءة شعره حين تريد ان تستدل منها على حياته الشعورية. ذلك من حيث تبلغ فيه الصنعة حداً تجعله يحاكي صدق العاطفة. على ان هذا الحال وان كان معروفاً في شاعر مثل البحتري يجعلك تحترس في دراستك له، فانهُ متخالط في شيء من شعراء العربية، ومن هنا جاءت صعوبة دراسة حياتهم من شعرهم، اللهمَّ الاَّ الذين

(١) انظر عن المتنبي: بحوث محمد شاكر في دراسته، المقتطف م ٨٨ ج ١ (يناير) ١٩٣٦ وهي خير دراسة كتبت عن المتنبي. وانظر عن ابن الرومي دراسة عباس محمود العقاد، ص ٧٦ — ٢٦٢

(٢) أي بين آثار بعلبك

بلغ فيهم الاحساس الشعري حداً يجعلهم في عصمة عن الارتفاع بالصناعة الى صور لا تمثل شعورهم ولا تثير لها في وجدانهم قيمة

ومطران من حيث كون شعره ذوب نفسه وخلاصة ما يضطرب في وجدانه يُجعلنا في مأمن من التحرز عند دراسة حياته الشعورية من شعره . ذلك ان الرجل لا يقول الشعر الا عن وجدان صادق ، وعبقريته وممدوحه لا تقعد على جودة الصياغة وقوة الصناعة التي يرتفع بها الى محاكاة العاطفة ، انما يقوم على فيض الشعور ، وشعور الرجل يتلوّن بصلاته الاجتماعية بالناس الذين يقول شعره فيهم في الظروف السارة او الحزينة ،[1] وهو في هذا يمثل في تاريخ الأدب العربي نوعاً قائماً بذاته . وهكذا يمكن النزول من شعر الرجل الى الحالات الشعورية التي تتشكل وفقاً لها صلاته الاجتماعية بالناس

وشعر خليل مطران ان كان في عمومه يكتنا من ان ندرس حياته الشعورية والوجدانية دراسة مفصلة دقيقة تغنينا عن تمحص الاخبار والنظر في دلالاتها الشعورية ، فان هذا الشعر كما قلنا ، لا يمكن ان يعتبر مرجعاً قائماً بذاته في دراسة تاريخ حياة الرجل من وجهها الخاشية على وجه من التفصيل . ومع هذا كما قلنا وسبق الى ذلك الاشارة في الامكان ، بالاضافة الى ما بين يدينا من اخبار الرجل ، ان نستوفي ترجمة حياة الرجل جهد المستطاع ، بتداخل في هذا الاستيفاء الاستقراء والتنظر والتعرف والاستطلاع لما وراء هذه النصات الذي يحملها شعره والرجوع بها الى ما يمكن ان يتجانس في الهيكل العظمي لتاريخ حياة الرجل المتكون من الاخبار التي جمعناها عن مطران

تمهيد

من وجهة نظر خاصة يمكننا ان نقسم تاريخ حياة مطران بالنسبة للأطوار التي لبسها من عصره الى ثلاثة ادوار : تبدأ الأولى من ميلاده وتنتهي باستقراره في مصر . وتبدأ الثانية من حيث ينتهي الدور الاول وينتهي بالحرب الكبرى . ويبدأ الدور الثالث يوم وضعت الحرب أوزارها وهو مستمر الى يومنا هذا

اما عن كون هذا التقسيم هو التقسيم الطبيعي . فذلك ما لا نشك فيه ، لأن هذه القسمة تمثل من جهة مراحل نشاط الرجل ، ومن جهة اخرى تكامل شخصيته وظهور فنه . فالطور الاول هو طور النشوء ، والطور الثاني هو طور النضوج ، والطور الثالث هو طور التكامل والتمام

وسيظهر من بحثنا لحياة الرجل من سبل التحقيق الذي سنأخذ انفسنا به ، ان هذا التقسيم منهجي وانه طبيعي في هيكل بحثنا الذي سنقوم به

(١) أبو شادي في أصداء الحياة ، ص ٢٤ — ٣٥

سير الزمان

شهر من التاريخ

زوال نشبكو وسلوفاكيا

استرداد منطقة ميمل

زيارة الملوك لبرلين لتتويج

التتويج البولندية ترنسم

انقلاب في سياسة بريطانيا الخارجية

احتلال اليابان

شهر من التاريخ

١٥ مارس — ١٥ ابريل ١٩٣٩

— ١ —

زوال تشيكوسلوفاكيا

بينما الحوادث تجري الى نهايتها المحتومة في اسبانيا [١] على الرغم من التتال بين قوات مجلس الدفاع في اسبانيا المتوسطة وفريق الشيوعيين فيها (في اواخر فبراير واوائل مارس)، وبينما قداسة البابا بيوس الثاني عشر يتوج [٢] في الفاتيكان متخذاً « العدل اساس السلام » شعاراً لعهده، كانت الريح تهبّ في اوربا الوسطى، ثم ما بثت ان تحوّلت عاصفة هوجاء اضطربت لها مياهُ النهر — نهر الحوادث الدولية — واصطخبت، فطغت حوادث تشيكوسلوفاكيا وما يتعلّق بها على كل ما عداها، فصار حتماً علينا ان نخص الحديث بها، لأنها تحتلُّ مكان الصدر في تطور الحوادث الدولية، في كل الفترة المنقضية منذ اتفاق مونيخ في آخر شهر سبتمبر سنة ١٩٣٨ الى اواسط مارس ١٩٣٩

وقد بدأت حوادث تشيكوسلوفاكيا في ولاية سلوفاكيا، يوم ١٠ مارس سنة ١٩٣٩ اذ ارتفعت في مدينة براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا صيحة الانفصال مقرونة بصيحة التحية للبرهتر. وسلوفاكيا على ما تعلم جزء من تشيكوسلوفاكيا واقع في النصف الشرقي منها، يفصل بينها وبين المانيا ولايتا مورافيا وبوهيميا، وتقع الى الشرق منها ولاية روتينيا المعروفة باوقرانيا الكرباتية. اي اذا شبهنا دولة تشيكوسلوفاكيا — او ماكان دولة تشيكوسلوفاكيا — بسمكة ممتدة في اوربا الوسطى رأسها الى جهة المانيا وذيلها الى جهة روسيا، وجدنا فيها خمس مناطق اولاها منطقة السوديت — وقد كانت تحف برأس السمكة كالحاشية وهذه ضمت الى المانيا وفقاً لاتفاق مونيخ الذي عقد في آخر سبتمبر من السنة الماضية — ثم يلي ذلك ولاية بوهيميا وفيها العاصمة براج فولاية مورافيا، فولاية سلوفاكيا فولاية روتينيا او اوقرانيا الكرباتية، وهي في الذيل

ففي الاسبوع الثاني من شهر مارس الماضي، حفلت الصحف بانباء حالة مضطربة تسود ولاية سلوفاكيا هذه، ولا سيما علاقاتها بحكومة براج. حتى لقد ذهبت بعض البرقيات الى القول باحتمال نشوب حرب اهلية في الدولة التشيكوسلوفاكية المذكورة، وكان سبب الخلاف، بين

(١) في ٢٧ فبراير بين المستر تشمبرلين في مجلس النواب البريطاني البراءات التي حملته على الاعتراف بحكومة الجنرال فرانكو (٢) أنتخب يوم ٢ مارس وتوج يوم ١٢ مارس ١٩٣٩

براتسلافا عاصمة سلوفاكيا . وبراج عاصمة الدولة التشيكوسلوفاكية ، ان فريقاً من متطرفي السلوفاك يريدون الانفصال التام عن الدولة التشيكوسلوفاكية . بل زعمت بعض دوائر براج نفسها انها كشفت مؤامرة مدبَّرة لاحداث هذا الشق

ولا يخفى ان حديث الانفصال والاستقلال التام في سلوفاكيا ، سيفقد ان منحت سلوفاكيا على اثر مؤتمر مونيخ ، وبتر تشيكوسلوفاكيا بضم مناطق السوديت الى المانيا ، استقلالاً ذاتياً على ان تبقى جزءاً من دولة متحدة (فدرالية) هي دولة تشيكوسلوفاكيا التي عاصمتها الاتحادية مدينة براج

فما ان قامت حركة الانفصال الاخيرة في ولاية سلوفاكيا ، حتى عالجتها حكومة براج بالحزم فأقالت المسيو تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية ، واصدر المسيو هاخا رئيس الدولة التشيكوسلوفاكية مرسوماً بتأجيل اجتماع البرلمان السلوفاكي ، وعينت وزارة جديدة واتخذت القوات الحكومية تدابير حازمة لحفظ الامن . وصرحت حكومة براج ان كل ما يهمها في الامر هو الاحتفاظ بوحدة الدولة ، وانها مستعدة لتوسيع نطاق الاستقلال الذاتي لسلوفاكيا الى اقصى حد يتفق ووحدة الدولة

وقد صحب حوادث سلوفاكيا ، حملة عنيفة في الصحافة الالمانية على التشيك فقد جاء في البرقيات العامة والخاصة التي نشرت عندنا صباح الثلاثاء (١٥ مارس) ان جميع الصحف الالمانية نشرت في صفحاتها الاولى تحت عنوانات ضخمة ان حالة الاقليات الالمانية في تشيكوسلوفاكيا تزداد خطورة ساعة بعد ساعة على اثر الحوادث الاخيرة وان التشيك يشنون عليهم ارهاباً وحشياً ، ويهاجمون الالمان بتشفي القسوة . وقالت جريدة فولكيشر بوباختر ان الحالة اصبحت لا تطاق في براتيسلافا وان التشيك غير قادرين على تأليف حكومة سلوفاكية توافق رغبتهم لعداء الاهالي لهم

ثم جاءت الانباء بأن السلوفاك استجاروا بالمانيا ، وان المسيو تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية المقال ارسل مذكرة الى الهر هتلر يبين فيها عدم شرعية تأليف الوزارة التي تلت وزارته ، وكانت الانباء الاولى التي وردت عن موقف المانيا من هذه الحوادث ، ومن استجارة السلوفاك بها ، ان المانيا انكرت تدخلها في الاضطراب التشيكوسلوفاكي تدخلاً عسكرياً او سياسياً ، بل قيل ان السلطات والدوائر الالمانية واقفة بين بين . ففي صحفها عطف بادٍ على السلوفاك وطلباتهم ، تدل عليه العنوانات والاقوال المنشورة . وفي دوائرها حذر من تأييد السلوفاك تأييداً رسمياً لئلا تثير حكومات البلدان المجاورة كبولندة وهنغاريا ويوجوسلافيا ، لأن عملاً من هذا القبيل يعدّ تشجيعاً للشعوب المحكومة والاقليات المختلفة التي في هذه الدول وما اكثرها

وعند ما بلغت الحالة هذا الحدّ ، اخذت الحوادث تتوالى بسرعة تخطف البصر ، حتى بتنا نترقب البرقيات الواردة من اوربا ساعة بعد ساعة لنعلم كيف تطورت الحالة واي حدّ بلغت

وصارت الحوادث الجديدة تلغي ما سبقها وتنقض ما قيل فيها . ففي البدء كان الموضوع موضوع استقلال سلوفاكيا استقلالاً تامًّا وانفصالها عن الدولة التشيكوسلوفاكية ، على ان تشملها المانيا برعايتها ، ثم أذاعت الصحف في صباح الاربعاء (١٥ مارس) في نصوص البرقيات التي وردتها في اليوم السابق الى منتصف الليل ان المونسنيور تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية انتقل ذهب الى برلين ، وان البرلمان السلوفاكي الذي كان المسيو هاخا رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية قد أجّل اجتماعهُ ، اجتمع فعلاً واعلن استقلال سلوفاكيا وانقطعت بذلك اوصال تشيكوسلوفاكيا كدولة متحدة ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة المونسنيور تيسو خلفت الوزارة التي ألفتها حكومة براج ، فطلبت الوزارة الجديدة حماية المانيا

وما لبثنا بعد ذلك حتى قرأنا ان أوقرانيا الكرباتية قد أعلنت استقلالها كذلك وتولى الوزارة الجديدة فيها ، المسيو فولوسين ، وبعد تولّيه الحكم أرسل برلين الى الهر هتلر والمسيو موسوليني يطلب النجدة ومساعدتهُ على حماية الدولة الأوقرانية التي أعلن استقلالها

عند ذلك رأت الوزارة التشيكوسلوفاكية ان ترفع استقالتها الى المسيو هاخا ، وتلا ذلك ان سافر المسيو هاخا يصحبهُ المسيو شفالكوفسكي وزير الخارجية الى برلين لمقابلة الهر هتلر والهر فون ريبنتروب ، واذ كانا في طريقهما الى برلين ، وفي أثناء الاجتماعات التي حضراها كانت الجيوش الالمانية قد استعدت للزحف على بوهيميا وموراڤيا فزحفت عند صدور الامر ولم تلق مقاومة ، فدخلت براج ، وأعلن زوال الدولة التشيكوسلوفاكية من الخارطة الأوربية ، بعد انقضاء عشرين سنة على قيام الكيان المستقل . ويقال ان المسيو هاخا والمسيو شفالكوفسكي أكدا في خلال الاجتماعات التي حضراها في برلين ان الغاية التي ترمي اليها جميع الجهود هي ضمان السكينة والنظام والسلام في هذا القسم من اوربا الوسطى وصرّح المسيو هاخا بأنهُ يضع مصير الشعب التشيكي والبلاد التشيكية بكل ثقة بين يدي زعيم الريخ خدمة لهذا الغرض وتحقيقاً لهُ . فقبل الهر هتلر التصريح وقرّر وضع الشعب التشيكي تحت حماية الريخ

[ثم علم ان المسيو هاخا تعرّض في برلين لمثل ما تعرّض لهُ الدكتور شوشنج في برختسجادن قبل ضم النمسا الى المانيا ، من حملة قوية وتهديد صريح وانهُ سقط اغماء فلما أفاق وقع الوثيقة المعروضة عليه .]

وحدث في أثناء ذلك ان أرسلت حكومة بودابست ، انذاراً الى حكومة براج ، مداهُ اثنتا عشرة ساعة . فلما جاءها الرد لم تقابله بالارتياح ، فقرّرت الحكومة الهنغارية التدخل في

أوقرانيا الكرباتية فاجتازت قواتها الحدود صباح الاربعاء ١٥ مارس وفي احدى برقيات هذا الصباح (١٦ مارس) ان القوات المجرية توغلت في كل انحاء أوقرانيا الكرباتية بدون مقاومة تقريباً وينتظر ان تقتضي من احتلالها والوصول الى الحدود البولندية في الساعة الرابعة بعد الظهر (أي بعد ظهر اليوم لان البرقية المشار اليها صادرة من بودابست في ١٥ مارس أي أمس)

وكذلك ما كادت تنقضي سنة كاملة على ضمّ النمسا الى الريخ الاكبر، حتى ضمت اليه الولايات الثلاث الكبرى من تشيكوسلوفاكيا وهي بوهيميا وموراڤيا وسلوفاكيا والفرق بين الحادثين ان النمسويين المان حالة ان سكان تشيكوسلوفاكيا — وهم يشملون التشيك والسلوفاك والروتينيين — يبلغون نحو عشرة ملايين وهم من العنصر الصقلبي وليس في البلاد التي يقطنونها بعد ضمّ المان السوديت الا أقلية المانية صغيرة. أما أوقرانيا الكرباتية فقد ضمّت الى هنغاريا وعلى ذلك فكل خارطة جديدة لأوربا يجب ان ترسم بحيث تكون بوهيميا وموراڤيا وحتى سلوفاكيا أجزاء من الريخ الاكبر

كان الكتّاب الى عهد قريب يختلفون في وصف الجمهورية التشيكوسلوفاكية. فبعضهم وصفها بقوله، أنها جزيرة دمقراطية في وسط عجاج دكتاتوري. وبعضهم قال أنها منارة للحرية في أوربا الشرقية والمتوسطة. وبعضهم وصفها بأنها سدّ قائم في وجه التوسع الألماني في شرق أوربا وشرقها الجنوبي. وقد ظلت كذلك حتى اتفاق موينخ. وعندئذ ظهر التصدع في ذلك السدّ. والآن قد تمّ انهياره، فغدا السدّ قنطرة للعبور

القاهرة: ١٦ مارس ١٩٣٩

— ٢ —

استرداد منطقة ميمل

من أهم الحوادث التي وقعت في النصف الاخير من الأسبوع الماضي (الذي نهايته يوم ٢٥ مارس) ضمّ منطقة ميمل الى المانيا. وهذا الضمّ يصحح خطأ من الاخطاء الكثيرة التي انطوت عليها معاهدات الصلح. فمدينة ميمل مدينة ألمانية شعباً ولغة وتاريخاً. أنشأها فريق من الفرسان الالمان في منتصف القرن الثالث عشر، وكانت دائماً في حوزة المانيا، لم تقع دولة اخرى، الا دولة لتوانيا، بعد عقد معاهدات الصلح، وحينئذٍ دخلت في حوزة لتوانيا قوة واقتداراً. ثم ان اكثرية شعبها المان، واللغة الالمانية لغتهم، اما اللتوانيو الاصل منهم فيتكلمون اللغة الالمانية كذلك

وأين تقع ميمل؟ تصور الجانب الشرقي الشمالي من اوربا، الواقع على ساحل بحر بلطيق تجد بروسيا الشرقية والى الشرق منها منطقة ميمل محاذية لها وواقعة بينها وبين جمهورية لتوانيا وقد نزعت مدينة ميمل والمنطقة المحيطة بها من المانيا، لتكون منفذاً على البحر لجمهورية

لتوانيا ، اي لتكون لتوانيا في منزلة مدينة دانتزج لبولندة . وكان الرأي اولاً ان تكون مدينة حرة لها حكومتها الخاصة ، وان تتصل بلتوانيا برباط اقتصادية . واذ كان الحلفاء ينظرون في مختلف المسائل المعروضة عليهم ، هاجم احد القواد البولنديين مدينة فلنا اللتوانية ، واحتلها سنة ١٩٢٠ فالتجأ اللتوانيون حولهم فوجدوا ميمل ، فثاروا لقلقا باحتلال ميمل ، فعرف الحلفاء بالامر الواقع ولكن انشىء مجلس دولي لادارة مرفأ ميمل . ومنذ قام النظام النازي في المانيا ، تحوّل فريق كبير من اهالي ميمل نازيين بزعامة الدكتور نومان وهو طبيب يمقري وجعلوا يطالبون بحقوق معيّنة وبالعودة الى احضان انهم الالمانية ، ويقال ان الحكومة اللتوانية اشتدّت في معاملتهم منذ اشتدوا في مطالبهم ، فلما كانت حوادث تشيكوسلوفاكيا وضم منطقتي بوهيميا وموراڤيا الى الريخ ووضع منطقة سلوفاكيا تحت حمايته ، انذرت حكومة لتوانيا بوجوب التخلّي عن منطقة ميمل وأعطيت مهلة خمسة ايام تسلّمت بها طلب منها بغير ان تستشير دولة من الدول ، ودخل الفوهرر ميمل عن طريق البحر ذاهباً اليها في سفينة حربية تفادياً من اجتياز الرواق البولندي في قطار مقفل الوافد ، واعلن ضمّها . وبذلك تمّ عمل يعيد الأمر في هذه المنطقة الى نصابه الطبيعي

زيارة المسيو لبران لانكلترا

المسيو لبران رئيس جمهورية فرنسا منذ سبع سنوات ، ذهب في ٢١ مارس في زيارة رسمية الى لندن ردًّا لزيارة الرسمية التي قام بها الملك جورج السادس والملكة اليزابت لفرنسا في خلال الصيف الماضي . الزيارة كانت رسمية كما قلنا ، ولو انها جاءت في اوقات عادية غير الاوقات العصيبة التي تجتازها اوربا الآن ، لما كان لها من الشأن الخاص اكثر مما يكون لهذه الزيارات عادة . ولكنها جاءت بعد حادث مسخ تشيكوسلوفاكيا من الخارطة الاوربية فكانت الحفاوة البالغة التي قوبل بها رئيس الدولة الفرنسية في بريطانيا معززاً جديداً لما بين بريطانيا وفرنسا من آصرة ترتدّ الى وضعهما الجغرافي الذي تبع منهُ وتستند اليه قواعد السياسة الخارجية في كل بلد من بلاد العالم

ومما هو جدير بالذكر ان وزارة الخارجية البريطانية وضعت مذكرة سرية فاز بها ونشرها في سنة ١٩٢٥ رجل يدعى بولدرستن . وقد كانت هذه المذكرة تنطوي على ما يراهُ رجال وزارة الخارجية لازماً لضمان السلامة البريطانية وفي مقدمة هذه القواعد ان لا يتاح لدولة واحدة الاستيلاء والسيطرة على بحر المانش ومراقىء البحر الشمالي وانهُ يجب على الحكومة البريطانية ان تجتنب عداء فرنسا وبلجيكا وهولندة — ومن ورائها الدنمارك والمانيا — أو أية كتلة منها

لأنها تملك هذه المرافىء . وثالثاً يجب ألاّ يسمح لأية دولة كمحارب فرنسا أو بلجيكا بغزو هذه المناطق وإقلاق الحالة الراهنة فيها مما يعرّض بريطانيا للغزو الجوي . ولذلك تقتضي شؤون الدفاع الامبراطوري التفاهم مع فرنسا وبلجيكا . وهذا يقتضي من بريطانيا ضمان سلامة هذه الأراضي وعدم وقوعها في أيدي دول أخرى

هذا الموجز اليسير لتلك المذكرة الخطيرة يبين ما بين فرنسا وبريطانيا من آصرة ترتدّ الى الوضع الجغرافي ، والمستنبطات الحديثة في فن الطيران الحربي . وسياسة كلٍّ من فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية ، تشهد — على الرغم مما شجر بينهما من الخلافات — بأن هذه القاعدة لم تنسَ في أحد البلدين ، بل انها عززت بمختلف التصريحات ، وأشهرها تصريحات ايدن ودلبوس من نحو سنتين ، وتصريحات تشمبرلين وبونيه من نحو شهرين

ومن أظهر مظاهر الحفاوة التي استقبل بها المسيو لبران في لندن ، استقباله في قصر وستمنستر ودار البرلمان التاريخية ، وهذه هي المرة الاولى التي يستقبل فيها رئيس دولة اجنبية في هذا القصر ، والغالب ان مغزى الاستقبال الرمز الى تمسك الدولتين بالاوضاع الديمقراطية في بلادها ، لانها في اعتبار الشعبين صفوة التراث الذي فازت به الكرامة الانسانية بعد نضال طويل خلال عصور التاريخ . ومما تحسن الاشارة اليه ان اللغة الاولى التي استعملت في هذه الدار التاريخية ، كانت اللغة الفرنسية وذلك على أثر الفتح النورمندي لانكلترا في القرن الحادي عشر

وعلى الرغم من ان الزيارة كانت رسمية ، فأنها أتاحت للمسيو بونيه وزير خارجية فرنسا ، الذي صحب رئيس الجمهورية ان يتصل بأقطاب انكلترا في خلالها ويتداول معهم في تطور الحالة الدولية . ويقال ان من احاديثه هذه ما اثار مشكلة في انكلترا يبعث موضوع التجنيد الالزامي من مرقده وما يقال عن انقسام الرأي حياله

[وبعيد عودة المسيو لبران من زيارته الرسمية لانكلترا جدّد انتخابه لرآسة الجمهورية في ٥ ابريل]

المشكلة الجبرلتارية ترتسم

في اوائل هذا الاسبوع بدأت ترتسم في افق السياسة الدولية الاوربية خطوط مشكلة جديدة من القدر الاول . وهذه الخطوط تزداد وضوحاً كل يوم . فعنى بذلك مشكلة بولندة ازاء الربع الثالث

كانت الانباء قد وردت في اواخر الاسبوع الماضي ان بولندا قد أبت الانضمام الى التصريح المشترك الذي اريد اصداره باسم فريق من الدول عزتهُ حوادث تشيكوسلوفاكيا . وهذا الرفض

من جانب بولندة معقول . لانها واقعة على حدود الريخ الشرقية . وحاجزها المشهور يفصل جسم الريخ عن روسيا الشرقية وفيها اقلية المانية غير يسيرة . حالة ان المانيا آخذة في التوسع شرقاً . فاذا وقفت بولندة موقفاً تتمم منهُ رائحة العداء ، فقد يكفي ذلك عذراً لاثارة مشكلات تبعث على القلق حقًّا

ثم جاءت انباء مستفيضة في صباح الثلاثاء (٢٨ مارس) عن مطالب المانية من بولندة خاصة بمدينة دانتزج والممر البولندي . نعم ان ما قيل عن ارسال بلاغ نهائي المانى من برلين الى وارسو كذب ولكن جاء بعد ذلك ان هناك اضطرابات في بولندة وان الصحف الالمانية تقول ان الاقلية الالمانية في بولندة ساءها البغاء ، وان الامر كاد يفلت من يد ولاة الامر او انهُ افلت فعلاً وفي هذه الاقوال نذير بان نواحي من موقف بولندة مطروحة على بساط البحث في برلين . بل ان برقيات مساء الاربعاء (٢٩ مارس) تعترف بأنهُ نشأت في برلين مشكلة تعرف باسم «المشكلة البولندية»

وسبب ذلك انهُ لما اذنت دولة بولندة على اثر انتهاء الحرب الكبرى — وهي دولة سكانها يربون على الثلاثين مليوناً — رؤي ان يكون لها منفذ على البحر . فأعطيت منطقة تخترق المانيا الى ساحل بحر البلطيق ، وتشمل مدينة دانتزج المشهورة . واطلق على هذه المنطقة اسم الممر او الممر البولندي . هذه المنطقة تخترق المانيا وتفصل روسيا الشرقية عن جسم الريخ فلا اتصال بين المانيا وروسيا الشرقية الا عن طريق البحر والا عن طريق سكك الحديد التي تجتاز الممر البولندي وفقاً لقواعد اتفاق خاص

اما دانتزج فقد جعلت مدينة حرة لها حكومتها المحلية ولكنها جعلت جزءاً من النظام الاقتصادي البولندي بحسب معاهدة عقدت بين المدينة والدولة . وعلاوة على هذا وذاك منحت بولندة منطقة كبيرة من ولاية بيلزيا ، على اثر استفتاء غير حاسم ، وهذه المنطقة غنية بالمناجم والصناعات

اما الآن وقد ضمت النمسا وبوهيميا ومورافيا ومنطقة ميمل الى الريخ ودخلت سلوفاكيا في حمايته واستشعر قوتهُ العظيمة وصولتهُ التي تحاذر فلا يعدان يطالب بضم مدينة دانتزج وبحقوق في الممر البولندي تضمن لهُ الاتصال المباشر بروسيا الشرقية . وقد جاء في البرقيات ان الريخ في حاجة الى مثل هذا الضمان حتى يتمكن من ارسال المدد الى بروسيا الشرقية ، المنفصلة عنهُ بالممر المذكور ، في حالة استهدافها لاعتداء من الشرق . ولمشكلة بولندة ناحية اخرى تتصل بما يقال عن انية على انشاء دولة اوقرانية مستقلة تحت حماية الريخ ، ولكن المجال لا يتسع لتفصيل ذلك وهي على كل حال ليست من النواحي التي تقتضي المعالجة السريعة الآن

القاهرة : ٣٠ مارس ١٩٣٩

— ١ —

التقلب في سياسة بريطانيا الخارجية

في بحار الارض نوعان من التموجات ، النوع الاول يشمل التموجات السطحية من تجعد صفحة الماء بهبوب النسيم الى الأمواج الكبيرة بهبوب الرياح . ولكن هذه التموجات قلما تتعدّى عمقاً معيناً من سطح الماء . والنوع الثاني يشمل التيارات العميقة القوية التي تسير في الأغوار . وكذلك بحار السياسة . تهبُّ عواصفها فتثير أمواجاً على السطح تتفاوت خفاً ثم تسكن العواصف فتهدأ الامواج . ولكن التيارات السياسية القوية تسير في ما دون السطح ، وتتصل بطبائع الأمم وتربيتها ومثلها السياسية والاجتماعية وموقعها الجغرافي . فتبيُّن هذه التيارات لازم لفهم اتجاهات السياسة الأصيلة ، لأن الحكم بالاعتماد على الحوادث المنفردة ، والامواج السطحية قد يفضي بنا الى الخطأ

وقد حدث في الأسبوع الماضي (٧ — ١٣ ابريل) حادثان ، اذا أخذا بحدّ ذاتهما كان لهما بعض الشأن ، ولكن اذا أخذا على أنهما دليلان على تيارين عميقين او اتجاهين أصيلين في شؤون الأمم وسياساتها ، برز ما لهما من المقام واتضح ما يعلق بهما من خطر الشأن

وقد حدث الحادثان في يوم واحد . نعني يوم الجمعة الماضي (٧ ابريل) . أما الحادث الاول فانتهاء زيارة الكولونيل بيك وزير خارجية بولندة لانكلترا . وأما الثاني فتجمع القوات الايطالية أمام ساحل البانيا وضربها ثغوره ونزولها في احدها

فالحادث الاول اذا أخذ على حدة ، كان كالتجعد اللطيف على سطح الماء يحدثهُ نسيم عليل. ذلك أن رجال السياسة جروا في هذا العهد على وجهٍ خاص ، على الزاور للاتصال الشخصي ، لان مقابلة واحدة بين وزيرين مسؤولين ، قد تغني عن مفاوضات طويلة . ولكن رحلة الكولونيل بيك إلى انكلترا ، جاءت على أثر تصريح خطير الشأن أدلى به المستر نفيل تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية ، فتقرَّر فيه قاعدة في سياسة بريطانيا الخارجية ، طالما اتسع الساسة الانكليز عن الاخذ بها . ذلك أنهُ لما بدا في الأفق الدولي ، ان بولندة قد تتعرَّض من جهة جارتها الغربية الكبيرة — أي ألمانيا — لضغط قد يؤثر في استقلالها صرَّح المستر تشمبرلين بأن الحكومة البريطانية تتعهد بنجدة بولندة اذا تعرضت لعدوان . ونصُّ التصريح الذي ألقاه المستر تشمبرلين في هذا الموضوع كما يلي :

« يعلم المجلس ان هناك مشاورات دائرة الآن مع حكومات أخرى . ولكي أوضح موقف حكومة جلالة الملك على أوفى وجه ، في خلال ذلك ، عليَّ ان أنبيء المجلس بأنهُ اذا حدث

في خلال هذه المدة ، عمل ما من شأنه تهديد استقلال بولندة تهديداً تحسبهُ الحكومة البولندية ان مصالحها الحيوية تقضي بمقاومته بقواتها الوطنية ، فحكومة جلالة الملك تشعر حقاً عليها ان تمد الحكومة البولندية فوراً بكل التأييد الذي في مستطاعها . وقد أعطت الحكومة (اي البريطانية) حكومة بولندة تأكيداً بهذا المعنى . وأضيف الى ما تقدم ان حكومة فرنسا أذنت لي في ان اصرّح بأنها تقف نفس الموقف الذي تتخذه حكومة جلالة الملك »

ما مغزى هذا التصريح الخطير ؟

مغزاه انهُ خالف مبدأ من المبادىء العريقة في سياسة بريطانيا الخارجية . بل اضاف اليها مبدأً جديداً . ذلك ان السياسة الخارجية البريطانية امتنعت قبل نشوب الحرب الكبرى عن ان تقطع عهداً حاسماً كهذا العهد الذي قطعتهُ الآن ، من حيث صلتها بفرنسا جارتها المتصلة بها بحكم الوضع الجغرافي . ثم انها امتنعت عن قطعه بعد انتهاء الحرب الكبرى الى عهد قريب . فمع ان انكلترا عنيت بعد الحرب الكبرى ، بما يضمن السلامة والاستقرار في غرب اوربا . واكبر مظاهر هذه العناية الضمان المشترك للحدود الالمانية الفرنسية والالمانية البلجيكية المنطوي في معاهدة لوكارنو المعقودة سنة ١٩٢٥ . ثم في تصريح بلدوين بأن حدود بريطانيا على نهر الرين. فلما نقضت معاهدة لوكارنو صرّح المستر ايدن اولاً ثم المستر تشمبرلين من أشهر بأن الدفع عن فرنسا وبلجيكا اذا كانتا هدفاً لاعتداء غير مستفزّ ، من القواعد الاساسية التي تقوم عليها سياسة بريطانيا الخارجية . وهذه القاعدة ، متصلة بالوضع الجغرافي في تلك الرقعة من اوربا ، والوضع الجغرافي اصل تنبع منهُ وتستند اليه السياسة الخارجية

أما في شرق اوربا ووسطها ، فان بريطانيا ابت ، على اهتمامها بشؤونها ، ان توسع نطاق التزاماتها هناك بالاشتراك في اي ميثاق يعقد فيها او بضمان اي ميثاق من هذا القبيل . وما زلنا نذكر انهُ لما سعت فرنسا الى انشاء ميثاق خاص بشرق اوربا على نمط ميثاق لوكارنو الخاص بغرب أوربا ، باركت الحكومة البريطانية المسعى ، ولكنها ابت الاشتراك فيه او ضمانهُ . فلما كانت ازمة تشيكوسلوفاكيا في خريف السنة الماضية كان اهتمام بريطانيا بها عامًّا ، من حيث مغزاها الاوسع ، وعاقبتها البعيدة ، ولكنها لم تكن مقيدة شأن فرنسا بنجدة الحكومة التشيكوسلوفاكية اذا اعتدي عليها ، علاوة على كونها كانت ترى بعض الحق في مطالبة المانيا بضمّ ألمان السوديت في نطاق الريخ الاكبر . ثم ان بريطانيا اقترحت قبل اتفاق مونيخ وبعيدهُ ، ان تضمن مع غيرها من الدول سلامة تشيكوسلوفاكيا الجديدة ، ولكن هذا الضمان كان مشروطاً وشروطهُ لم تتحقق ، فلم يكن تنفيذ الضمان حتماً على لندن في مارس الماضي

اما الآن ، فالتصريح الذي القاهُ المستر تشمبرلين بخصوص سلامة بولندة واستقلالها ، يعني ان عهد « العزلة الباهرة » قد انقضى . وللمرة الاولى عنيت بريطانيا مقدماً ما تفعل في حالة كذا وأخذت

على عاتقها عبوداً عسكرية في شرق اوربا . وكذلك امتدت حدودها من نهر الرين ، الى ضفتي نهر الفستولا . والغريب في هذا كله ، في هذا الانقلاب التام ، انهُ وزيتأييد اجماعي من الشعب الانكليزي والامبراطورية البريطانية ، والاحزاب والصحف على السواء . ويقول مؤرخو العلم السياسيون ، انهُ من النادر ان نرى في تاريخ الكون ، في اثناء السلام ، اجماعاً ووحدة ، على انحراف خطير في السياسة الخارجية ، كالاجماع والوحدة اللذين قوبل بهما هذا الانحراف

فكيف نفسّر ذلك ؟ ان الجواب في رأينا يرتدُّ الى نفسية الشعب البريطاني وتقاليده . فهو شعب متأثر بتقاليد ابتعاده عن اوربا — لان الفاصل بينها بحرٌ — وذلك قبل اختراع الطائرات الحربية ، وشدة الاعتماد على الاسطول البريطاني في الدفاع . وهذا الابتعاد هو ما يطلق عليه في تاريخ بريطانيا السياسي ، اسم « العزلة الباهرة » او « المجيدة » Splendid isolation ثم ان الجمهور البريطاني كان يعتقد ان في معاهدات الصلح نواحي شديدة الجور على المانيا يجب ان تصحَّح . ويضاف الى هذا انهُ من اشق الامور ان نفهّم شعباً كبيراً متأثراً بتقاليد العزلة ، مدى العواقب التي يسفر عنها عملٌ معيَّن في بلد بعيد كتشيكوسلوفاكيا اذا وقع ضمن نطاق النفوذ الالماني . لذلك كان اتفاق مونيخ ، وبتر تشيكوسلوفاكيا بضمّ مناطق السوديت الى المانيا . ولكن لما حدثت حوادث تشيكوسلوفاكيا الاخيرة في منتصف مارس الماضي ، وبدت في الجوّ نذرٌ تدل على ارتسام مشكلة بولندية ثانية في الافق الدولي ، تغير الموقف . فالشعب البريطاني مشهور في تاريخه ، بأن المسائل التي لها مغزى ادبي تستثيرهُ ، وكأنهُ يحسّ بالأدبي بدرك مغزاها ، ولو كان لا يفهم نواحيها التي تتعلّق ببلدان لا يعرفها معرفة حية ، ولا يقدر قيمتها كحجر من الاحجار المتناثرة على رقعة الشطرنج . والمسألة كما تبدو لهذا الشعب الآن ، على ما تبسطها صحفهُ المسؤولة ، وبقلم كاتب كان يدعو الى التعاون مع المانيا وايطاليا عندما كانت هذه الدعوة غير محبَّبة ، هي هذه : — « ان السلام على الارض غير منفصل عن الحرية الانسانية . فالتهديد الموجّه الى هذا التراث الانساني ، تحدٍّ ، والتحدي يجب ان يقبل ، وقد قبل » . والامل الوحيد الباقي ان يكون في ايضاح الموقف ما يدعو الى التريث . فقد وُجّه اللوم الى بريطانيا لانها لم توضح موقفها في سنة ١٩١٤ وقيل انهُ لو عمدت الى توضيحه لكان هناك امل في اجتناب تلك الكارثة

هذا هو التصريح من حيث مغازيه ومراميه البعيدة . وقد كان عند القائه موفقاً ، فلما جاء الكولونيل بك الى لندن دارت المفاوضات على اساسه بقصد تحويله من تصريح موقت صادر من جانب واحد الى تصريح متبادل ابوابه مفتوحة لدخول الدول التي ترى فيه ضماناً دفاعيًّا لاستقلالها ويلوح مما نشرته الصحف ان المرمى قد اصيب

وقد نقلت الينا البرقيات العامة — ونحن نكتب هذه السطور مساء الاربعاء (١٢ مارس)

وصباح اليوم (١٣ مارس) — ان سفير بولندة في برلين عاد الى عاصمة بلاده حاملاً طلبات المانيا من بولندة وهي تسوية مسألة دانتزج طبقاً لرغبة الألمان، وشق طريق للسيارات خاص بالمانيا عبر الممر البولندي وتعديلات أخرى خاصة بأراضي سيليزيا العليا وما يجاورها من الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية. ولا نعلم مبلغ هذا من الصحة. فاذا صح فعلى الحكومة البولندية ان تقرر ما التسوية التي تتفق ومصالحها الحيوية واستقلالها، ولكنها مهما يكن من أمر فانها ستدخل المفاوضات الخاصة بهذه المطالب وهي واثقة بأنها اذا هدد استقلالها ورأت من مصلحتها الحيوية مقاومة هذا التهديد فلن تقف وحدها. هذا من ناحية زيارة الكولونيل والتصريح البريطاني، ودلالتهما على اتجاه جديد في تيار السياسة الخارجية البريطانية.

احتلال البانيا

وإذ كان الكولونيل بك يودع مستقبليه في لندن صباح الجمعة الماضية (٧ ابريل)، كانت ايطاليا قد حشدت قوات كبيرة بحرية وجوية وبرية على سواحل البانيا، وضربت ثغورها وأنزلت قواتها جندها في البر بعدما انكرت — على ما روي — أنها تنوي ذلك

والبانيا دولة صغيرة يعد أهلها مليون نسمة تقاسم من المسلمين، وهي واقعة على الجانب الشرقي الجنوبي من ساحل البحر الادرياتيكي تحدها من الناحية البرية يوجوسلافيا واليونان. وقد اعترف باستقلالها في سنة ١٩١٣ ولكن الفوضى سادتها خلال الحرب الكبرى. فلما وضعت معاهدة لندن السرية سنة ١٩١٥ وهي المعاهدة التي دخلت ايطاليا بمقتضاها غمار الحرب الكبرى الى جانب الحلفاء وعدت ايطاليا بأن تمنح مرفأ فالونا — وهو من أحسن المرافىء على ساحل البانيا — وان يعهد اليها بأن تتولى شؤون البانيا الخارجية

والواقع ان جنوداً ايطاليين كانوا قبلا محتلين البانيا عند نهاية الحرب الكبرى. إلا أن الجيش الايطالي لم يحتفظ بهذا الاحتلال، لما بدا في حياة ايطاليا بعيد الحرب من الاضطراب، ولمقاومة بدت من ناحية فريق من الشعب الالباني ومن اليوجوسلافيين الى الشمال. وكان اليوجوسلافيون يعتبرون وجود قوات ايطالية على الساحل الشرقي من البحر الادرياتيكي خطراً على سلامة دولتهم، لان كل سواحل دولتهم واقعة على ذلك البحر، والساحل الايطالي يناوحها من الغرب، فانسحبت الجنود الايطالية من البانيا سنة ١٩٢٠ وانتظمت الحكومة الالبانية في عصبة الامم. ولكن ذلك لم يحل مسألة اخرى تتعلق بالبانيا وايطاليا. فقد زعمت ايطاليا ان الحلفاء وعدوها بالاعتراف بمكانة خاصة لها في شؤون البانيا. فلما اجتمع مؤتمر السفراء، وهو الذي خلف مجلس الحلفاء الاعلى، في شهر نوفمبر من سنة ١٩٢١ بباريس وافق على قرار خاص بهذا الموضوع جاء فيه انهُ اذا استهدف استقلال البانيا الى خطر ما، فان الحكومات البريطانية

والفرنسية وايطالية تبث بعلبات الى ممثليها في عصبة الامم ليقترحوا على العصبة ان يعهد الى ايطاليا بالمحافظة على هذا الاستقلال . والواقع ان هذا القرار لم يكن نداً سنوي عملي . لانهُ اذا هدّد استقلال البانيا فالغالب ان هذا التهديد يجيء من عبر البحر الادرياتيكي ولكن ايطاليا فسّرتهُ بانهُ اعترافٌ لها دون غيرها ، بأن البانيا منطقة نفوذ خاصة بها ، وهذا التفسير كان مصدراً من مصادر القلق التي سادت علاقات ايطاليا بيوجوسلافيا الى عهد قريب . وبعد ذلك عقدت معاهدات بين البانيا وايطاليا وعدّلت غير مرّة ، ولكنها كانت على كل حال مما يمكن تقدم ايطاليا في البانيا . ولايطاليا في البانيا مصالح مالية واقتصادية غير يسيرة في مقدمتها القروض التي عقدتها حكومة روما لحكومة تيرانا — ويقال انها تبلغ ٢٠٠ مليون فرنك ذهب — ثم هناك البترول الذي يستنبط من مناطق في البانيا ولاسيما منطقة برات

الاّ ان المصالح الحربية — الاستراتيجية — تفوق المصالح الاقتصادية والمالية شأناً . ونظرة واحدة الى خارطة البحر الادرياتيكي توضح ذلك . هذا البحر له ساحلان غربي وهو ساحل ايطاليا وشرقي وهو ساحل يوجوسلافيا في الشمال وساحل البانيا في الجنوب . والساحلان الغربي والشرقي يلتقيان عند ثغر تريسته الشهير . واذا اخذنا بتشبيه الجانب الجنوبي من شبه الجزيرة الايطالية بالقدم ، فالساحل الالباني يناوح عقب القدم الايطالية . وبين الساحلين مضيق ضيق يدعى مضيق اوترانتو لا يزيد اتساعهُ على اربعين ميلا . فاستيلاء ايطاليا على البانيا يمكّنها من ايصاد هذا المضيق في وجه من تشاء ، فتغدو متحكمة او قادرة على التحكم بمصير ومصير الدول التي على ساحله — اي يوجوسلافيا

ويوجوسلافيا يهمها كل ذلك من الناحية الاستراتيجية ايضاً . لان استيلاء ايطاليا على البانيا يجعل يوجوسلافيا مطوقة بدول كبيرة تستطيع التأثير في مصيرها وكيانها السياسي — الى الشمال المانيا وايطاليا . والى الغرب البحر الادرياتيكي وهو بحيرة إيطالية . والى الجنوب البانيا الايطالية . اما الى الشرق والشرق الجنوبي ، فلها حدود مشتركة مع رومانيا وبلغاريا واليونان

وقد كان الباعث على هذه الحلة « اقرار السكينة والاستقرار والحرية في البانيا » و« حماية الايطاليين » على ما جاء في بعض البيانات الرسمية الايطالية ، وهذا لا ينهض عذراً كافياً ، ولا سيما اذا نظرنا الى ان النفوذ الايطالي كان سائداً البانيا وبقليل من المفاوضة والحزم كان في الوسع الوصول الى تحقيق ذلك . وعلى كل حال لدولة تعد مليون نفس بين شيوخ ونساء واحداث واطفال ، ما كانت تحتاج في إخضاعها الى هذه القوة الحربية العظيمة التي قوامها على ما جاء في البرقيات ١٧٠ قطعة حربية واربعمائة طائرة والألوف من الجيوش

وإذن فيجب ان يلتمس التفسير الحقيقي لذلك في نواح أخرى . هنا نجد رأيين . فأصحاب الاول يقولون ان خطة انشاء كتلة لصدّ الاعتداء — وهي خطة تكاد تكون في صميمها عوداً

لى السلامة الاجتماعية — التي سارت عليها بريطانيا على أثر حوادث تشيكوسلوفاكيا في منتصف مارس الماضي ، كانت الباعث على هذه الحملة الكبيرة التي دول البلقان عن الافهام اليها . ويضيفون الى هذا ان الاستيلاء على البانيا يتيح لايطاليا ومن كان لها حليفاً قواعد بحرية وجوية ذات شأن استراتيجي عظيم لتوسع في البلقان . ثم يضيفون الى ما تقدم ، انهُ كان لا بدَّ لايطاليا من ان تكسب شيئاً يوازن ويوازي بعض ما كسبتهُ شريكتها في المحور ، فلا تبقى راضية بما كان حتى الآن قسمة ضيزى بينهما . وأصحاب الرأي الثاني — وهو أقلُّ ذيوعاً واضعف احتمالاً — أن إيطاليا فعلت ما فعلت ليكون لها في البلقان — وهو المنطقة التي تحسبها ميداناً طبيعيًّا لتوسعها الاقتصادي والثقافي — ما يمكنها من ان توازن به توسع شريكتها فيه

والمشكلة التي اثارتها الغزوة الالبانية ، انما هي جزء من مشكلة اوسع نطاقاً واعظم شأناً من مشكلة بلاد احتلت وضمَّت ، هي مشكلة توازن القوى في البحر المتوسط . فايطاليا ترى ، أن البحر المتوسط حياتها . وتردَّد صيحة انكلترا وفرنسا بقولها انهُ شريان حيوي في حياتهما كذلك . وانهما لم تفكرا مطلقاً في انكار حق ايطاليا في الحياة . وعلى هذا الاساس عقد اتفاق روما بين انكلترا وايطاليا في شهر ابريل من السنة الماضية ، عليه اليوم سنة الا ثلاثة ايام . وذلك شاءت الاقدار من ايام بان غزوة البانيا وبقاء الجنود الايطاليين في اسبانيا ، وما يحتمل ان ينطوي عليه الاتجاه الجديد في البلقان من تهديد لاستقلال بعض دوله ، قد تحمل انكلترا وفرنسا تشعران على نقض اتفاق روما . ولكن ايطاليا اثبتت حكومة اليونان بأن لا مطمع لها فيها . وانها محترمة استقلالها وحدودها . وأثبتت حكومة لندن ان عملها في البانيا مقتصر على البانيا دون غيرها . ولذلك ينتظر ان يلقي المستر تشمبرلين هذا المساء تصريحاً في مجلس النواب البريطاني ، يحدد فيه ما تعنيه الحكومة البريطانية بالحالة الراهنة في البحر المتوسط ، وهي الحالة المقصودة في اتفاق روما . وكذلك كان من المنتظر ان يلقي تصريحاً بيان ما تراهُ بريطانيا من مصلحة حيوية لها وللسلام في المحافظة على استقلال دول البلقان وقد يخص دولة اليونان بالذكر . وكان من المنتظر كذلك أن يلقي المسيو دالادييه رئيس الوزارة الفرنسية بياناً بهذا المعنى . والمهم في جميع هذه التصريحات من الجانبين السؤال « الى اي مدى يصح الاعتماد عليها والاخذ بها » [وقد القى البيان فعلاً بعد ظهر ١٣ ابريل ، وعقتضاها شمل الضمان البريطاني الفرنسي استقلال رومانيا واليونان]

وقد ختم يوم امس (١٢ ابريل) بعرض تاج البانيا على ملك ايطاليا من قبل الجمعية التأسيسية الألبانية وبأنباء من الخارج والداخل تدل على نشاط حربي عظيم استعداداً للطوارىء . ولكن الحالة لا تبعث على القنوط ، ولا يزال في الميدان متسع للحكمة والعقل

القاهرة : ١٣ ابريل ١٩٣٩

باب المراسلة والمناظرة

الحقيقة

ما من شك أن اللغة العربية هي أدوم اللغات على الغير وأسلمها تعبيراً عن الرأي وأقومها في صوغ العبارات وأسلسها في سرد المقال وأصوبها في التئامها مع روح الكتاب ، بل هي خير لغة تنقل للشرق عن الغرب ما لديهم من فلسفات وعلوم ، مجهود عباقرتهم وعقول جبابرتهم وذلك لتضمنها كل أصناف التعبير في أصولها وجوهرها وملكتها ومعانيها

ولست اتجه فيما ورد اليَّ اليوم من وصف ونقد وتحليل الى التحيز لطرف ما خاصًّا بكتاب « هكذا تكلم زرادشت » بل كلمة الحق والانصاف أسطرها فما أحسن ما أبدع وما أبدع ما أحسن من متانة وخطرات وثابة ادَّى بها الامانة التي في عنقه خير اداء والقت العروبة حكمتها في جنانه واستولى حسن التصرف على لفظه ومشاعره فقاده الى الاصل كما احسن القيادة فأخرج كتاب « للكل ولا لأحد » خير اخراج اذ أدرك الناشر بفطرته السليمة وروحه الملهمة ما لفريدريك نيتشه من نزعات مختلفات وكأني به وهو يرسم خطواته ويقفي أثره أحد تلاميذه المعاصرين ومن قاسموه حياته وشاطروه نزعاته فنقل الينا من نبع وحيه وريشة المصور الفنان صورة حية لعقلية العبقري فلم أر انحرافاً عن حقيقة ولم يمل عن وجه الرأي ولم ينزع الى تقليد ولم يجنح الى تحريف ولم يغره ناقل ولم يخدعه كاتب ولم تتركه مشورة في حل طلاسم ما خفي على المترجم حله كعرضه الأمر على أستاذ من الاساتذة الفطاحل في حل رموز نشيد الصحراء حتى تقمصت روح زرادشت تحمل رعد قلبه الحر وانانه الالهية فاشرق البيان اشراقاً وظهر نور نفس زرادشت القوية في سفر جليل ثمرة مجهود قيم ذخر للأدب يسعد بقراءته ابناء العروبة

ولو استرخصنا « هكذا تكلم زرادشت » في كلمة التمهيد التي صدر بها ، كابناء شرق واحد وتخلينا عن الغل في القلب لشاهدنا آية الابداع والتحليل وللمسنا كنه الاطلاع ودقة المترجم لدراسة فلسفة زرادشت التي بسطها على الصفحات بقلم فياض وتفكير خصب وفؤاد حياش

بالاطلاع تاجي فيها العواطف الكمينة والاسرار الدفينة التي كانت تسيطر على روح وجد نيتشه فتئه مثل الساحر الأخاذ الذي يجلو الحقيقة سافرة للعيان

***

ولا يفوتني بعد ما تقدمت به أن أعرج في هذه الكلمة على ما جاء في عدد المقتطف الاخير من نقد للاستاذ حبيب الزحلاوي لترجمة زرادشت اذ ورد في عبارته « أن المترجم الاستاذ فيلكس فارس قد مشى نيتشه الجبار السلاق وآثار الاعياء بادية في خطواته » ويظن الناقد أن هذا القصور قد نشأ عن أن الاستاذ « لم يقرأ من نيتشه بعض كتبه المشهورة كفجر الاصنام وما وراء الخير والشر الخ »

وكم كنت ارجو لو راجع الناقد نقده قبل نشره وكفانا مؤونة مناقشته فيما أثاره من حرج وخلط في مؤلفات نيتشه اذ ان نيتشه له مؤلف « الفجر » فأم بنفسه والترجمة صحيحة لمؤلف نيتشه انواردة في نقد الناقد « غسق الاصنام » لا « فجر الاصنام » اذ في هذا المؤلف تناول نيتشه انتهاء عهد الاصنام والفارق بين الفجر والغسق فارق عظيم كما بين نسخ منهُ النهار

ولذا يتضح لنا انهُ كان الاحرى به أن يقرأ مؤلف « هكذا تكلم زرادشت » باللغة الفرنسية على الاقل ان لم يكن ملمًّا باللغة الالمانية ولو قرأه بالفرنسية لرأى ما رأينا من ان المترجم سار من أول مراحل زرادشت الى آخرها بخطوات قوية وباسلوب زاده في مواضع كثيرة جلاء وروعة

واذا تقدمنا نحن بهذا القول فانما نقدمهُ عن عقيدة صادقة لقراءتنا مؤلفات عديدة لنيتشه وغيره من الادب الالماني بلغته الاصلية وأني اسأل الله ان يسدد خطوات العاملين ويكثر لنا من الفوارس الأولى يصولون ويجولون ، يربط الحلقات العلمية والادبية بين الغرب والشرق ورحم الله امرءا سكت فسلم وقال فغنم

الدكتور

مصطفى حامد نصر

***

جاءنا من الاستاذ فيلكس فارس مترجم زرادشت والاعتراف انهُ يشكرنا لتصريحنا بعدم اطلاعنا على نماذج نقد الاستاذ حبيب الزحلاوي وانهُ هو يصرح بدوره بان الناقد أطلعه على تأثمة فيها بعض ألفاظ قال أنها مخالفة للاصل فطلب اليه نشرها ليرى رأيه فيها لان كتاب الاعترافات الفرنسي لم يكن تحت يده ليتمكن من المقابلة فهو والحالة هذه لا يزال يعتبر النقد الذي نشر عبارة عن تقدير شخصي لا يستند الى أي دليل ولا فائدة منه ويسعنى لو أتيح لهُ

الاستفادة من نظرات صديقه الزحلاوي ويرجوه ان يرسلها اليه اذا امتنع نشرها في المقتطف لضيق المقام

ورد لنا ايضاً مقال من حضرة الدكتور مصطفى حامد نصر عن ترجمة زرادشت يقول فيه انهُ طالع مؤلفات نيتشه جميعها بالالمانية وهو يرى ان الاستاذ فارس قد أبدع في تحليل فلسفة المؤلف في مقدمته الرائعة كما انهُ سار من أول مراحل زرادشت الى آخرها بخطوات قوية وأسلوب زاد الاصل في مواضع كثيرة جلاء وروعة وهو المقال المنشور في اول هذا الباب

حول مقال

(خليل مطران)

سيدي رئيس تحرير المقتطف

اطلعت على التعليق الذي نشره الاستاذ عبد الرحمن شكري على ما كتبهُ الدكتور أدهم خاصًّا بهِ وبي . ولا اريد أن أخوض في موضوعه بعد أن أعلنت في سنة ١٩٣٧ اعتزالي الأدب النثري ، وعلى هذا فلا شأن لي بما يكتبهُ الدكتور أدهم أو غيره من بحوث عن الأدب المعاصر ولا يُعَدُّ سكوتي عنها إقراراً لما فيها ، كما أني لا اعرف أني نشرت شيئاً جديداً في هذا الموضوع أو أن أحداً من اصدقائي — على ما يقول الاستاذ شكري — صنع ذلك

وتفضلوا بقبول تحيتي واحترامي المخلص

الاسكندرية في ٤ أبريل سنة ١٩٣٩ احمد زكي أبو شادي

استدراك

في مقالة «المروءة ، مصدر مطوي » للدكتور بشر فارس ، مقتطف ابريل ١٩٣٩

ص ٤٦٩ س ٧	اقرأ :	ميكائيل	بدلاً من : ميخائيل
ص ٤٧٠ س ٢١	« :	[وتركك لواليك؟]	« « : وتركك لواليك ؟

باب العجائب العلمية

عجائب معرض نيويورك العالمي

آلة تكلم وتغني وتفرد بأصوات كهربائية

ممثلة الاصوات البشرية

بما انه سيحتفل في يوم الاحد ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٩ بافتتاح المعرض العالمي في نيويورك ترأينا ان نصف لقرائنا بعض غرائب المخترعات الكهربائية والعلمية وغيرها من مشتملاته مبتدئين في هذا الجزء من المقتطف ، بالآلة الكهربائية « فودر » التي تمثل الصوت البشري حديثاً وغناء ، وسنردفها ان شاء الله بسائر عجائب ذلك المعرض الفذ — عوض جندي

قالت مجلة العلم العام الاميركية في فبراير سنة ١٩٣٧ ما يأتي : —

تذرع بالكهربائية ، مهندسو المختبرات العلمية في شركة بل التيفونية بمدينة نيويورك، الى ضمّ الاصوات الصناعية بعضها الى بعض، وجعلها صوتاً واحداً يكاد يحاكي الصوت البشري. ويقوم ذلك التوفيق الصوتي بمعاونة دائرة كهربائية لاسلكية لاتطة محكمة ، اخترعت اصلاً لدراسة وسائل النطق البشري والوقوف على كنهها

فاذا ما تكلّم امرؤٌ امام ذلك الجهاز ، حلّل الجهاز نغماته الى العناصر المؤلفة لكلامه ، وجعل تلك العناصر ، تسيطر على تيارات كهربائية ، تنبث من بطاريات تخزين، الى الاجزاء التي يتركب منها الجهاز المؤلف للنطق ، وهو الذي يتولد بذاته كل عنصر . ومن ثمة تختلط الاصوات بعضها ببعض وتسمع من سمعة راديو

وبما ان عملية توليد الصوت ، الصناعي قد تكون مستقلة كثيراً او قليلاً ، عن الصوت البشري المحرك ، فيتسنى وضع الجهاز بحيث يغير المميزات ، مثل نبرة الصوت وارتفاعه ، فيمكن جعل الجهاز يجاري أي مغنٍّ مختلف النبرة ، في التوقيع فيتاح له ان يغني بمفرده أغنية مما ينشدها فريقان

ويرى المجربون أن بطاريات ذلك الجهاز، تحل محل الرئتين، وعناصره التي تولد النبضات، تشبه الاوتار الصوتية . وحينما تضبط دوائره الكهربائية ، تصبح مماثلة للخلايا الهوائية المرددة للصوت في الفم والمجاري الهوائية البشرية

وأسفرت هاتيك التجارب عن كون الكلام البشري ، المعتاد ، مؤلفاً اصلاً من نغمتين مختلفتين ، وكل منهما ليست موسيقية ولا مطربة ، بل ذات نبرة وارتفاع مميزٍ لها ولكنهما متى اختلطتا احداهما بالأخرى ، سمع الصوت البشري

ثم جاء في المجلة عينها في ابريل سنة ١٩٣٩ ما يأتي —

بيدرو

أو الآلة الالوفى الناطقة حقيقة

هي آلة لا نم لها ولا رئتان ولا حنجرة ومع ذلك تتكلم أتقن الكلام ، واسمها بيدرو الفودر Pedro the Voder وسيراها الزائرون لمعرض نيويورك وسان فرنسسكو العالمين ، المقبلين ، وذلك بين المعروضات الفنية التي ستعرض هنالك

وقوامها انابيب مفرغة من الهواء ودوائر كهربائية ، وهي من مخترعات مهندسي مختبرات شركة بل التليفونية وكان اختراعها ، تتاجاً تكللت به مجهودات العلماء منذ قرون في تقليد الصوت البشري

وتستعمل مديرة الآلة عند ازماعها الحديث بها ، مفاتيح مثلها في الارغن الصغير الذي كان يوضع في البيوت — وتؤلف المفاتيح من ١٣ مفتاحاً أبيض وأسود فاذا لمست مديرتها مفتاحاً او مفتاحين او اكثر منها استطاعت في كل مرة توليد جميع الاحرف المتحركة والساكنة التي يتركب منها الكلام

وفي الآلة مفتاح ينظم ارتفاع ذلك الصوت الصناعي الذي يخرج من مسمعة لاسلكية . وتحتوي الآلة ايضاً على دواسة تكيف في اثناء ذلك ، ترخيم الصوت بحيث تصح الجملة المؤلفة ، دالة على امر واقعي أو على استيضاح

ويحتاج المرء الذي يدير الآلة الناطقة الى زهاء سنة يقضيها في المرانة عليها حتى يجعلها تنطق بسهولة ، فتتكلم همساً او زعيقاً مقلدة الرجال او النساء او الاطفال . بأية لغة كلاماً واضحاً مفهوماً وذلك مع ضؤولة نبرتها الكهربائية

ويرى مخترعو هذه الآلة أنها تفوق الممثلة السينمائية البارعة في كشف الاسرار التي تؤلف منها أجهزة النطق البشري

وتتركب الآلة الفنية من أنبوبين مفرغين من الهواء ، يتوهان بتقليد النغمتين المؤلفتين للنطق البشري وتعني بهذا النوع الذي تحدثه الاوتار الصوتية عند النطق بأحرف العلة في اللغة الانكليزية مثل a و e و i و o و u الصحيح المتولد من النفس عند مروره بالفم والشفتين عند النطق بالاحرف الساكنة مثل s و t

وتقوم مفاتيح الآلة بتحريك مرشحات كهربائية تحوّل النغمة الاصلية الى اي صوت من اصوات الكلام المقصود بحيث يكاد يضارع تكييف المرء نفسه ليقوي بعض النبضات الكهربائية او النغمات المقلدة للاوتار الصوتية

وقد وصفانها تتقدم (صامتة الكلام الأولى) وذلك بالدوائر الكهربائية وقد كانت تختلف عن الآلة الجديدة بكونها لا تدور الا اذا تكلم فيها امرؤ . اما الآلة الحديثة المبينة لعملية الصوت واسمها بالانكليزية voice-operation demonstrator فقد اختصروها بكلمة voder اي بالاحرف الثلاثة المبدوءة بها الكلمات الثلاث مضافاً اليها المقطع الاخير من اللفظ الاخير . وقد اقتبس اسمها ايضاً من Dome Pedro دوم بدرو

الملابس اللبنانية القديمة التاريخية

في الجناح اللبناني بمعرض نيويورك

توفرت الادية اللبنانية الكبيرة الفاضلة السيدة افلين بسترس على دراسة الملابس والازياء القديمة اللبنانية في مختلف العصور وراجعت ما ورد في وصفها من فصول في كتب قديمة او صور ونقوش نادرة محفوظة في دور الكتب والآثار، ثم عنيت باعداد مجموعة نفيسة نادرة من هذه الملابس . بعضها مما أخذتهُ من دور الأسر اللبنانية العريقة ، وبعضها مما صنعتهُ من نسيج حيك في لبنان باشرافها وفقاً للصور والنقوش القديمة. فجاءت مجموعة ممتازة في جمالها وفي كونها جلت لتحول الملابس والازياء في لبنان من عهد الفينيقيين الى اواخر القرن التاسع عشر. وستعرض هذه المجموعة في الجناح اللبناني بمعرض نيويورك ثم يصنع كتاب يحتوي على صورها بالالوان، يسهل اقتناؤه على من يريدهُ تحفة في داره للزينة او للفائدة التاريخية . وعمل السيدة افلين بسترس جدير بكل اعجاب وثناء وهذا الحال لو عنيت هي وغيرها من سيدات الشرق الفضليات بحفظ ما يتهاوى بين ايدينا من مظاهر الحياة الاجتماعية كالاغاني والتقاليد وعادات الحفلات والاجتماعات في بلدان الشرق الادنى

والصورتان التاليتان تمثلان سيدتين لبنانيتين مرتديتين ثوبين من هذه الاثواب

الامبراطور البرازيلي الذي دهش حينما شاهد التلفون الذي اخترعه شركة بل الاميركية فصاح قائلا «ويحه انه يتكلم !!!»

وقالت مجلة خلاصة العلوم الاميركية في جزئها الصادر في مارس سنة ١٩٣٩ بعنوان آلة تتكلم وتغني ما يأتي :—

عرضت لأول مرة الآلة المسماة فودر وهي أولى الآلات الناطقة في العالم ، عرضاً عاماً على الجمهور ، أمام شهود من العلماء وذلك في معهد فرنكلين بمدينة فيلادلفيا . وتؤلفها أنبوبان مفرغان من الهواء يحدثان دوياً وهمهمة . وفي مقدور العاملة البارعة التي تتولى ادارتها ، بضغط مفاتيحها التي تشبه مفاتيح الارغن ، وكذلك بالدوس على دواستها بقدميها ، خلط الاصوات بعضها ببعض والسيطرة على ما يطرأ عليها من التحريف الدقيق ، وذلك على أسلوب الصوت البشري

وقد استعملت هذه الآلة الكهربائية ، «أوتارها الصوتية» اولاً في توليد الأصوات المفردة لحروف العلة ثم تدرجت منها الى الكلمات المفردة المقاطع ثم الى النطق بالجمل التامة فأدهشت المشاهدين الحاضرين

اخترعت الفودر Voder لتعرض في المعرضين العالميين المزمع إقامتهما في مدينتي نيويورك وسان فرنسيسكو ، وذلك ضمن معروضات المختبرات العلمية الخاصة بشركة تليفونات بل الاميركية . وأطلق عليها اسم فودر اختصاراً للكلمات الانكليزية الثلاث وهي Voice operation demonstrator فتمكنت بسهولة من تقليد أصوات الرجال والنساء والاطفال واستطاعت تقديم برنامج موسيقي اشتمل أيضاً على خوار الماشي ونعو الشياه وقباع الحمير وتغريد سائر انواع الشجر . وفي طوق الفودر ايضاً تقليد سائر أصوات الحيوانات الداجنة بلا عناء يذكر تبذله مديرتها

ويرى صناع المختبر العلمي الذين صنعوها برمتها من الاجزاء المستعملة كل يوم في اشغال التليفونات ، ما عدا مفاتيحها ، ان في وسع تلك الآلة القيام فعلاً بكل ما يأتيه الصوت البشري ، وذلك من توليد احد النبرات التي تؤلف من ٨٠ او ٩٠ نبضة ، الى النبرات العالية التي تؤلف من ١٠٠٠٠ نبضة وانها تستطيع الغناء ايضاً . وتستغرق ، العاملة التي تديرها ، سنة او اكثر حتى تحذق تحريك مفاتيحها وتتمكن من تقلد زمانها . اما اذا أريد جعل الفودر ، مغنية شجية الصوت ، فلابدَّ من انتقاء مديرة طالبات ذوق سليم في الاصوات الموسيقية وفوائدها . وتؤلف الفودر كما هي عليه ، في ردهة الخطابة في معهد فرنكلين ، من مفاتيح تكاد تضارع مفاتيح ارغن من الزي العتيق الذي كانت تزدان به أبهاء البيوت ومن صندوق يحتوي على مصادر الطاقة وهي الأنابيب المفرغة من الهواء ، ومضخمات الصوت ، وثلاث مسمعات لاسلكية ، على ان يحدد عدد هاتيك المسمعات طبقاً لحجم القاعة وضربا من الشؤون الفوضية . وتؤلف

مفاتيح الثودر من أحد عشر مفتاحاً أبيض ، عشرة منها تسيطر على المرشحات الكهربائية التي تستعمل للحصول على درجة الاهتزاز الملائمة . اما المفتاح الحادي عشر ، فيتحكم في رفع الصوت وخفضه وحتوي الثودر ايضاً على ثلاثة مفاتيح سود تولد اصوات الحروف الساكنة ، وقد جهز المخترعون الثودر بجهاز كهربائي يطابق نوعي اصوات الكلام البشري . اذ المعروف ان النوع الاول من الصوت البشري ، يتولد من انحام النفس في الفم ومروره بلسان وا ان والشفتين . وأن الهسهسة الخنوية على نبضات الاهتزاز تتولد من اضطراب مجرى الهواء . وتقوّى بعض هاتيك النبضات بتردد اصوت في تجويف الفم . وتلك هي الطريقة التي تؤلف بها أصوات الكلام جميعها حينما يتكلم المرء همساً او عندما يلفظ الاحرف s و sh و f

وفي الثودر هسهسة كهربائية ، وبعض مفاتيحها ، تستطيع مديرتها جعلها تكوّن تلك الاصوات ، وبالمفاتيح الاخرى تستطيع النطق بحروف الوقف الساكنة مثل b و d و k

وأتيح لثودر عند عرضها على الجمهور ، النطق بحرف العلة e ثم بالحرفين الساكنين ch وذلك بصوت النفس ثم طلب اليها ضم تلك الحروف الثلاثة بعضها الى بعض فركبت منها كلمة each الانكليزية . وداست مديرتها على الدواسة التي تغير نبرة الآلة فتلفظت بكلمة patience الصبر ثم ركبت منها بناء على طلب المشاهدين ، جملة مفيدة وهي الصبر ضروري Patience is necessary وقد قلدت ايضاً أزيز محرك الطائرة ، ودوي القاطرة . وترى مديرة الثودر ان الحروف التي يتعاص عليها لفظها هي h و r ولانها تلاقي اقصى الصعوبة في نطق كلتي hill و hurry

وبعد كتابة ما تقدم قرأنا في جريدة الاهرام في ١٨ مارس سنة ١٩٣٩ ما يأتي :—

آلة تتكلم وتغني

العجيبة الثالثة بعد الراديو والتلفزيون

نيويورك في ١٧ مارس (من مراسل الاهرام الخاص) :— اخترع ثلاثة من عمال المعامل الكهربائية التابعة لشركة التيفون ، آلة تحسن النطق كالبشر تماماً اطلقوا عليها اسم (ثودر) وجربوها لأول مرة امام رهط من العلماء اقترحوا عليها التلفظ بكلمات وعبارات مختلفة ففعلت . ولم تحصر مقدرتها على الكلام في اللغة الانكليزية فقط بل في جميع اللغات وهي تقلد اصوات الحيوانات وتحسن الغناء ايضاً الى حد معلوم

كانت تجربة هذه الآلة العجيبة في معهد فرانكلن بمدينة فيلادلفيا حيث ادهشت المشاهدين الذين سمعوها وستعرض في معرض نيويورك ومعرض سان فرنسيسكو . تتكلم هذه الآلة بواسطة أنبوبتين وتسيطر على لسانها أو ألسنتها ، عدة مفاتيح كمفاتيح البيانو تضغطها الانامل كما تضغط مفاتيح البيانو ولها مثلهُ دواسة للرجل تساعد على رفع الصوت

أو خفضه . وقد أدارتها في هذه التجربة فتاة بقيت ستة وستة أشهر تتمرّن لكي تحسن تكييف ما تريد من الآلة التفظ به

وكل أقسام الآلة — ما عدا المفاتيح — تماثل الادوات التي تستعمل كل يوم في الخدمة التليفونية . واسمها «فودر» مأخوذ من ثلاث كلمات وهي Voice operation demonstrator وكان اول ما تلفظت به الآلة حروف العلة . ولفظت باقتراح احد الحضور كلمة (الصبر) فاقترح عليها أن تجعلها عبارة ، فقالت « الصبر ضروري » ونطقت عدة كلمات عامية ثم لفظت كلمة انكليزية مؤلفة من ٢٣ حرفاً فخرجت من فمها بأوضح مما يستطيعه الشخص الذي اقترحها عليها . وقال رئيس شركة التليفون للذين سمعوا الآلة انها لا يوجد في جوفها كلمات على اسطوانات أو غيرها ، يدل على ذلك انها تلفظت بكلمات غريبة اقترحها عليها أناس ليسوا من الشركة

وقال ان هذه الآلة ستكون عوناً للذين يفقدون قوة الصوت او الكلام فيتكلمون بواسطتها

وقد أطلق بعضهم على هذه الآلة الناطقة لقب « بدرو » وهو مأخوذ من اسم « دوم بدرو » امبراطور البرازيل السابق الذي عندما تكلم بالتليفون لأول مرة عام ١٨٧٦ صاح مدهوشاً مبهوتاً وقال « يا الهي انهُ يتكلم » والذين سمعوا هذه الآلة في فيلادلفيا بالأمس ، قالوا قوله واستعاذوا بالله

إن هذه الآلة هي الأولى من نوعها في تاريخ العالم . والفتاة التي ادارتها كانت كأنها تعزف على البيانو او الأرغن فتضغط بأناملها المفاتيح البيض والسود ، التي تسيطر على الأصوات والاسقام المختلفة . وفي الآلة أداة تدار الى جهة معلومة عندما يراد منها ان تقلد صوت رجل او امرأة او ولد او هدير طيارة او قرقعة قطار حديدي

وبعد أن قلدت الآلة صوت الرجل وصوت المرأة ، شرعت في تقليد مدهش لثغاء الغنم ، وخوار البقر والماشية ، ونخير الحمير . ويقال أنها لا تتكلم فقط بل تحسن الغناء . ولا يبعد ان تبلغ في الاتقان درجة تؤهلها للغناء الرفيع في الأوبرا . انتهى ما رويتهُ الاهرام

ووصفت مجلة الميكانيكا العامة في جزء مارس سنة ١٩٣٩ هذه الآلة فقالت :—

الفودر هي الآلة الأولى من نوعها في العالم لصنع الكلام . وهي جهاز كهربائي عرض حديثاً . ويدور بضغط مفاتيح تكاد تشبهها في الارغنات القديمة التي كانت تزدان بها رداه البيوت . ويتاح لمديرتها البارعة ، إدارتها وذلك بضغط مفاتيحها إما مفردة وإما جماعة ، فتتمكن من جعل تلك الآلة تقوم بالمحادثة في الأمور الواقعية او الاستفهامية او التأكيدية

وتؤلف الفودر من جهاز كالمستعمل في اعمال التليفونات المألوفة . وفيها ادوات تلائم نوعي صوت الكلام البشري اذ يدفع النفس بأعظم قوة في الفم بحيث يمر بالسان والاسنان

والشفتين فيحدث همهمة وهذه هي الطريقة التي تؤلف بها جميع أصوات الكلام حتى يهمس المرء كما تتركب منها أصوات الحروف « و ط ا و » وفي الفودر همهمة كهربائية ، فيتاح للعزف بتكييف بعض مفاتيحها ، تأليف تلك الاصوات . وفيها ايضاً مفاتيح اخرى تؤلف حروف الوقف الساكنة وهي « ط و ع » ونوع الصوت الآخر الذي يدخل في الحديث البشري ، يكون اغلبهُ في الحروف المتحركة وهي a و e و o . وهذا يصدر من الاوتار الصوتية وهو معقد جداً ، ضعيف الموسيقى

ولذلك يوجد في الفودر ، دواسة تغير نبراته ولأجل اعطاء الحديث نغمة عالية او منخفضة على هوى مديرتها . فاذا ما رامت تلك المديرة توليد الاصوات التي تؤلفها الاوتار الصوتية ، عوضاً عن الاصوات الهمسية ، او الحروف الساكنة ، ضغطت مفتاحاً من مفاتيح الفودر التي يستقر عليها ساعدها ، فتنتخب حينئذٍ الاجزاء المقصودة الخاصة بذلك الصوت المغني ، وذلك بتحريك المفاتيح الصالحة له . ومصدر ذلك الصوت ما يسمى « رقاص التراخي » في الفودر . وهو الذي يولد موجة مضرسة « كأسنان المنشار » بدلاً من الموجة البسيطة المستديرة ذات النغمة الموسيقية البحتة ولتلك الموجة المضرسة نغمة اساسية تعطي الصوت بأجمعه ، نبرةً معينة . والتغيرات العظيمة التي تحدث في هذه النبرة ، تبين الفرق بين اصوات الذكور والاناث . ويؤلف اللحن ، من تغير النبرة في صف صغير من صفوف مفاتيح الآلة . ويتسنى جعل الفودر ، يمثل رجلاً أو امرأة وذلك بتحريك مقبض المستدير الذي يشبه مفتاح المذياع او ترمسته[1] فتمكن الفودر من الافصاح عن امر واقعي او القيام بسؤال او توكيد كلمة وذلك ملتقاً لحركة دواساتها . وتحتاج اصوات حروف العلة الى انتخاب صف او صفين او ثلاثة صفوف او اربعة من مفاتيح الفودر ذات النغمات العليا (المقامات) أما الصفوف الأخرى فلا تؤدي شيئاً للصوت

وقد تبيَّن ان الهمهمة أو صوت النفس ، المؤلف لعنصر من عناصر الفودر ، انما هي اطلاق الكهربائية في أحد أنبوبي الآلة المفرغين من الهواء . أما الدوي او العنصر الآخر ، فانهُ يتولد في الدائرة الكهربائية للانبوب الآخر ، المفرغ من الهواء اي الرقاص الكهربائي . وفي وسع مديرة الفودر ، توليد ثلاثة وعشرين صوتاً مختلفة ، من مفاتيح الفودر جميعها ، من بيض وسود . وقد تحتاج المديرة أحياناً الى ضغط خمسة مفاتيح دفعة واحدة لتوليد الصوت المقصود . ومع قدرتها على توليد أي صوت من أصوات الكلام فان العدد الصحيح الذي يتاح لاية مديرة الانتفاع به ، يتوقف على خفة أصابعها

(١) وعندي ان لفظة ترمسة افضل من غيرها لترجمة الكلمة الانكليزية thumb screw لان شكل المفتاح المستدير لجهازي الراديو والفودر أقرب الى حبة الترمس

مكتبة المقتطف

كتاب التصوف الاسلامي
في الادب والاخلاق
بقلم الدكتور زكي مبارك المفتش بوزارة المعارف

يقع هذا الكتاب النادر المثال في نيف وارىعماية صفحة من القطع الكبير وهو مطبوع طبعاً جميلاً متقناً ويعد بحق موسوعة عظيمة الشأن في الادب الصوفي وقد أهداه مؤلفه الفاضل الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول بعد إذ اهدى كتابه الاول « الاخلاق عند الغزالي » الى جلالة الملك الراحل فؤاد الاول ونال على كل من الكتابين من الجامعة المصرية لقب الدكتوراه في الفلسفة

والكتاب مصدر بمقدمة بقلم الاستاذ الجليل محمد جاد المولى بك ذكر فيها كيف عرف الدكتور زكي مبارك أوّل مرة معرفة شخصية حين أدى امتحان الدكتوراه الاولى أمام لجنة الجامعة المصرية في سنة ١٩٢٤ . وكان الاستاذ جاد المولى عضواً في هذه اللجنة من قبل وزارة المعارف قال فرأيته يهجم على حجة الاسلام الغزالي ويقسو عليه فلم يجد بدًّا من ان يتشدد في حمايه ليحجم عوده ويبر غوره . فعرف عند ذلك ان الدكتور زكي مبارك قد يقضي حياته في المصاولة والمجادلة لا استقر في النفوس من انهُ باحث متعمق مشاغب ولكنهُ حين رآه وهو يؤدي امتحانه امام اللجنة في سنة ١٩٣٧ لنيل اجازة الدكتوراه من الجامعة للمرة الثانية رآه يجادل لجنة الامتحان وهو آية من آيات الذوق والادب ومثال من أمثلة التواضع والاستحياء يستمع السؤال بهدوء ويجيب عليه بذكاء مقرون بالتحفظ والاحتراس ولما خلت اللجنة للمداولة قررت منحه درجة الدكتوراه في الفلسفة برتبة الشرف وهي شديدة الضن بالالقاب الا على المستحقين لا سيما وان اللجنة التي أدى امتحانه أمامها قد ضمت نخبة من أكابر العلماء من بينهم الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق (وزير الاوقاف الآن) والدكتور منصور فهمي بك والدكتور عبد الوهاب عزام

وفي الحق ان كتاب التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق يدل أبلغ دلالة على ان مؤلفه الفاضل قد بذل جهوداً جبارة في تنسيقه وتأليفه حتى جاء ذخيرة أدبية اخلاقية صوفية تضاف الى ثروة الادب العربي . وقد تناول الجزء الاول من الكتاب معالجة موضوعات مهمة منها فصل في اشتقاق كلة التصوف وعنده ان الأصح أن هذه الكلمة مشتقة من الصوف لشواهد

كثيرة ربما تؤيد هذا الفرض منها ان الانبياء والصالحين كانوا يؤثرون لبس الصوف فمن المحتمل ان يكون الصوفية لبسوا الصوف اولى الامر ليصح لهم الاقتداء بواضع وسول الله . ومنها ان الصوف قديماً كان مظهر التخشن والتقشف كما كان من علامات الزهد ومن شعار الصالحين. ومنها « ان الجماهير كانت لا تمثل الصالحين الا في الثياب الصوفية » على ما رواه الزبيدي نقلاً عن كتاب بهجة الناظرين وان الامام الغزالي جعل لبس الصوف من صفات من يصرف اليهم ما يوصى به للصوفية . وختم الدكتور زكي محثه هذا بقوله ان لبس الصوف كان كذلك من تقاليد النصرانية وهي في اصلها تصوف وروحانية لما ان المسيح عليه السلام كان يؤثر لبس الصوف على ما عداه من أنواع الثياب . ولم يرتض الدكتور ما ارتضاه غيره من ان كلة التصوف قد تكون مشتقة من كلة سوفيا اليونانية ومعناها الحكمة بل انهُ لا يرى مانعاً من ان تكون كلة سوفيا ذاتها جاءت من كلة صوف العربية لانها قديمة في هذه اللغة ولان التصوف قديم جداً عند العرب وهو أساس المسيحية ولبس الصوف كان علامة التقشف وكلة سوفيا اليونانية قد تؤدي معنى الحكمة الروحانية فليس من المستبعد ان ترحل كلة صوف الى العابد المسيحية . ولكننا نخالف الدكتور زكي مبارك في الذهاب الى ان التصوف مشتق من الصوف ودليل كل اليل الى تقرير ان هذه الكلمة معربة عن كلة تيوصوفية اليونانية على ما اوضحناه تفصيلاً في رسالتنا في الصوفية وقد كتبت باللغة الانكليزية ونشر المقتطف ترجمتها العربية في عدد يونيو الماضي فليرجع اليها من يشاء

ولنا هنا ان نقول ان ابحاث الكتاب كلها ناطقة بأن المؤلف ذو عقل فلسفي ظاهر كل الظهور في دراساته وهو يدرس الوجوه المختلفة للرأي الواحد وقد يصل حاله كما ذكر الاستاذ جاد المولى بك الى حد الغرابة حين يعرض علينا عدة صور لرأي من الآراء حتى لتراه متشيعاً لكل صورة منها كأنهُ رأيه الوحيد وكأنهُ اشخاص عدة يتحاورون لا شخص واحد.

ومن اهم موضوعات الكتاب التصوف في الأدب العربي والذخائر المثبتة في الأدب الصوفي ومحاولة فلسفية في نشأة التصوف في الاخلاق ، والدين في اذهان الصوفية وهذه كلها فصول لا شك مهمة دالة على سعة اطلاع المؤلف ورسوخ قدمه في نقد الأدب وتذوق معانيه الى ابعد حد ممكن مع الوضوح التام والجلاء المستفيض . فعبارات الكتاب صريحة فائقة وحماسة المؤلف رائعة واسلوبه متين ولكني اصرح بانني وان اثنيت على عقله الفلسفي وأطريتهُ كل الاطراء فاني اخالفه في كثير مما ذهب اليه في نقد التصوف والصوفية وفي كثير من آرائه التي بسطها في كتابه واقول انهُ في كتابه هذا العظيم قد عرض للادب والاخلاق في التصوف الاسلامي ولكنهُ لم يعرض للتصوف في ذاته عرض من وقف على حقيقته واسراره . والظاهر

من كلامه في فاتحة الكتاب انهُ اعتمد فيما دوَّنهُ في كتابه على ما قرأه مع الاستاذ ماسينيون من فقرات من كتاب الزهرة في سنة ١٩٢٧ فعرف ميله الى درس العلاقة بين الحب العذري وبين التصوف فتسرب الى صدره « بصيص من ضوء الفكرة التي يقوم على أساسها هذا الكتاب » وانهُ في خريف سنة ١٩٣٠ وشتاء سنة ١٩٣١ حضر دروس الاستاذ ماسينيون بالكوليج دي فرانس في العلاقة بين التصوف والحب الرقيق فازدادت عنده الفكرة وضوحاً وصحت عزيمته « على درس أثر التصوف في الادب والاخلاق » .

ومن هذا يتضح ان الدكتور زكي مبارك جعل الاساس الذي بنى عليه كتابه امرين الاول العلاقة بين الحب العذري وبين التصوف والثاني العلاقة بين التصوف والحب الرقيق وهذا ما جعله يعد جميل صاحب بثينة والمجنون صاحب ليلى كما عد العاشق ابن الدبيثه من اقدم الصوفية في عالم الحب العذري او الحب الرقيق

فعند الدكتور ان التصوف خليق بأن يحجب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية وهو يمثله في صور كثيرة « فيكون في الحب ويكون في الولاء ويكون في السياسة حين تقوم على مبادىء تتصل بالروح والوجدان » وقد ذكر لكل من هذه الصور ما شاء شواهد تدل على صحة ما ذهب اليه فأورد أبياتاً لكل عاشق منها قول ابن الدبيثه يخاطب معشوقه اذ قال :

وإني لأستحييك حتى كأنما ... عليَّ بظهر الغيب منك رقيب
ولو أني استغفر الله كلما ... ذكرتك لم تكتب عليَّ ذنوب

الى ان قال فلاخير في الدنيا اذا أنت لم تزر ... محبًّا ولم يطرب اليك حبيب

وقد استخلص من ذلك كله ان هؤلاء العاشقين المتزمتين متصوفون قحاح . ولماذا ؟ لأنهم صادقون في حبهم العذري الرقيق لا يرجون من وراءه شيئاً دنيًّا

ولعمري ان العشق عذريًّا كان او غير عذري والحب رقيقاً كان او غليظاً كلاهما في واد والتصوف في آخر فالعشق هو العشق لا يحتاج الى تعريف واما التصوف الذي يعرفهُ اهله وتواضع عليه اربابه واصحابه والعارفون دون غيرهم ممن اراد ان يتزيا بزيهم وينسب نفسه زوراً اليهم ودون جماعة المستشرقين وغير المستشرقين ممن كتبوا في التصوف على غير ذوق ومعرفة ، فأساسه حب الله وحده وحب رسوله وايثار هذا الحب على ماعداه ثم الزهد في الدنيا وايثار الحياة الآخرة عليها ويتصل بذلك كثرة ذكر الله في السر والعلانية والصلاة والسلام على رسول الله جهد الطاقة . وهذا مع التمسك بأهداب الشريعة والعض عليها بالنواجذ وجعل احكامها في جميع فروعها ومناحيها دستوراً للمتصوف الصادق لا ينفك عن السير على منهاجها في حياته حتى يلقى الله تعالى فيلقاه كما يلقى المحب حبيبه بعد طول النوى والبعاد

وسواء أكان اسم التصوف مشتقًّا من الصفا على ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم ناجي وجماعته أم من الصوف كما ذهب اليه الدكتور زكي مبارك وجماعته أم من اليوصوفية على ما ذهب اليه كاتب هذه الاسطر وجمع آخر فإن لا مشاحة فيه بين مؤداه واحد لا يتغير وهو حب الله وكثرة ذكره وحب رسوله وكثرة الصلاة عليه والتمسك بآهداب الشريعة فيما صح نقله وثبت من الكتاب والسنة وعبادة الله في السر والعلانية والظاهر والباطن جميعاً

ولهذا كان من غير المفهوم عند ارباب التصوف قول المؤلف (ان الصوفي المعتدل يقبل من شيخه كل شيء كما يقبل النصراني المعتدل من القسيس كل شيء والصوفي المعتدل يقدم كلام شيخه على القرآن والحديث (حاشا وكلا) كما يقدم النصراني المعتدل كلام ارخبان على كلام الانجيل اما الصوفي الناثر فيرفض جميع النصوص ويتسامى الى مخاطبة الله والفهم عنهُ بلا مرشد ولا دليل وهنا اقول بصراحة (!) ان هذا اساس متين لبناء الشخصية الخلقية وان غضب رجال الدين)

ولسنا ندري من أين عرف الدكتور زكي مبارك ان الصوفي المعتدل او غير المعتدل او الناثر او غير الناثر بل الصوفي مطلقاً يؤثر كلام الشيخ على القرآن او يرفض النصوص ويتسامى الى مخاطبة الله والفهم عنه تعالى بلا حاجة الى مرشد او دليل انهم ان هذا افتئات على الصوفية والتصوف واي افتئات ونسبة القوم على ما هم منهُ براء فهم اشد الناس تمسكاً بالقرآن والسنة واشدهم قبولاً واذعاناً للنصوص واعتصاماً بها

ولعلَّ الدكتور عرف عنهم ذلك من صحبته لجماعة المستشرقين واخذه التصوف عنهم وقراءته لبعض الكتب التي لا يعول عليها في نقل اخبار القوم ومعرفة حقيقة حالهم ولعله في الطبعة الثانية من الكتاب يستدرك هذا الخطأ والشطط والتجني على الصوفية فيعود الى انصافهم ولا يتخذ ذلك الشيخ الذي كان من سوء حظه ان صحبه في سنة يس واتخذه شيخاً له ثم رآه غير اهل للمشيخة ولا للارشاد حجة عليهم ودليلاً على حالهم . كما رجع الدكتور عن التجني على الامام الاكبر حجة الاسلام ابي حامد الغزالي فرأيناه في هذا الكتاب يبرأ الى الله مما رماه به من قبل في كتابه « الاخلاق عند الغزالي » وجاء يصرح الآن علناً بأنهُ لم ينصفهُ فيما كتبهُ عنهُ ونسبهُ اليه فهذا الرجوع الى الحق هو حقاً من ثمرات العلم الصحيح وحسنات العقل الذي كمل نضجه ولعل صديقنا الدكتور زكي مبارك ان التصوف لا يوقف عليه الا من صحبة الرجال المشتغلين به لا الحاقدين عليه ولا المتصدين لنقده والتصدي — على ما يزعم ارباب البحث الجامعي — الى كشف عيوبه ومحاسنه وقوته وضعفه

ثم ان زعم الدكتور ان الصوفية قسموا مريديهم في الصوم ونحوه الى عوام وخواص وخواص الخواص فقضوا بان صوم الخصوص لا يقع فيه الفطر بالطعام والشراب وانما يقع

بارتكاب المآثم ونهش الاعراض — ونقول ان هذا الزعم لا أصل له عند العوام لا من حيث قسمة الفريدين الى هذه الاقسام . واما من حيث انهم لا يقضون بوقوع الضرر بالطعام والشراب فهذا ما لم يقل به احد قط . وانما هم يشددون على الخواص فيحذرونهم من ارتكاب اي مأثم صغيراً كان او كبيراً مما نهى عنهُ الشرع ولو نهي كراهة فان ارتكابه في حقهم يبطل صومهم كما يبطله تعاطي الطعام او الشراب سواء بسواء

هذه ملاحظات عاجلة او خاطفة كان لا بد لنا منها وهي لا تحول بتاتاً دون تقدير كل منصف لجهود الاستاذ الدكتور زكي والثناء عليه اطيب الثناء على ما افنى من عمره المبارك في سبيل الدرس والبحث والتأليف والتصنيف حبًّا منهُ في خدمة الادب والاخلاق اكثر الله في الامة من امثال الفضل والتضحية وأثابهم على خدمتهم الناقصة وتجاوز عن تقصيرهم ما داموا حسن النية وحب الخدمة وانهم فيما يبحثون ويكتبون ويدرسون ويؤلفون

الفقير احمد عوض

محاضرة المركز . كليلند

كان محاضرة الدكتور كليلند التي عنوانها « مشروع تنظيم السكان في مصر » وقع كبير في الدوائر المصرية من وطنية وأجنبية التي تعنى بدراسة مشكلات مصر الاجتماعية . وذلك حينما ترجمتها وكتب الجانب الاول منها في المقتطف هذا الشهر على ان ننشر تتمتها في عدد يونيو القادم . وقد فعلنا ذلك بموافقة الدكتور كليلند نفسه وسماح الدكتور ليفي محرر مجلة « مصر المعاصرة » الفرنسية حيث ينتظر أن ينشر نص المحاضرة كاملاً باللغة الانكليزية في عددها القادم

دليل موجز

لمعروضات دار الآثار العربية

القاهرة ١٩٣٩ — ١١٣ ص ، ٢٨ لوحة

قد يعجب القارىء أن تعرض هذه المجلة لنقد دليل موجز لدار من دور الآثار . والحق ان النقد يقع على كل شيء فليس سواء كان بحثاً او رسالة او ورقة او دليلاً

ويسرنا ان نقول إن هذا الدليل مقطوعة علمية لها شأنها . ذلك لأنهُ يسرد تاريخ تكوُّن دار الآثار العربية في أسلوب جذاب ثم يفيض في تاريخ الفن الاسلامي على العموم وفي خصائص هذا الفن الجميل . فهنالك التحليل وتدقيق النظر واستخراج النظريات وشرح الاصول

ويتلو هاتين الافاضتين القائمتين مقام التوطئة والتعريف وصف شامل مفصل لجميع ما تضمه دار الآثار العربية في القاهرة . ويجري الوصف من بهو الى بهو على التدريج والترتيب . وليس الوصف في النسخة العربية بالجافّ ولا بالسطحي ، بل هو لطيف المداخل والمخارج ، بعيد المرمى ، كشّاف ، رشيق

وقد كتب هذا الدليل بالفرنسية الاستاذ المستشرق جاستون فييت ، ونقله الى اللغة العربية بتصرف واضح الدكتور زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية . وما نظن الترجمة في مثل هذه الحال بأيسر من التأليف . والسبب أن اللغة العربية لا تزال مفتقرة الى أساليب التعبير في شتى العلوم وضروب الفنون . وقد سبق للدكتور زكي حسن أن ألف كتباً في الفن الاسلامي أشار المقتطف الى نفاستها يوم خرجت . وكان في أسلوب تلك الكتب شيء من التقرّي والتحسس . أما هذا الدليل فقد استوى فيه الأسلوب الفني وأخذ يدنو من الثبت والاستقرار

ولعلّ الدكتور زكي حسن يخرج لنا في كتبه المستقبلة مسارد نصيب فيها ألوان التعبير الفني ، حتى تتم الفائدة

ب . ف

مباحث عربية

تأليف بشر فارس ، الدكتور في الآداب من السوربون

١٠٠ ورقة من القطع الكبير . مطبعة الصرف ومكتبتها بمصر الثمن ١٥ قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

تلقينا هذا الكتاب الجليل والمقتطف ماثل للطبع . ومثل هذا الكتاب لا تكفيه الاشارة ولا يظفر به النظر السريع . وفي العدد المقبل سنفرد له نقداً يجدر به . وحسبنا اليوم تقدمته لقراء اللغة العربية . وأول ما يسترعي النظر في أسلوب الكتاب من الطرافة مبنىً ومعنىً ومنهجاً . أما المبنى فوضوح العبارة وبلاغتها ودقتها العلمية ، واما المعنى فجدة الموضوعات ومعالجتها بنظر متمكن وذهن مثقف غاية الثقف . واما المنهج فتلك الحواشي المستفيضة والتعليقات الغزيرة والمراجع الوافية وفيها مخطوطات كثيرة ثم تلك العلامات والرموز التي ابتكرها المؤلف تيسيراً للمراجعة ، ثم تلك المسارد للمخطوطات والاصطلاحات العربية وغير العربية

فهذا الكتاب الادبي المواد ، العلمي الأسلوب والمنهج يُعدّ توجيهاً جديداً في الإنشاء والبحث . ويضاهي جلائل المؤلفات الافرنجية في التأليف العامي . ولا غرابة في ذلك فالمؤلف ممن له مكانته في الدوائر العلمية الاوربية ، بدليل انهُ يشترك في تحرير دائرة المعارف الاسلامية الصادرة في هولندة وفي مجلات الاستشراق الرفيعة ، وقد سبق للمقتطف أن أشار الى ذلك

كتاب المجمع المصري للثقافة العامية

صدر الكتاب السنوي التاسع لهذا المجمع الجليل محتوياً على المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمره التاسع السنوي واجتماعاته الشهرية من ابريل سنة ١٩٣٨ الى آخر مارس ١٩٣٩ وهو كجميع الكتب السنوية التي سبقتهُ حافل بالبحوث العلمية المفيدة لكبار المشتغلين بالعلم في مصر . في صدر الكتاب محاضرة الرئيس للدكتور حسن صادق بك وعنوانها « الذهب » وهي بحث تاريخي جيولوجي صناعي اقتصادي فيه نبذة عن الذهب في مصر في العصور القديمة ، ثم كيف يعدّن

الذهب ، والجانب الاخير موقوف على متاجم الذهب التي تشغلها الحكومة المصرية او الشركات الاجنبية في الاراضي المصرية وما يستخرج منها وما قيمتهُ وما المصاعب التي ذللتها الحكومة

ويلي ذلك محاضرتان صحيتان الاولى للدكتور عبد الواحد الوكيل بك في اتجاهات علم الصحة . والثانية للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك موضوعها اثر الامراض المتوطنة في كفاءة الجندي المصري . وقد طبعها القراء في مقتطف يونيوسنة ١٩٣٨ . ثم ثلاث محاضرات قيمة في شؤون مصرية بيولوجية منها القطن المصري للدكتور محمد عزيز فكري . والثانية تميز الحالة الجنسية في النباتات عامة والنخيل خاصة للدكتور محمد بهجت والثالثة في بيئة بحيرة المنزلة للدكتور عبد الحليم منتصر . اما المحاضرات الاخرى فهي « ابو الهول » للاستاذ سليم حسن . وتوافق خواطر المكتشفين والمخترعين للاستاذ البرقوقي (انظر مقتطف فبراير ١٩٣٩) . وتبسيط الحساب بالطرق الآلية والتخطيطية للاستاذ فريد بولاد بك

فالكتاب يجمع طائفة ممتازة من البحوث العلمية الدقيقة وهو علاوة على ذلك آية في جودة الطبع وصوره مطبوعة اكثرها بالروتوغرافور ومنها صور بالالوان لبعض الآلية والحلى الذهبية عند قدماء المصريين تشهد أنها لا يمكن ان تكون أشد اتقاناً مما هي

شهران في لبنان

وبلاد اليونان وايطاليا وطرابلس الغرب

بقلم الصحافي المجوز — صفحاته ٢٦٨ صفحة طبع بمطبعة الامة بمصر — ثمنه ٠٠ قروش

الناس فريقان ، فريق يغرب عن الاهل والاصدقاء ويسافر ولا غاية له الا النزهة وراحة الجسم من عناء الاعمال وفريق آخر يتجشم متاعب السفر وعناءه وغايته الاستفادة من رحلاته وتنقلاته وجولاته في البلدان التي يزورها ثم الافادة واطلاع الغير على ما شاهده فيشترك القارىء في رحلاته ومشاهداته عن طريق المطالعة والاستاذ توفيق حبيب الصحافي المجوز صاحب المقالات التي يكتبها في الاهرام القراء في طليعة الفريق الثاني فقد كانت رحلته الاخيرة في صيف ١٩٣٨ الى لبنان وبلاد اليونان وايطاليا وطرابلس الغرب فأخرج وصفها في كتاب زينهُ بكثير من الصور . يطالعهُ القارىء فيجد نفسه متنقلاً من بلد الى آخر فهذه بلاد اليونان وآثارها ومتاحفها وحمامات نوراكي وسهد الاكروبول وتلك نابولي وفينيسيا وفورنسا مدينة الآثار والفنون وروما المدينة الخالدة . أما لبنان فقد خصهُ بفصول عن نهضته الادبية والصحافية ومصايفه المشهورة وأهل العلم والفضل فيه وأخيراً طرابلس الغرب فذكر لمحة تاريخية عن طرابلس القديمة والجديدة ووصف أسواقها الوطنية ومقاهيها وأحياءها وما اجتمع عنده من أخبار النهضة الادبية والصحافية فيها

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الرابع والخمسين

٥١٧ الخمّار العجيب

٥٢٦ انتظام السفر الجوي عبر المحيط الاطلنطي

٥٢٩ مشروع لتنظيم السكان في مصر : للدكتور وندل كيلاند

٥٣٨ طلعت حرب : زعيم النهضة الاقتصادية المصرية

٥٤٢ الزجاج الجديد

٥٤٥ رأيي في الشعر الحديث : لعبد الرحمن شكري

٥٥٣ نوع المواليد وتأثيره في كيان الامة : للدكتور شرف عبوان

٥٥٧ الفلسفة الجوادثية : لحنا خباز

٥٦٥ جستوس فون لايبج : لحسن السفاني

٥٦٩ تعليم الجمهور اصول الصحة : للدكتور حسن كمال

٥٧٧ ديفون الجميلة (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن

٥٧٨ فلسفة الدمقراطية : لعلي أدهم

٥٨٣ الاحياء الارضية الدقيقة : لرضوان محمد رضوان

٥٩١ علاقة الانتاج الزراعي بتغذية الشعب : لحسين عثمان بك

٥٩٩ لهيب (قصيدة) : لمحمد فهمي

٦٠٠ مكتبة بنك مصر

٦٠٣ محكمة تأديب (قصة اخلاقية) للكاتب ج . ن . بوبي : نقلها احمد ابو الخضر مدني

٦٠٩ خليل مطران : للدكتور اسماعيل احمد أدهم

٦١٩ سير الزمان * شهر من التاريخ :— زوال تشيكوسلوفاكيا. استرداد منطقة ميمل. زيارة السير لبران لانكلترا. المشكلة البولندية ترتسم . انقلاب في سياسة بريطانيا الخارجية . احتلال البانيا

٦٣٢ المراسلة والمناظرة * الحقيقة : للدكتور مصطفى حامد نصر . جون مقال خليل مطران : لاحمد زكي ابو شادي . استدراك

٦٣٥ الاخبار العلمية * عجائب معرض نيويورك العالمي : لعوض جندي

٦٤١ مكتبة المقتطف * كتاب التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق. محاضرة الدكتور كيلاند. دليل موجز لمروضات دار الآثار العربية . مباحث عربية . كتاب المجمع العلمي لثقافة العلمية . شهران في لبنان